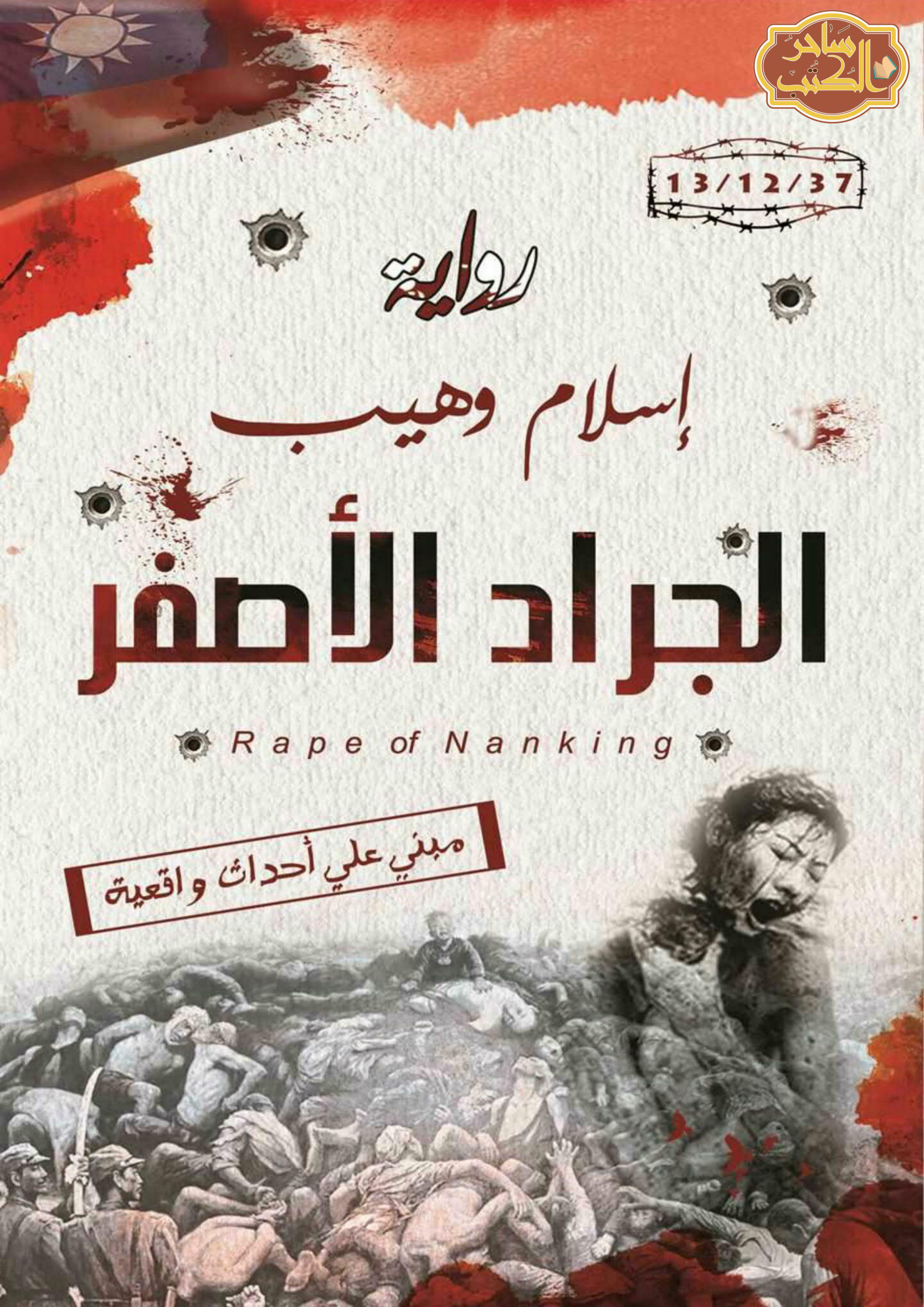

ساحر الكتب
13/12/37
رواية
إسلام وهيب
الجراد الأصفر
Rape of Nanking
مبني علي أحداث واقعية

الجراد الأصفر


ساحر الكتب

الكتاب: الجراد الأصفر

المؤلف: إسلام وهيب

تصميم الغلاف: كريم وهيب

تدقيق لغوي: عاشور عطا

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢٢٩٢٠

الترقيم الدولي: ٩٧٨–٩٧٧–٧٧٨–١٥٢–٧



٢٠ عمارات منتصر – الهرم – الجيزة

ت: ٠٢–٣٧٢٠٦٥٨٣٣

info@noonpublishing.net



الكتاب: الجراد الأصفر

المؤلف: إسلام وهيب

تصميم الغلاف: كريم وهيب

تدقيق لغوي: عاشور عطا

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢٢٩٢٠

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٧٧٨-١٥٢-٧



٢٠ عمارات منتصر – الهرم – الجيزة

ت: ٠٢-٣٧٢٠٦٥٨٣٣

info@noonpublishing.net

إسلام وهيب

الجراد الأصفر

رواية



هنغزو العالم بإذن اللّه تعالى

– ١ –

لا تضع أملاً كبيرًا في أن الإنسان كائن نقي بالفطرة لديه بداخلِه ضمير حي يقوده إلى الخير، إننا نحيا منذُ القِدم في عالمٍ لا يسيطر عليه سوى الجائرين الذين لا يحترمون الإنسانية ولا يعيروا لها أي اهتمام، عالم تحول فيه الإنسان إلى قطعة لدنة من الصلصال في يد الشر، يُشكلها كيفما شاء بالطريقة التي يجدها مناسبة له، الشر بداخلنا جميعًا، يحتاج فقط إلى ظروف مناسبة ليتحرر ويخرج من ذلك الركن البعيد المُظلم بداخلنا، الأمر كان واضحًا تمامًا حينما احترب الجنس الأصفر صاحب العيون الضيقة والرأس المستديرة والفك البارز بعضهم البعض، تَازَلَ الجار جيرانه وجار عليهم مستخدمًا التقدم التكنولوجي الذي وصل إليه في ذلك الوقت مستغلاً التفكك والتشتت الذي كانت تعيش فيه البلدان المجاورة، نُزعت الرحمة من قلوبهم فتحولوا إلى وحشٍ باغٍ خرج من قُمقمِه لينتقم من كل شيء وأي شيء في طريقِه، وحش مُجحِف يقذف الرعب في قلوب الجميع حتى يُذاع سيطه بين جيرانه، فإذا قابلوا أي جيش استسلم لهم وسلمهم الأرض والثروات والأيدي العاملة دون قتال أو مقاومة؛ فتسهل عليهم



مهمتهم الأكبر في احتلال العالم وتأسيس إمبراطورية يابانية تمتد على كل أراضي قارة آسيا، ذلك ما كان يدور برأس زوجة « لي يونج » منذُ أن خرجت من العاصمة الصينية « نانجينغ » على متن شاحنة عسكرية مُحملة بالسبايا والأسرى بعد المذبحة التي ارتكبتها القوات اليابانية على الأراضي الصينية، خمسة شاحنات عسكرية عملاقة، على كل شاحنة أربعة جنود يابانيين للحراسة يابسي الوجه والنظرات، الشاحنات جميعًا ممتلئة عن آخرها بالنساء والفتيات القاصرات التي أكل الجوع أجسادهن جميعًا وتجمع فيهن الخوف والألم في رباطٍ مقدس، العذاب يتجمع في كل شاحنة من الشاحنات الخمسة متمثل في الأوضاع الصعبة التي ارتصصن فيها والجنود الأربع يابسي الوجه والنظرات، حاملين السلاح للحفاظ على الهدوء والسكون الذي أمرهم به الضابط صاحب الأكتاف الضيقة قبل بداية الرحلة منذُ يومين، أي فتاة أو سيدة توسوس لها نفسها بالحركة لن تجد سوى رصاصة غاشمة تخترق جمجمتها وتُسقطها جثة هامدة بلا دية، يتمنى هؤلاء أن تتحرك أي واحدة منهن لأنهم؛ يبذلون مجهوداً شاقًا في إيجاد حيوانًا بريًا ليطعموه لكلاب الحراسة الخاصة بهم، حركة واحدة منهن ستوفر لكلاب الحراسة الخاصة بهم طعام يومًا كاملاً , بين كل ساعات طويلة تسمح نفوسهم القاسية بإطعام السبايا شيئًا



مجهولًا لدن يُخرس جوعهن وفي الوقت ذاته يُخفضون نداء الطبيعة فلا يزعجونهم بطلب قضاء الحاجة إلا بعد وقت طويل فتتوقف الشاحنات وتتحرك السبايا بعد قعود قد استطال لقضاء الحاجة بسرعة فائقة قبل أن يعدن إلى أماكنهن بالصرخات واللسعات لتستكمل الشاحنات الرحلة إلى ذلك المعسكر الذي أخبرهم به الضابط الياباني الحاقد .

تتكوم زوجة « لي يونج » على نفسها في ذلك الحيز الضيق الذي خُصص لها في الشاحنة الثالثة من قِبل الجنود الذين تخصصوا في إهانة وتعذيب كل أهل بلدتها منذُ بداية الهجوم، تحشر نفسها وسط باقي السبايا بوضعية لن ينتج عنها سوى ألمًا لا يُطاق، تصرخ فقراتها في ذلك القعود دون استجابة منها، لم تتذوق طعم النوم منذُ أن تحركت الشاحنات، وحينما يصل بها التعب إلى أقصاه تغمض عينيها رغمًا عنها فتهيج الكوابيس المفزعة والرؤى التي ترتفع على إثرها ضربات قلبها بسبب الأحداث الصعبة والأوقات العسيرة التي عاشتها منذُ أن قررت الهروب مع أسرتها مرورًا بفقدانهم واحدًا تلو الآخر حتى باتت وحيدة فقبض عليها جنود العدو وشحنوها مع السبايا على شاحنات إلى معسكرٍ خاص للمتعة، أحداث مؤسفة شحنت عقلها الباطن عن آخره فلم



يجد سوى الأحلام فيفرغ بها حمله الزائد، تحولت عيناها إلى جمرة حمراء تتجول بها في النساء اللاتي يشاركن نفس الشاحنة معها، معظمهن لا ينتمين إلى نفس الحي الذي كانت تسكن فيه بالعاصمة المغتصبة لكن في النهاية هن ينتمين إلى نفس بلدها، بدت جميعهن مشوهات الوجه ومنتفخات الأعين بسبب الضرب القاسي الذي أُنزِلَ بهن، سواء لحظة القبض عليهن أو مقاومتهن للاغتصاب في شوارع العاصمة حينما انكشف أمرهن وهن يختبئن خلف الجدار، ملابسهن ممزقة في مواضع كثيرة ومختلفة من الجسد فتكشف عن آثار لجروحٍ عميقة تمزق على آثارها الجلد، أمَّا باقي ملابسهن فتجمع عليها بقع الدماء التي أُريقت على أيدي هؤلاء الجبابرة، النساء يجلسن على ظهر الشاحنة صفر الوجوه، ناكسي الرؤوس، كالعبيد الذين كانوا يساقون للبيع في الأسواق القديمة، لا شيء يجمع بينهن سوى الألم والجوع والذل وحرقة الفراق.

تتحرك الشاحنات عبر طرق غير ممهدة يتناثر على جانبيها الأنقاض التي سببها بارود وصواريخ العدو، تتمايل الشاحنات فتهز حملها الذي يترنح معها يمينًا ويسارًا دون مقاومة، انسابت دموعها على خديها بملحها الأجاج وهي تشاهد بعينيها الخراب والدمار الذي حل على دولتها كما حل على عائلتها



منذُ أن أعلنت اليابان الحرب عليها، مساحات خضراء شاسعة حولتها النيران إلى مساحات سوداء متفحمة تخرج منها أعمدة الدخان المتراقصة بفعل الهواء والرياح، بقايا منازل وبنايات أسقطتها الغارات الجوية الغاشمة، أي ريحٍ عطنة هبت على الوطن لتحوله إلى كل هذا الخراب!! هذه هي الشاكلة التي أصبح عليها الوطن؟؟ ذلك هو السؤال الحبيس في صدر كل فرد صيني رُسِمت على ملامحِه علامات التعجب والدهشة وهو لا يدري أي مستقبل ينتظر هذا الوطن بعد كل هذا الدمار الذي حل عليه.

كلما اقتربت السيارة من المنطقة الواقع بها المعسكر المزعوم كلما انخفضت درجة الحرارة وشعر الجميع ببرودة الجو الذي بات ملحوظًا، الرياح تعوي كالذئاب الجائعة في الوقت الذي لم تفلح فيه ملابسهن البالية في حمايتهن من لسعات البرد القارصة التي تلطم أجسادهن دون شفقة أو رحمة، يرتعشن وتصدر أسنانهن ذلك الصرير المعروف والرجفة التي تجعل الجسد يرتعش وكأن صاحبه يعاني من مثانة ممتلئة، الشمس تتوارى منذُ بداية اليوم خلف الغيوم التي تملأ السماء بكثافة تُشعرك أنها حبلى وعلى وشك أن تضع حملها ، تُحرك الزوجة يدها على كتفها العاري الذي كشفته الملابس الممزقة بوقاحة شديدة في محاولة

لتدفئة نفسها من دوامات البرد التي بدأت تتعاظم، الحراس يتابعون ما يحدث للنساء والفتيات قبل أن يتطوع من بينهم ذاك الذي يُجيد الصينية ويتحدث بها كأهلها برشق الكلمات اللاذعة التي يسخر بها منهن ومن الرعشات التي تجعل أجسادهن تتراقص دون إرادة منهن، الغريب أن ذلك الحارس يرتدي ملابس من الفرو فوق زيه العسكري تكفي لتدفئة ثلاث نساء دفعة واحدة.

استمرت الشاحنة بالسير لمدة تزيد عن نصف ساعة قبل أن تسقط عين الزوجة قدرًا على لوحة إرشادية ملقاة على الأرض مكتوب عليها « مدينة هاربين » فاستبان الأمر بالنسبة لها وأدركت أن المعسكر المزعوم يقع في مدينة هاربين أقدم المدن الصينية التي تعرضت للغزو الياباني الفاشي، استطاعت تفسير ظاهرة انخفاض درجات الحرارة الملحوظة كلما تقدموا؛ فالشتاء في هذه المدينة قاصٍ جداً وقارص بسبب موقعها الجغرافي، يتساقط بها الثلج بكثافة بالشكل الذي يسمح لسكانها بصنع المجسمات الثلجية، أدركت الزوجة أن الأيام التالية ستحمل أوقاتًا وأحداثًا عسيرة قد تفوق كل ما شاهدته في العاصمة.

ظلت الشاحنات تسير بهم لمدة تزيد عن ساعتين داخل المدينة حتى ظهر من بعيد معسكر كئيب بجدران حجرية باهتة وبوابة سوداء كبيرة تتحدى



الحرية والإنسانية والإرادة معًا، لا تعلم الزوجة لماذا ارتعدت أوصالها وتبوأت مكانه في الخوف لم تصل إليها في يومٍ من الأيام حينما رأت هذا المعسكر للمرة الأولى، وجدت شفتيها تتحرك تلقائيًا لتدعو اللّه بالنجاة من هذا الهلاك الذي تشعر به، ارتفعت ضحكات ذلك الجندي الذي كان يرشق الكلمات الساخرة سلفًا قبل أن يبدأ التلاعب بأعصاب الفتيات والسيدات الموجودات على ظهر الشاحنة.

– إذا سقطت علينا قذيفة بالخطأ وهلكنا جميعًا فسيكون حظكم جيد جداً، الهلاك هو السبيل الوحيد للنجاة مما ستشاهدن بعد قليل فخلف باب هذا المعسكر ينتظركن عذابًا مُستطيرًا.

أنهى كلماته ثم ضحك ملء شدقيه فأطلقت كل منهن العنان لخيالها تُحاول أن تتوقع أسوأ الأشياء التي قد تحدث داخل ذلك المعسكر على عكس الزوجة التي بدأت تدعو اللّه أكثر ليكون عونًا لها، شفتاها تهمان بدعاءٍ حار لم يتوقف إلا حينما وقعت عين الجندي عليها فسألها بلهجة جامدة « بماذا تُتمتمين أيتها العاهرة » حدثها بلغتها الصينية فلم تجبه في البداية مما دفع الدماء لتغلي في عروقِه احتقانًا لرد فعلها، شد أجزاء بندقيته وسدد فوهتها إلى رأسها ثم أعاد طرح سؤاله مرة أخرى ولكن بغلاظة شديدة هذه المرة فأجابته وهي ترتعد.

– أدعو إلهي .

ضحك باستهتار شديد وهو يُبعد فوهة البندقية عنها.

– وهل تعتقدين أنه سينجيكِ من هنا؟؟

– بالتأكيد، هو قادر على كل شيء.

– لو كان إلهك يستطيع ذلك لكان منعنا من قتل رضيعك ، إلهك وإن كان موجوداً شاهدنا ونحن نُخرج أحشاء رضيعك دون أن يتدخل في ذلك , ما حدث للجميع في العاصمة يؤكد أن لا أحد يستطيع هزيمة الجيش الإمبراطوري العظيم.

أنهى كلامه ثم صفعها بيده على مؤخرة رأسها باستهزاء شديد.

– كفي عن الدعاء، ادخري طاقتك للمتعة التي ستوفرينها لزملائي.

أنهى كلامه ثم داعبت أنفها رائحة الموت التي كانت تتعاظم بشدة كلما اقتربوا من بوابة المعسكر السوداء الكبيرة التي تتحدى أي حرية وإنسانية , سور المعسكر عالي ويوحي بالموت , توقفت الشاحنات في صفٍ مستقيم أمام البوابة

الكبيرة , هبط أحد القادة وراح ليتحدث مع حراس البوابة فساد المكان صمت رهيب وتوجست القلوب خيفة وراح الوجس ينخر في عظامهن وياكل جلودهن دون شفقة , لو كان للرعب هيئة فلن تكن أوضح منتلك التر ارتسمت على وجوهنن , أعطى حراس البوابة الإشارة بعد نقاش لم يدوم طويلاً ففُتِحَت البوابة على مصراعيها لتجتازه الشاحنات واحدة تلو الآخرى ، القلق والتوتر يتضاعف بقلب السبايا وهن يتأرجحن يمينًا ويسارًا على الأرض غير المستوية التي تتحرك عليها الشاحنات ، يتابعن بأعينهن الضيقة ما ستسفر عنه الدقائق المقبلة، تعالت الصفافير والهتافات بمجرد أن تجاوزت الشاحنات بوابة المعسكر القاتمة، الكل يهتف ويصفق كالجوعى الذين وجدوا على حين غرة وافرًا من الطعام، الشاحنات تمر داخل المعسكر عبر ممرات على جانبيها البنايات مختلفة الأحجام كئيبة المنظر لا تنّمُ عن أي خير، يطل منها رؤوس بعض الجنود وتخرج منها الصرخات المختلطة بالضحكات الهستيرية، على جانبي السيارة بعض الجنود الذين بدأوا يُشيرون إلى الفتيات إشارات بذيئة باستخدام الأصابع والأعضاء التناسلية، السبايا انقسمن على بعضهن فمنهن من يرمقهم بعينٍ خائفة مرتجفة لا تصدق ما يحدث ومنهن من أشحن وجوههن بعيداً، أمَّا الزوجة فجلست بهدوء لا تبالي لأي شيء، كأن ما يحدث



حولها لا يُقارن بما تكنه في صدرها، دقائق معدودة قبل أن تنهال عليهن أكياس بلاستيكية مملوءة بسوائل مختلفة منها مياه كريهة الرائحة وأخرى تحتوى بداخلها على دماء وأخرى بول آدمي، قذائف من الأكياس البلاستيكية تنفجر بجوارهن أو على رؤوسهن فيحول محتواها التراب الذي يكسهن إلى طينٍ ذي رائحة كريهة وسط ضحكات الحراس وباقي جنود الحراسة، أزاحت الزوجة الطين الذي ملأ رأسها ووجهها بيديها دون أن تبالي، ولولا أنه بدأ يُعيق رؤيتها لتركته يسرح على وجهها كيفما شاء، انتقلت بعيناها داخل أروقه المعسكر، شعرت أن هذا الطين هو بمثابة شفرة سرية تُخبرها بأن ما ستلقاه داخل هذا المعسكر سيكون أشد بكثير مما رأت في مذبحة نانجينغ منذُ أيام.

توقفت الشاحنة في منتصف ساحة المعسكر، ساحة كبيرة تصلح لإقامة مباريات كرة القدم بسبب اتساعها، طبيعة أرضها رملية، خاوية تمامًا إلا من بعض المباني الخشبية الصغيرة التي تتكون من دور واحد وسقفها على شكل هرمي، متناثرة على أبعاد مختلفة داخل الساحة، الزوجة تجول ببصرها تحاول أن تكتشف المكان فوقعت عيناها على فتاة مسكينة معلقة على جدران الفناء، مطوية وعارية تمامًا كما ولدتها أمها، معصوبة العينين، لا تتحرك، جف جسدها بالكامل وتَصلّب بعدما نَحل بشكل



تستطيع معه إحصاء عدد ضلوعها، كان مظهرها له واقع نفسي شديد على الفتيات والسيدات اللاتي وصلن للتو، أمّا الزوجة فقد ظلت تنظر لها حتى اقترب منها الحارس الذي كان يحاورها في الشاحنة وهن على باب المعسكر، همس بصوتٍ كالفحيح في أذنها:

– مسكينة هذه الفتاة، لا تملك إلهًا مثلك كي ينقذها.

أنهى كلامه وأتبعه بضحكة ساخرة، لم تبالِ الزوجة له فأردف بلهجة أقوى هذه المرة.

– هذا جزاء من يعصي الأوامر داخل المعسكر أو يتجرأ ويمس جندي من جنودنا ولو بلمسة أو بنظرة لا تليق به.

الزوجة لا تُجيبه, فقط تتنقل بعينيها بينه وبين الفتاة المُعلقة، في حين أن الفتيات اللاتي بجوارها ارتعدن على كلماتِه التي وصلت إلى آذانهن رغمًا عنهن، صوته الهادئ في نغمتِه والمُخيف في كلماته لم يُحرك للزوجة جفن، فقط ظلت تستمع إليه دون أية ردة فعل تُذكر.

ارتفعت أصوات الحراس وهم يفكون أصفادهن التي تقيد أيديهن وأرجلهن، يزعقون بصوتٍ منزوع



الرحمة أن يتحركن وينزلن من الشاحنات، لكمة تتبع لكمة ولطمة تلو رفسة وشتيمة خلف الأخرى حتى أخلوا الشاحنات جميعًا من السبايا , هاجت الأجواء وتمكن منها الجنون وبدأ الجميع يتحرك كأسراب النمل الخائفة تحت بطش الحراس والجنود الذين بدءوا بضرب أجسادهن بالعِصِيّ اللدنة التي تترك آثارًا على أجسادهن بعد لسعة قوية تجعل من يتلقاها ينتفض، تحركن بسرعة البرق حيث ضابط ياباني ذو وجه صارم يقف بجوار السيارات يأمر كل من تهبط من السيارة بالوقوف في الصف الذي حدد مساره لهن، جرت الأمور على تلك الشاكلة حتى فُرّغت السيارات تمامًا وذهبت إلى حيث المكان المُخصص لتخزينها، امتلأ الفناء بالسبايا والجنود التي تملأ الشهوة وجههم، يحوطون السيدات من كل جانب وهن في طريقهن إلى حيث يقتادهن ذلك الضابط الياباني غليظ الملامح، تتحاشى الفتيات والسيدات أيادي الجنود التي تمتد إليهن محاولة لمسهن أو العبث في أجسادهن، تعرضن لكافة أنواع التحرش اللفظي والجسدي والحركي، خاصةً اللاتي جاء مكانهن على أطراف الصف من الجانبين، مستوى جديد من الألم النفسي أُضيف للجميع ليحرق ما تبقى لهن من أعصاب.

وصلن إلى جانب الساحة حيث صنابير المياه ذات الضغط العالي التي تستخدم في إطفاء الحرائق، وقف الضابط الياباني ذو الوجه الصارم يرمقهن بعينيه الضيقتين قبل أن يرتفع صوته بلغته التي لا تفهمها الأسيرات لكنهن شاهدن بعدما انتهى من أوامره الجنود تتحرك بسرعة البرق، قسموهن إلى مجموعات وعُين عريف صارم على كل مجموعة ليُراقبهن ويحافظ على النظام بمساعدة مجموعة من الجنود، أجلسوهن بالقوة في وضع القرفصاء بحيث يكون الجسد والظهر مشدودين والأذرع منتصبة إلى أعلى، الويل كل الويل لمن تصنع مفاصل ذراعها زاوية بسيطة أو قوسٍ صغير، يُصب عليها جام العذاب المُهين، استمر الوضع على هذه الشاكلة لمدة تزيد عن نصف ساعة حتى بدأ بعضهن يتساقطن على الأرض من شدة الإعياء والتعب الشديد، عضلاتهن بدأت تصرخ وتتمرد بشدٍ رهيب مما أدى إلى الانهيار، في الوقت الذي زعق الضابط الياباني بصوتِه الأجش في الجنود فبدئوا ينهضونهن بالعِصِي والسياط حتى عاد الوضع على شاكلتِه الأولى، مرّ الوقت عليهن دهراً كاملاً حتى ظهر أمامهن قائد المعسكر، رجل قصير له هيبة شديدة، يرتدي عوينات شمسية تزيد من هيبته، وقف أمامهن يتطلع إليهن في صمتٍ تام، من الوهلة الأولى تعرف أن الرحمة ضلت طريقها إلى قلب ذلك الرجل الذي نال احتراما

شديد من الجنود والضباط بمجرد ظهوره، إنه الجنرال قائد هذا المعسكر الأشبه بالجحيم.

وقف أمامهن مدة تزيد عن ثلاث دقائق قبل أن يأمر المجموعة الأولى كي تتحرك وتراتص بجوار الحائط حيثُ صنابير المياه عالية الضغط، بسرعة البرق تحركت المجموعة وارتصت في المكان الذي حدده القائد بحيث تكون ظهورهن إلى الحائط ثم أتى أربعة جنود بخراطيم مياه سميكة موصله بالصنابير ذات الضغط العالي، وجهوا فتحاتها الواسعة القادرة على ابتلاع فأرًا بداخلها إلى مجموعة النساء الأولى قبل أن يُشير القائد إلى الجندي الذي أدار مضخة المياه فاندفعت المياه بضغطٍ هائل جعل المجموعة تفقد توازنها بالكاملِ، الماء، المضغوط بغرض النظافة والاغتسال لكن أستطاع هؤلاء البارعين تحويله إلى ألمٍ ومُعاناة تخرج من الخراطيم الضخمة، يقهقه الجميع والنساء يتساقطن أمامهم على الأرض واحدة تلو الأخرى، لم تصمد أيّ منهن، حتى أن بعضهن بدأن يتدحرجن على الأرض بعدما اقتلعت المياه ما تبقى من ملابسهن وسط استمتاع كافة الجنود والضباط، انتهت المجموعة الأولى فأزاحوها وأتوا بالثانية لتنال نصيبها من المياه المضغوطة ثم المجموعة الثالثة، وهكذا حتى جاء دور تلك المجموعة التي تضم بينهن زوجة « لي يونج »

فتحركن تجاه الجدار كباقي المجموعات السابقة، اصطفين إلى الحائط بهدوء تام قبل أن تداعب أنفها رائحة الخوف التي تتصاعد من المرأة التي تقف على يمينها في استسلام تام، جسدها يرتعش بالكامل والدموع تتساقط منها رغماً عنها، الزوجة تُدرك جيداً أنها بحاجة ماسة إلى من يهون عليها لكن في الوقت ذاته هي لا تجسر على الكلام معها، ليس لأنها تخشى ردة فعلهم، لكنها لا تمتلك طاقة لفعل ذلك من الأساس، أشاحت وجهها بعيداً لكن ضميرها لم يتوقف لحظة عن وكزها بقوة لتُخفف عنها الدقائق المتبقية في عمرها؛ لأن هذه بالتأكيد لن تصمد أكثر من ذلك ، التفتت إليها مرة أخرى فوجدت وجهها يتسع وهي تبتسم بغرابة شديدة قبل أن تتحول الابتسامات سريعًا إلى ضحكات عالية، عالية جداً لفتت انتباه الجميع، تعالت الضحكات أكثر قبل أن تصرخ وتبكي وتخبر الجميع أنها لم تترك للحيوانات في الحظيرة أي طعام!! الموقف نزل على الجميع كالصاعقة، لم يُدركه أحد في البداية لكن سرعان ما فَهِم الجميع أنها تحت تأثير صدمة عصبية انهارت على إثرها أعصابها الواهنة فاهتلست وأخذت تُتمتم بكلمات غير مرتبة قبل أن تترك الصف وتركض إلى منتصف الفناء وهي تخبر الجميع بأنها ستذهب لتضع الطعام للحيوانات المسكينة التي تنتظرها في حظيرتها،

تركها الجنود حتى وصلت إلى منتصف المعسكر ثم أمطروها بوابلٍ من الرصاص جعلها تسقط على الأرض في لمح البصر، اتسعت عين الزوجة وتمكنت الدهشة من كل ركن في وجهها وهي تتابع ما يحدث أمامها، سيدة كانت بجوارها وتحولت إلى جثة هامدة في أقل من دقيقة دون أي ردة فعل تذكر بل إن الجنود اليابانيون فتحوا صنابير المياه عليهم لينالوا منها كما نال باقي المجموعات سلفًا.

أزاحت المياه المتدفقة الأتربة والأوساخ التي كانت تكسوهن حتى إنها أزاحت معظم ملابسهن لكنها لم تُزل الألم الذي يحوطهن من كل جانب بل إنها جعلته يتضخم بداخلهن كالبالون الذي يمتلئ بالغاز، انتهى تعذيب الاستحمام وهي ملقاة على ظهرها، وقدماها تصنعان زاوية منفرجة إحدى أضلاعها تستند على الجدار، اعتدلت وحاولت النهوض بإعياءٍ شديد في الوقت الذي بدأت تستمع فيه إلى وقع أقدام تتابع الخطى، إنه القائد الجنرال المسئول عن ذلك المعسكر، يقترب منهن وصوت حذاءِه العسكري يصنع ذلك الصوت الرطب حينما يدهس الرمال المبتلة، بدأ يتفرس في وجوههِن، والصمت يحط على المكان فيجعله كالقبر الموحش، عادت المجموعة الأخيرة إلى مكانها باللسعات والصفعات بجوار باقي

المجموعات ليقفن في انتباه تام بعدما صرخ الضابط الياباني فيهن بذلك، ظل القائد يحدق في الجميع وعلى محياه تلك الابتسامة الصفراء الغارقة في الخبث الشديد، بدأ يتحدث إليهن بتلك النبرة الجامدة التي تنُمُّ عن ثقته الشديدة بنفسِه واعتزازه بمكانته السامية وهن يرتعشن بسبب برودة الجو التي بدأت تلسع أجسادهن المبتلة شبه العارية.

– كنت في غاية السرور حينما علمت أن الفوج التالي سيأتي من مدينة نانجينغ بعد سقوطها، فنساء العاصمة جميلات ونظيفات على عكس سيدات القرى والمدن الريفية.

ابتسم باستفزاز شديد ثم أردف.

– أنتن من اليوم ملك للجيش الياباني، ستمكثن داخل هذا المعسكر إلى أن تمتن، لن تفعلن شيئًا سوى إمتاع الجنود حتى لا يشعرون بمعناة الحرب وهم يقتلون أقاربكن وجيرانكن وأطفالكن، من ستحاول الهرب أو الامتناع ستكون عاقبتها وخيمة، كتلك التي رفضت إمتاع جندي من جنودي بل وأصابته.

أشار ببنانه إلى تلك الفتاة العارية المُعلقة على جدران الفناء ثم أردف.



– ستبقى هكذا بلا طعام أو شراب حتى تموت، أتمنى ألا تلاقي إحداكن هذا المصير.

استمع القائد إلى صوت مياه تسكب على أرض المُعسكر المبتلة فنظر تجاهها فإذا بفتاة تبول على نفسها من أثر برودة الجو اللاذعة التي تصفع أجسادهن بلا هوادة، ابتسم القائد بشماته شديدة قبل أن يتجول بعينيه في كل السبايا قبل أن يسألهن مستفسرًا عن عدد البنات العذارى اللاتي لم يسبق لهن الزواج أو الاغتصاب، فرفعن أيديهن في خوفٍ وخنوع، عددهن ليس بالكثير الذي يكفي حاجاتهم، أطال القائد النظر إليهن ثم أمرهن أن يخرجن من المجموعة فتقدمن خطوات معدودة عن باقي زملائهن، جميعهن فتيات صغيرات لم يتعدين الثامنة عشر من عمرهِن، ابتسم القائد بوجهه البارد المستفز ثم انبرى بتلك النبرة التي تجمع بين السخرية والشماتة في آنٍ واحد.

– الفتيات العذراء رغم قلة عددهن ولكنهن محظوظات لأنهن سيمتعن القادة والمسئولين في البداية، وهذا يعتبر شرف عظيم، أمّا باقي الفتيات سيبدأن العمل في التاسعة صباحًا وحتى غروب الشمس، شغلهن الشاغل هو إمتاع الجنود فقط تحت قيادة ضابط صارم لن يتهاون مع إحداكن، أمّا الآن فقد جاء وقت التطهير.

لم يفهمن معنى كلمة التطهير، لكنه بمجرد أن زعق بصوتٍ عالٍ بعض الكلمات بلغته اليابانية ظهر أمامهم ثمانية ملثمين يحملون على ظهورهِم اسطوانات صفراء كبيرة يخرج منها خراطيم رفيعة مدببة بصنبور معدني طويل يندفع من خلاله مادة كُحول الإيثيل الحارق كرزاز شديد مضغوط بغرض التعقيم، أغرقوا أجسادهن برذاذِه الحارق الذي إذا لامس جرحٍ أو تسلل إلى العينين يصبح الألم لا يُحتمل، ظللن يتقلبن في هذا العذاب حتى تأكد الجنود أنه تم تغطيتهن بالكامل، انتهوا من كل المجموعات تباعًا وسط الذهول الذي يشمل جميع النساء، خاصةً الزوجة التي صرخت جروحها على إثر تلك المادة الحارقة التي تُرش عليهن كما لو كُن حيوانات مُعدية، انتهى الملثمون من تطهير الفتيات والسيدات، ثم تعالى صوت القائد بعدما اكتسب صرامة شديدة أُضيفت إليه وهو يزعق في الجميع ليتحركن في اتجاه مبنىً كبير مكون من طابق واحد يقع على مرمى بصرهن، يحمل في وجهته علامة الصليب الأحمر ونُقشت أسفله كلمة «عيادة طبية» باللغة اليابانية التي لا تفهما واحدة منهن، لكن الأمر كان واضحًا، ارْتَصّت السبايا أمام البوابة في صفين مستقيمين تحت لسعات العِصِي والسياط، يتحركن خطوة واحدة أو خطوتين كل عشر دقائق، لأن العيادة وعدد الأطباء لا يستوعب إلا أربعة



أشخاص فقط، تحرك الصفان على تلك الشاكلة البطيئة، حتى جاء دور الزوجة التي كانت ومازالت لا تبالي بأي شيء، وجدت نفسها تُزج بالقوة داخل المبنى، تلا عليها عقلها الباطن تلك التهديدات التي كانت تستمع إليها من الجنود اليابانيين طوال فترة انتظارها في الطابور «سيبقرون بطنك كالسمكة، سيشوهون أعضائك التناسلية، سيفقئون عينك» لكنها استفاقت سريعًا بعدما دفعها جندي بالقوة داخل عيادة مظلمة، كئيبة، ينبعث منها رائحة الظلم والعطن، هربت الدماء من عروقها وسكن الخوف كل ركن في جسدها وهي تجاهد ألا تُظهره لأحد، تتلفت حولها كالحائرة تتفقد العيادة المرعبة التي وجدت نفسها بداخلها، فوجئت بأصابع تُغرز في لحم ذراعها وترفعها إلى أعلى بغيظٍ لدرجة أن قدمها فصلت اتصالها بالأرض تمامًا، حملها اثنان داخل غرفة الكشف يرتدون الزى الطبي الأبيض المميز، وضعوها على سرير حديدي، قيدوا أطرافها بسلاسل إلى قوائم السرير، شدوا حزامًا بلاستكيًا على خصرها بقوة شديدة كأنهم يخشون طيرانها، دخل طبيب إلى غرفة الكشف وهو يُجفف يده من الماء بمنشفه بعد غسلها، بجواره مساعده شديد النحول، مريض الهيئة، جلس الطبيب على كرسي خشبي دائري صغير، نظر إلى موضع عفتها بعدما جردها مساعده من ملابسها

وبدأ الكشف عليها، يتفحصها مُتعمداً القوة المفرطة في التعامل، نظر إلى مساعده مريض الهيئة بسخرية ثم أخبره بلغته اليابانية.

– أريد منك أن تسألها هل هي متزوجة أم تعرضت للاغتصاب.

اتسعت عين المساعد وتبادل النظرات مع الزوجة التي ترمقه باستياء شديد جداً، سألها بلغتها الصينية ما يود الطبيب الياباني معرفته.

– يبدو على هيئتك أنك لا تنتمي إليهم؟؟

سألته الزوجة فخَفّضَ رأسه قليلاً ثم أخبرها من بين أسنانه أنه من بلدها لكنه يجيد لغتهم؛ لذلك هو يعمل معهم كمترجم فازداد استياء الزوجة وبدت ملامحها كأنها تبتلع لمونة كاملة شديدة اللذاعة.

– لماذا تنظرين لي هكذا؟؟

– حينما تذهب إلى دورة المياه لتغسل يدك من دماء أبناء وبنات وطنك وتنظر إلى نفسك في المرآة، هل تشعر أنك راضٍ عن نفسك، هل تشعر أنك تحترم ذاتك ونفسك.



– أشعر أنني راضٍ عن نفسي حينما أستطيع أن أحتضن أولادي كل يوم قبل النوم دون عائق.

صفعه الطبيب على رأسه مستفسرًا عن ترجمة كل هذه الكلمات فأخبره المساعد الذليل أن المرأة ترفض الإجابة، مما دفع الطبيب للضحك بوحشية شديدة.

– هل تعتقد أنني بحاجة إلى إجابتها أيها الخَنُوع الحقير، أنا لا أريد إلا إذلال بنات بلدك أمام عينك، هي لم تتعرض للاغتصاب، لكنها ستناله بشكل يومي بدءًا من الغد.

استمر في ضحكه الوحشي ثم أردف.

– هيا أيها الحقير فك أصفادها وأجعلها تغرب عن وجهي، فأنا لا أطيق النظر إلى العاهرات لوقتٍ طويل.

بدأ الجنود بفك أصفادها مع مساعد الطبيب والمترجم الذي يستمع إلى الطبيب وهو يُخبر الجميع بأنها خالية من أي أمراض جنسية وعليها الاجتهاد في إمتاع أفراد جيش الإمبراطور العظيم وإلا كان هلاكها هنا، انتظرت الزوجة حتى فكوا أصفادها بالكامل ثم نهضت واقفة متناسيةً كل الألم البدني والنفسي الذي يحيط بها وصفعت



مساعد الطبيب بكل قسوة على وجهِه ثم بصقت عليه قبل أن يتدخل الجنود ويمنعوها من الاستمرار في ذلك.

– هذه الأشياء لتتذكرني وتتذكر ما يحدث لأبناء وطنك وأنت تُقبل أولادك.

طأطأ المساعد رأسه بالقدر الذي يُظهر مدى الذل والهوان الذي يقع تحت تأثيره.

– لا تحكمي علي الآن فأنتِ لا تعلمين ما مرَّ علي حتى أفعل ما أفعله الآن، أنا ضحية لمعارك كثيرة لا أحد يعلم عنها شيئًا.

بصقت عليه مرة أخرى والجنود يسيطرون عليها هذه المرة، لا يعطون لها أي مجال للحركة، تقدم تجاهها الطبيب وهو يحمل في يديه الشارة التي يلصقها على صدورهن ليعلم الجميع أنها صالحة للاغتصاب لكنه لصقها على مؤخرتها عقابًا لها على ما صدر منها وهو يوبخها ويأمر الجنود بأن يلقوا بها خارج عيادته فقد بدأ الاشمئزاز يتمكن منه بسبب وجودها فحملها الجنود غيظا وقادوها إلى الخارج، انضمت إلى النساء اللاتي لا يُعانين من الأمراض، الجميع ينتابهم حالة شبيهة بالصرع الذي كان يحكي عنه دائمًا «دستويوفسكي»، الخوف يسكن قلوبهن والتوتر يتلاعب بأعصابهن بسبب

المصير المظلم الذي ينتظرهن داخل المكان القاسي الذي يقع على الشاطئ الآخر من الحياة، انتظر الجميع حتى انتهى الأطباء من الكشف على كل السبايا، بعدها تم عزل المريضات الآتي تعانين من أمراض، وكان عددهن لا يقترب من ربع العدد الكُلي فأمر القائد بأن يتم تعين الأصحاء منهن في التنظيف أمّا الباقيات فالوحدات الأخرى التي تقع بالقرب منهم أولى بهن كالوحدة ٧٣١ التي يقودها الطبيب الضابط «شيرو إيشي»، سحبهن الجنود بقوة مفرطة وسط صراخ وعواء شديد خاصةً تلك السيدة التي عزلوا ابنتها عنها مع النساء اللاتي لا يعانين من أمراض، كانت تعلم بأن مصيرها مجهول وبنسبة كبيرة سيكون الموت، وهذا لا يشغل بالها أكثر من قلقها الشديد على ابنتها التي وهبها الأطباء للاغتصاب، سقطت على الأرض تصرخ وتحاول الوصول إلى ابنتها التي تُشبهها تماماً في ردات أفعالها، لكن الكلمة الأعلى كانت للجنود الذين سحبوها من قدميها إلى مصيرها الذي ينتظرها، أنسلخ كل المرضى عن المجموعة المتعافية التي سِيقت إلى مبنى أخر يبعُد حوالي أربعمائة متر عن العيادة، يركضن دون توقف أو تهاون ومن تتباطأ في حركتها تنال لسعة غاشمة من سوطٍ أو عصا يابانية، وقعت عين الزوجة على ثلاث فتيات مكبلات الأيدي في وضع النسر المُحلق، أذرعتهن مشدودة بهدف إنهاك العضلات



واستنزاف الطاقات، يقفن على طاولة خشبية طويلة كتلك التي يوضع عليها الطعام، على سطحها تناثرت قطع الزجاج المُهشمة المُغطاة بدمائهن التي سالت من أرجلهِن كلما تحركن في تلك المسافة الصغيرة التي تسمح بها القيود، وجوههن تبدو عليها آثار الضرب المبرح، حتى إن إحدى الفتيات عينيها كانت تحيط بها هالة كبيرة زرقاء داكنة تشوه مظهرها بشكلٍ يُرعب القلوب، أجسادهن شبه العارية التي ترتعش بشدة بسبب البرد الذي تعاني منه المدينة وتحمل آثار ضربٍ مبرح وحروق من الدرجة الأولى، ترمقهم الزوجة وهي تركض وتقترب من ذلك المبنى الذي يتجهن إليه بأمرٍ من قائد المعسكر، الذهول بقى أمرًا عاديًا وشبه ملازم لها منذُ مذبحة نانجينغ التي شاهدتها بعينيها ولا تدري أي ذنب قد اقترفه الصينيون لينالوا كل هذا العذاب والدمار.

وصلت إلى المبنى المقصود، هناك يقف ملازم ياباني صارم عند بوابته السوداء يدفع الفتيات بالقوة المفرطة إلى الداخل حتى أن بعضهن سقطن على الأرض، جاء دور الزوجة فوجدت نفسها تُدفع بالقوة إلى طرقة طويلة تتراص على جانبيها الزنازين بأحجامها المختلفة ويسكنها الجنون، الضرب داخل المبنى كالمهرجان لا ينقطع أبدًا، حالة من الجنون تنتاب الجميع، عِصي وسياط تنزل على



أجسادهن دون شفقة وهم يقادون إلى الزنازين، رائحة كريهة للغاية مختلطة بين البول والدماء والصديد دفعتها لتسد فتحتي أنفها بيدها فتنال نصيبها من الضرب والإهانة قبل أن يصرخ في وجهها جندي ياباني بلغته التي تجهلها ثم دفعها تجاه السلم فصعدت إلى أعلى وهي لا تدري أن هذا ما كان يقصده ، تكرر معها السياق ذاته في الطابق الثاني فصعدت إلى الثالث لتكتشف أنه أهدأها، هو لا يخلو من الضرب والعذاب ولكن الجنون فيه أقل بكثير، الصفع والضرب مستمر في الرواق الموجود بين الزنازين، عليها العبور من خلاله فنالت على جسدها ما كُتِب عليها قبل أن يدفعها أحد الجنود داخل زنزانة ويغلق بابها السميك الذي يحتاج إلى قذيفة مدفع كي يتحطم ، باب مصمت بالكامل به كوة واسعة عليها قضبان حديدية تسمح بإدخال الطعام، دخلت الزوجة إلى الزنزانة بصحبة الألم النفسي والجسدي، لا تصدق ما يحدث أمامها ولا تستوعب أن هذه الأحداث حقيقية، أصوات الصراخ في الخارج لازلت مستمرة ومختلطة باللسعات والصفعات، ظلت الزوجة تقف خلف الباب تنظر عبر الكوة وهي تحت تأثير صدمتها الشديدة التي تستفحل بداخلها منذُ سقوط العاصمة، الملازم الياباني الذي كان يدفع السيدات عند بوابة المبنى صعد إلى الطابق الثالث بصحبة مجموعة من الجنود معهم خمس فتيات وأربع سيدات، من



بينهم واحدة تُعاني من كدمات شديدة في ساقيها على إثر رحلة الانتقال إلى ذلك المعسكر اللعين، الملازم يصرخ بقوة ليسكن الزنازين، تباطأت تلك المُصابة قليلاً بسبب صعوبة الحركة على قدمِها المُصاب فاقترب منها الملازم في الوقت الذي بدأ فيه الخوف يغزو قلبها فتعالت دقاته، دون مقدمات صفعها الملازم صفعة شبيهة بالقنبلة لبشاعتها وقوتها التي أطاحت بها بعيداً وأرغمتها على السير لخطوتين قبل أن يفترش جسدها الأرض بعدما سقطت على ظهرها، أنهال عليها الزبانية بالعِصِي اللدنة وهي تتلوى كالثعبان وتصرخ من شدة الألم الذي يلحق بها من كل جانب، تهلل وجه الملازم وهو يتابع ما يحدث، انتظر دقيقة كاملة مرت على تلك المسكينة دهراً ثم أمر الحراس بالتوقف عن الضرب فابتعدوا عنها ليقترب هو بهدوء يلقي نظرة على جسدها الذي اصطبغ معظمه بلونًا أرجوانيًا داكنًا، ابتسامته تتزايد وهو يرسل بصره يمينًا ويسارًا فيكشف عن ردة فعل الجميع، خرج الملازم الياباني الصارم عن صمته وتحدث إليهن بلغتهن التي أصبح يُجيدها.

– أنتن لن تأتين إلى هنا من أجل الاستجمام أو قضاء وقتٍ ممتع، أنتن هنا من أجل خدمة وإسعاد الجيش الياباني العظيم، وأول شيء في إسعادنا هو إطاعة الأوامر طاعة عمياء وإلا كان جزاءكم مثل

جزاء العاهرات العاريات المعلقات في الخارج يأكلهن البرد أكلاً.

تبرعت إحداهن بعدما غلت الدماء في عروقها لما حدث لزميلتها فاندفعت بصوتٍ زاعق تنهر ذلك الملازم البغيض.

– هي لم تفعل شيئًا لتنال كل هذا الضرب، هي مُصابة ولا تقوى حتى على الحركة.

تجمد الزمن في أذهان الفتيات الجالسات داخل الزنازين منذُ أسابيع ويعرفن الجحيم الذي ينتظر هذه الفتاة التي تجرأت بالرد على ملازم من الجيش الإمبراطوري، ابتسم لها ابتسامة صفراء خبيثة لا تُنذر إلا بعذاب حتمي وهو يتفرسها بعينيه الّتين ضاقتا أكثر على إثر ابتسامته الشيطانية، تقدم تجاهها ولا تزال الفتاة التي تفترش الأرض بجسدها تئن بالألم، تعمد الملازم أن يقف على قدميها الممدودة على الأرض بكامل وزنه لأنها تقع في طريقه حتى أدرك تلك المتبرعة التي نهرته، اختلطت أنفاسه الساخنة التي كانت تخرج من أنفه كالجحيم مع أنفاسها السريعة الباردة وهي تفكر في مصيرها المُظلم، لم تدرك غباء فعلتها إلا بعد أن قدحت الزناد وخرجت الرصاصة من فمها.

– هل عينك أحدٌ محامية عليهن أيتها البغية؟؟



سألها الملازم الياباني في حزمٍ فلم تنطق، تحركت شفتاها بالأدعية التي تحفظها عن ظهر قلب لعلها تُنجيها مما هي فيه، رمق الملازم ثغرها الذي يتحرك ثم سألها.

– بم تُتمتمين؟؟

– لا شيء.

– كيف لا شيء وأنا أرى شفتيكِ تتحرك!!

– أنا أدعو الرب لينجيني مما أنا فيه.

هذه الإجابة جعلت الملازم يبتسم ليعبر عن مدى ثقته بنفسِه.

– الرب !! هل أنتِ مسيحية؟؟

– نعم.

– وكيف سيُنجيكِ الرب وهو لا يعلم أين أنتِ، لن ينجيكِ منا أحدٌ سوانا.

ارتعد كيانها على إثر تلك الكلمات القوية التي لا تخرج سوى من فمٍ فاجر وصل به الفُجر عنان السماء.

– الرب يعلم كل شيء، ولو أراد ذلك سيخلصني من هنا.

– أحب أن أرى ذلك.

قالها ساخرًا ثم سحبها من ملابسها ودفعها بقوة فسقطت على الأرض ليهوي الجنود على جسدها بالعِصِي اللدنة التي تصدر صوتًا مرعبًا في الهواء قبل أن تترك آثارها على جلدها، تصرخ الفتاة صراخًا وحشيًا وتتلوى كما لو كانت تنام على صاجٍ ملتهب، ضربوها حتى فقدت رشدها وباتت غير قادرة حتى على أن تئن بألمها الذي تَفَاقَم بسرعة رهيبة.

– أين إلهك الآن أيتها الفاجرة، أنا لا أراه يدافع عنكِ.

قالها الملازم بتفاخر شديد ثم، أمر الجنود بالتوقف عن الضرب ثم بدأ يجوب الرواق الذي تقع على جانبيه الزنازين ذهابًا وإيابًا مُصدرًا صوت ارتطام حذاءِه بالأرض.

– قد أخبرتك أن لا أحد يستطيع أن يُنجيكِ من أيدينا سوانا.

اعتلت وجهه ابتسامة فوز وانتصار ثم تحدث إلى الجميع.

– أخلدن إلى نومكن فأمامكن غداً يوماً طويلًا ومرهق فهناك فرقة من الجيش سوف تصل في الصباح للاستجمام، ولا أريد أن يُصاب أيًا منهم بالملل وإلا كانت العاقبة وخيمة.

أنهى كلامه ثم أمر الجنود بأن يأتوا بتلك الفتاة التي ضُربت، أمّا الأخرى التي تعاني من كدمات أمر بإلقائها في أحدى الزنازين، في ثوانٍ معدودة كانت الفتاة داخل زنزانتها دون رعاية طبية أو تقديم عقاقير ليُحدوا من ألمها، أمّا الأخرى فحملوها من تحت إبطها وسحبوها بشكلٍ جعل نصفها السفلي يزحف على الأرض الخشنة ويمرون بها أمام الزنازين القائمة كالأشباح الميتة، تجمع الخوف والقلق والهلع في قلب الزوجة والفتاة تُجر أمامها في مشهدٍ جنائزيٍ حزين حتى خرجت، فتذكرت ما حدث لأبنائها وزوجها ورضيعها، فجأة انطفأت الإضاءة الواهنة التي كانت بالكاد تُضيء المكان فتحول المبنى إلى قبرٍ مُظلم لا تستطيع أن ترى في ظلمتِه أطرافك، ويضم في أحشائِه السبايا اللاتي سَكن زنازينهن بصحبة الخوف والألم .

بدأت الزوجة تتحرك داخل الزنزانة الخانقة بعد وقوفٍ دام لأكثر من عشرين دقيقة كاملة أعادت فيها ذكرياتها الأليمة والأحداث المؤسفة التي مرت بها أسرتها، تتحرك بحذرٍ شديد داخل الزنزانة المظلمة حتى لا تقودها قدماها الضريرة للاصطدام

بحائط أو تكون هناك خدعة ما، جلست بهدوء وأسندت ظهرها على حائط الزنزانة الخشن ثم بدأت تدعو اللّه بقلبٍ مُوقنٍ بالإجابة، ارتفع صوتها بالدعاء تدريجيًا حتى أتاها صوت نسائي من داخل الزنزانة التي كانت تحسبها خاوية – فإضاءة المبنى الواهنة التي بالكاد تُنير الممر لا تستطيع أن تتسلل إلى داخل الزنازين، الظلام هو سيد الموقف بالإضافة إلى سرعة الأحداث التي لم تعط لها المجال لاكتشاف أي شيء – ارتعدت الزوجة وجف ريقها بغتة وبدأت تتلفت في الظلام الحالك الذي لا يكسره أي شعاع ضوء، فأتاها الصوت النسائي ثانيةً.

– لا تخافي، نحن رفقاء زنزانة واحدة لهذه الليلة على أقل تقدير.

شملتها حالة من الارتباك والتوتر وهي تسألها كيف تتمكنين من رؤيتي داخل ذلك الظلام الحالك؟ فضحكت بشدة قبل أن تُجيبها.

– ستعتادين هنا في ذلك المعسكر اللعين على فعل أشياء كنتِ تحسبينها مُستحيلة في الماضي؛ فبعبورك تلك البوابة السوداء الكبيرة أنتِ قد عبرتي بوابة من بوابات الجحيم.



انكمشت الزوجة في مكانها على أثر تلك الكلمات قبل أن تتناول أذنها أصوات بكاء تأتي من كل زنزانة حولها، أصوات نحيب مكتوم فسألتها الزوجة عن سبب بكائهن.

– إنهن خائفات مما سيحدث غداً.

– هل سيقتلونهن؟؟!!

– أنتِ ساذجة، هُن يتمنين الموت الآن؛ فالموت في هذا المكان يعني الرحمة، ألم يُخبرك أحدٌ بذلك؟؟

– بلى أخبروني وأنا على علم بما سيحدث غداً، لكني بحاجة إلى أي شيء يُطفئ لهيب قلبي الملتاع.

– أنتِ على علم فقط، لكنكِ لم تُدركِي حجم العذاب التي يستتر خلف تلك الكلمات البسيطة، ستصل شاحنة ممتلئة بالجنود المهوسيين بالاغتصاب بحجة أنهم يحاربون منذُ مدة ويحتاجون إلى الترويح عن أنفسهم، في الصباح ستصبح كل واحدة منا مجبرة على ممارسة الجنس مع عشرة رجال على الأقل ومن ترفض أو تُحاول المقاومة سيسقونها عذاباً مُهين قبل أن تموت.



– إنه اختبار من اللّه سبحانه وتعالى، وسيمر مهما كانت صعوبته.

– اختبار !!! أنتِ مخبولة، عن أي اختبار تتحدثين؟؟!!

– اللّه يختبرنا كما أختبر عباده من قبل.

– أنتِ معتوهة لا محالة.

– لا أنا مؤمنة بقضاء اللّه.

– هل إلهك يرضى لكي الذل؟؟

– لا، إلهي يختبر إيماني.

– يختبر إيمانك بأن يترك البشر يغتصبونكِ!!

– الاغتصاب أقسى أم فقدان أحد أبنائك.

– أنا لم أجرب إحساس الأمومة لأعلم أيهما أصعب، ولكن الاغتصاب شيء في غاية القسوة.

– أنا تذوقت إحساس أن أفقد أبنائي، قُتلوا أمامي، لكن لم أجرب إحساس أن أقتل أبنائي.

– وما علاقة هذا بكلامنا ؟؟!!



– اللّه طلب من نبينا إبراهيم أن يقتل ابنه وهذا كان اختبار صعب، نبي اللّه حاول أن يجد حلًا للخروج من ذلك لكن لم يجد حلًا أمامه سوى تنفيذ قضاء اللّه، ولكنه كان على يقين بأن اللّه سيُنجي ابنه، وبالفعل فداه اللّه بكبشٍ عظيم، أنا على هدى نبي اللّه، ومن قصته تعلمت أن أثق باللّه مهما ضاقت بي الظروف.

– أنتِ مسلمة أليس كذلك؟؟!!

– نعم.

– أنا بوذية حالي حال معظم الجنود اليابانيون ولكن هنا لا فرق بين مسلم أو مسيحي أو بوذي، الكل هنا للمتعة، والقداسة فقط للإمبراطور الياباني هيروهيتو، هذا ما سمعته من جندي وهو يغتصبني منذُ أيام.

– في البداية تتحدثين عن الأمر على أنه جريمة والآن أشعر من كلامك أنه أمرًا عاديًا!!

– أنا أعتدت على الأمر كما أخبرتك من قبل، فأصبح مثل الجوع، الألم، الإهانة، الاغتصاب، كلها ستصبح أشياء عادية مع مرور الوقت، وستصبح هكذا معك ولو أنني أرى أنك على استعداد نفسي لتقبل أي شيء.



تذكرت الزوجة أنها لم تأكل شيئًا منذُ ساعات، لكن خوفها الشديد وقلقها جعلها تتناسى الجوع فلا تشعر بهصر معدتها التي تصرخ منذُ ساعات، فبدأت تقتنع أن هذه السيدة مُحقه في كل ما تقول، قطعت حبل أفكارها وهي تسألها من أين أتت.

– نانجينج.

– أنتِ من العاصمة الصينية.

أجابتها الزوجة والحسرة تسكن بين ثنايا صوتها.

– نعم.

– سمعت من بعض الجنود أنها تعرضت لمجزرة بشعة منذُ أيام راح ضحيتها الآلاف.

– نعم، الرعب أصبح يسكن كل متر في المدينة منذُ أن أقتحمها قوات الجيش الياباني المغتصبة، لم يتركوا شيئًا إلا وانتهكوه، منازل، مصانع، مستشفيات، حتى الأطفال لم ينجوا من القتل والذبح.

بدأت الزوجة تجهش بالبكاء.

– لماذا تبكي؟؟

– لقد قتلوا رضيعي أمام عيني وهو لم يبلغ عامه الأول، قتلوه ببشاعة دون شفقة أو رحمة.

– هذا ما تفعله اليابان في كل دول أسيا، بلدتي أيضًا لم تنج من بطشهم.

– أنتِ لا تنتمين إلى هنا؟؟

– نعم، أنا من إمبراطورية كوريا.

أثار ذلك دهشة الزوجة فسألتها كيف تحدث الصينية بطلاقة وما الذي أتى بها إلى هاربين، ضحكت المرأة طويلاً قبل أن تُجيبها.

– هذه قصة طويلة ولكني سأحكيها لكِ، فأمامنا وقتٌ طويلٌ قبل أن يبدأوا في اغتصابنا.

* * *

الحياة في مدينة تشونغجو الكورية هادئة تمامًا، لكنها لا تخلو من بعض الأحداث المريعة التي يتناقلها أهالي المدينة التي تتمتع بمناظر طبيعية خلابة وسكان هادئون لا يشغلهم سوى العمل والعودة إلى المنزل في وقتٍ باكر، «جاندي» هي فتاة كورية في بداية عقدها الثاني، نشأت في تلك المدينة التي تبتعد عن زحمة المُدن



وضجيجها وغبارها الخانق، لكن ضيق الحال وقلة المال كان الشيء الوحيد المشترك لدى سكان المدينة بسبب حالة الحرب التي تعيشها جزيرة كوريا تحت العدوان الياباني الغاشم الذي بدأ في التاسع والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩١٠ ولا تزال من وقتها الجزيرة تحت سيطرة الجيش الإمبراطوري الياباني، «جاندي» كعادتها داخل أحدى الحقول تقوم بجمع المحصول طوال النهار ثم تذهب في نهاية اليوم قبل غروب الشمس إلى منزلها بصحبة نقودها القليلة التي لا تكفي لشراء أي شيء، أستمر الحال على هذه الشاكلة الروتينية المملولة حتى قابلت صديقتها أثناء عودتها في أحد الأيام، فأشفقت عليها وعلى حالها الذي يتجسد في التعب والإعياء والشحوب علاوة على البقع الداكنة التي اتخذت من أسفل عينيها مقراً لها، سألتها عن سبب هذا الإنهاك الذي يأكل جسدها فأخبرتها أنه بسبب العمل المرهق الذي لا طائل منه سوى العناء، فاستبان الأمر لها وأدركت أنها بحاجة إلى وظيفة توفر لها عائداً يفوق ذلك العائد الزهيد التي تتقاضاه.

– أنتِ بحاجة إلى عملٍ آخر يا جاندي يوفر لكِ عائداً أفضل.

– أعلم ذلك لكن أين هو، البلد في حالة حرب، وكل شيء صار صعباً.



تهلل وجهها بالبشر والحٌبّور ثم أخبرتها أنها تستطيع أن توفر لها هذا العمل.

– حقًا ، ستكون مساعدة كبيرة ودَين لا يٌنسى.

– نحن أصدقاء يا جاندي وهذا حقك، ستعملين في مصنع للمطاط.

– لكنني لا أمتلك أي مهارة لفعل ذلك؟!

– لا يهم، هم سيتولون كل شيء، سيقومون بتدريبك وإعطائك المال الوفير، سنذهب سويًا في الصباح لمقابلة صاحب العمل.

هزت جاندي رأسها متفهمه قبل أن تؤكد عليها صديقتها الميعاد مرة أخرى وتُخبرها أن غداً هو فرصتها الأخيرة، غادرت غاندي وفي رأسها عواصف اللقاء مستمرة، تُفكر في كلام صديقتها وتمني النفس بأن يكون هذا العمل ملائمًا وتحصل منه على النقود التي تحتاجها هي وأسرتها.

في اليوم التالي استقلت سيارة أجرة بصحبة صديقتها في رحلة الذهاب إلى صاحب العمل، جلست جاندي على المقعد تفكر في اللقاء الذي سيجمعها به بعد قليل، أراحت رأسها على قمة ظهر المقعد الذي تمزق جلده وبرز من تحته



الإسفنج الخشن الملوث الذي يحشوه، وصلوا إلى مكتب صغير متوسط الحال يجلس فيه رجلٌ خمسيني غير مريح بالمرة، لا تتوقف عيناه عن التأرجح كعين الحرباء، دخلت جاندي بصحبة صديقتها إلى المكتب بحذرٍ شديد، لا تعلم لماذا أصابها شعور بعدم الارتياح والطمأنينة، لكنها كانت تهدئ من روعها بالتفكير في فرحة أمها وأخواتها حين تعود لهم بالنقود الكثيرة، تحملت جو المكتب الخانق المعبأ بدخان التبغ، قدمت له الفتاة صديقتها ثم أخبرته بأنها ترغب في العمل بمصنع المطاط الذي هو مسئول عن توظيف العمالة به، الخجل يغزوا قسمات وجهها لدرجة أنها لا ترفع عينيها عن رؤية حذائها، جذبها الخمسيني من كتفها ثم رفع وجهها لتنظر إليه وإلى ابتسامته الخبيثة التي تكاد أن تُمزق وجهه اتساعها، العمل في مصنع المطاط شاق ويحتاج إلى مجهودٍ كبير هل تعلمين ذلك، سألها الرجل فأومأت له برأسها قبل أن يسألها عن هويتها فأخرجت له بطاقتها، أخذها منها وتطلع إليها وهو يتنقل بعينيه بين المعلومات التي تعجُّ بها وبين جسد الفتاة الفاتنة.

– ستذهبين بصحبة زملائك في جولة إلى المصنع لرؤية طبيعة العمل المطلوب منكِ.



قالها بجرعة كبيرة من الود الذي لا يتناسب مع مظهره ونظراته، سألته عن موعد الزيارة فأخبرها أنه في غضون ساعتين من الآن، أخذها إلى غرفة أخرى لها باب واحد داخل مكتبه، فتح الباب فإذا بها تكتشف أن الغرفة تكتظ عن آخرها بفتيات بالكاد تعدين سن المراهقة، ضربها لحظتها المزيد من اليأس، سألت الرجل الخمسيني هل كلهن سيعملن في المصنع، نظر لها وابتسم بخبث شديد قبل أن يخرج ويُغلق الباب ويوصده من الخارج بصرامة، حاولت أن تسأله عن صديقتها التي أتت بها إلى هنا لكنه لم يعطها المجال لذلك، قبعت جاندي مثل كومة من أوراق الشجر الجاف في أحد أركان الغرفة تشاهد بعينيها باقي الفتيات اللواتي جئن بنفس الدافع، الفقر الشديد والحاجة إلى المال هي الصفة التي جمعتهن في ذلك المكان.

مرت ساعة كاملة حتى استمعن إلى صوت الباب يُفتح فانتبه الجميع، دخل الرجل وبصحبته عدد من الرجال غلاظ الوجه وأقوياء البنية، يتقدمهم رجل قصير يبدو كالنملة التي تدبّ من حولها الخراتيت بسبب أصحاب الأجسام العريضة، أشمط الشعر يُدخن التبغ، إنه زعيمهم الذي بدأ يوزع النظرات على الفتيات ويتفحصهن قبل أن يراودهن عن صمتهن بسؤال لم تتوقعه إحداهن، هل أنتن



عذارى أم أن هناك متزوجات؟؟ سؤاله الخبيث لم يجلب سوى نظرات وأمارات الدهشة التي اعتلت وجوههن فتبادلن نظرات الحيرة والخوف من السؤال، أعاد القصير سؤاله مرة أخرى ولكن بشراسة أكثر هذه المرة، تبرعت إحدى الفتيات وسألته بصوتٍ متهدج مهموم.

– ما علاقة الزواج والعذرية بالعمل في المصنع؟

بمجرد أن انتهت من طرح سؤالها وجدت الرجال مفتولي العضلات يحدقون فيها بالأعين التي ينظر بها المشنوقون فتكومت على نفسها ورجعت إلى الخلف خطوتين قبل أن يجيبها القصير بأنه يعاني من النساء المتزوجات، فعملهن دائماً ضعيف علاوة على أنهن يردن الذهاب يومياً إلى البيت لرؤية أطفالهن وهذا يعيق العمل الذي يمثل كل رأس ماله، أراحت إجابته الفتيات فأجبن عليه وأخبرنه أنهن جميعاً عذارى لم يسبق لهن الزواج.

– جيد جداً، الآن سنذهب سوياً لرؤية المصنع الذي يبعد مسافة قصيرة عن هنا.

قال جملته الأخيرة بعينٍ مائلة يملؤها الخبث الشديد، فهم الرجال الأشداء بجذب الفتيات بالقوة إلى الخارج حيث السيارة الكبيرة التي صعدن على ظهرها بالقوة، طوق الرجال كل أركانها بعد أن



حشروهن بالقوة ثم انطلقت السيارة تقطع طرق طويلة لا قبل لإحداهن بها، وكلما تبرعت واحدة وسألت إلى أين نذهب نالت على وجهها وجسدها ما يجعل الباقين يحتفظن بالهدوء والسكون لأطول فترة ممكنة، بدأ القلق يُداعب جاندي لكنها لم تدرك حتى الآن أنها اختطفت مع باقي الفتيات بواسطة صديقتها.

وصلت السيارة إلى محطة قطار قديمة، أمر الرجال الأشداء الفتيات بالنزول من السيارة بصوتٍ مريع النبرة، ثم قادوهن إلى قطار قديم وبدأوا يحشرونهن بالقوة داخل عربة قطار خاوية تماماً كعربة قطار البضائع، لا يجيبون على أي أسئلة وأي فتاة تتباطأ يُلقنونها درساً قاسياً، جاندي تحدق في الجميع بعين مليئة بالذعر والترقب غير المفهوم، لا تُدرك من هؤلاء ولا إلى أي طريق ستذهب بالقطار، عقلها يرتاب في فكرة الذهاب إلى المصنع، قلبها يُحدثها بأن هناك أمراً آخر أكثر سواداً.

تحرك القطار بعدما أقعدوهن داخل العربة بالقوة الجبرية ثم وقفوا على الأمر في تحفزٍ تام، لا تجرؤ فتاة على أن تهمس بصوت خفيف في أذن زميلتها وإلا نزل بها عذابٌ أليم، استمر القطار في طريقه ساعة تلو الأخرى، الرعب يحاصرهن من كل جانب والخوف كذلك، فلم تجد بعض الفتيات شيئاً سوى الهروب إلى النوم فغلب بعضهن فاستسلمن

للغفوة بعدما تراخت أطرافهن، قاد النعاس الحتمي إحدى الفتيات إلى كشف جزء كبير من ساقيها الممتلئة والمثيرة في الوقت نفسِه ، سال لعاب أحد الرجال الأشداء على ما كُشِفَ من لحمٍ أبيض طري، تحرك تجاهها متوسلاً السُّبل حتى وجد نفسه أمامها جاثمًا على ركبتيه أمامها، استفاقت الفتاة صاحبة الفخذ العاري من نومها فرأت عينيه الناظرة نحوها تتسع فجوراً، لم يترك لها مجالاً للنهوض أو الحركة، انقض عليها كالحيوان الجائع يلتهم منها قدر ما شاء، توترت الأجواء واختلطت الأصوات واصطخب الجميع، لكن استطاع الرجال أن يُسيطروا على الوضع، لكنهم لم يستطعون السيطرة على هذا الرجل المفتون، تركوه حتى أنهى فعلته وسط صراخ الفتاة التي لم يتحرك أحدٌ لإنقاذها من بين فكيه، صدحت الأصداء داخل العربة بمجرد أن انتهى الرجل من فعلتِه واستعاد توازنه، نهره زملائه ووبخوه على فعلته.

– لم أتمالك نفسي أمامها.

– أنت بهذه الطريقة الهمجية وضعتنا في موقفٍ سيء للغاية.

– لماذا؟؟



– ألم تعلم أن التعليمات جاءتنا بأخذ الفتيات العذارى فقط، هذه أصبحت فتاة ثَّيب بسبب فعلتك الحمقاء.

نظر إليه متمهلاً كأنه يفكر ملياً.

– وهل لدينا وثيقة تلزمنا بعددٍ بعينه.

– بالطبع لا.

– جيد.

انطلق كالقذيفة ناحية الفتاة، سحبها من شعرها واقترب بها نحو باب عربة القطار وهي تُحاول المقاومة، ثبتها وهي تصرخ ثم ركلها بقدمِه في ظهرها لتجد نفسها خارج القطار، ألقى بها لتلقى مصرعها بكل سهولة وسط ذهول الجميع لفعلِه الأحمق الذي لا يختلف فيه عن الحيوان الأعجم، نظر إلى الجميع وأخبرهم أن الآن صارت كل الفتيات عذارى، ثم جلس في استعلاءٍ وتكبر يُدخن لفافة تبغ وكأن شيئًا لم يحدث، هنا زايل الخوف جميع الفتيات بعدما تأكدن أن ما يحدث هو شيء بعيد تماماً عن مجرد رحلة إلى مصنع المطاط.

وصل القطار إلى محطته الأخيرة، وما لبث أن توقف حتى بدأت الصفعات والركلات العشوائية، أنزلهن



من القطار ليركبن سيارة كبيرة مكشوفة من تلك السيارات العسكرية فتسير بهن ليومين حالكين ليجدن أنفسهن في النهاية داخل معسكر للقوات اليابانية، ومن معسكر إلى معسكر بغرض نفس الفعل الفاحش لإمتاع الجنود حتى وصل بعضهن إلى معسكر هاربين ومن بينهم جاندي التي أعجب بها قائد المعسكر في البداية وأطلق عليها اسم ياباني وهو «هاناكو» بدلاً عن ذلك الاسم الكوري «جاندي» السيئ من وجهة نظره.

ظلت هاناكو حبيسة في ذلك المعسكر لا تنال سوى اغتصاب وإهانة بشكل شبه يومي حتى حضرت لها الزوجة واقتسمت معها زنزانتها بعد عدد كبير من النساء اللاتي توفين ولم يستطعن المقاومة.

* * *

تستأنف الفتاة الكورية كلامها مع الزوجة داخل الزنزانة المظلمة.

– منذُ أن تم اختطافنا ونحن لا نفعل شيء سوى أمتاع الجنود لكني فتاة محظوظة، لأني لازلت أتنفس ولم أفقد عقلي علاوة على أنني أنقل كل فترة إلى معسكر مختلف حتى لا يشعر الجنود بالملل.



احتل السكون المُسهب المكان؛ فقد آثرت الزوجة الصمت التام بعدما انتهت الفتاة الكورية من حديثها الذي ذهب بها إلى آخر حدود الدهشة، وجعلت الكلام يفر من لسانها كما يفر المرء من حيوانٍ ضارٍ.

– أرى أنكِ تحت تأثير صدمة كلامي وهذا شيء متوقع لكنه لن يدوم كثيراً.

– كيف تتحدثين بكل هذه البساطة هل هي ثقة في الإله!!

– يبدو أنكِ تعانين من مشكلة في الذاكرة، أخبرتك أنني اعتدت على ذلك.

– ما حدث في العاصمة أمرٌ مريع.

– كل شيء أصبح مريعًا، تحديداً منذُ أن بدأت اليابان باغتصاب القارة، ما هي قصة ابنك الرضيع، أريد أن أعرفها؟؟

صمتت الزوجة لدقائق قليلة قبل أن تجيبها.

– أنا غير قادرة على الكلام، أجفاني ثقيلة وأريد أن أنام.



– أذهبي إلى النوم، غداً ستحتاجين إلى الكلام بعدما يلتهب صدرك، سأعلم منك كل شيء غداً.

– بإذن اللّه.

لم تستطع الزوجة النوم بسهولة، فكيف للنوم أن يأتيها بعد كل هذه الأحداث المؤسفة التي تحتاج إلى شهور طويلة لحدوثها، مرت عليها في يومٍ كئيب طويل، لكنها في الوقت نفسه أرادت التخلص من رفيقة الزنزانة المزعجة التي لا تكف عن الكلام فهربت منها بحجة النوم، أسندت رأسها إلى الحائط، تفكير طويلً في تلك الأحداث العصيبة التي مرت عليهم منذُ أن بدأت العاصمة الصينية نانجينغ بالسقوط شيئًا فشيئًا في قبضة الجيش الياباني الفاشي، بعد مقاومة لم تستمر لأيام انتهت بانسحاب كامل للجيش الصيني بعدما نفذت ذخائرهم وقُتِل منهم الكثير، سلسلة من التفجيرات أصابت المدينة بعدما تأكد الجيش الياباني من فرار جيش المقاومة أمامهم، فأرادوا تأديب المدنيين جزاءً لهم على إهدار وقتهم الثمين في المقاومة، قصف جوي ومدفعي مستمر أدى إلى خروج الجحيم من باطن الأرض، أسفر عن نيران قادرة على التهام مباني كاملة تتكون من عدة طوابق في دقائق معدودة، أعمدة الدخان السوداء حجبت عن ساكني المدينة رؤية السماء حتى أن الكثير منهم أو من يعانون من مشاكل



في التنفس بدأوا يتساقطون على الأرض كالدمى التي تقطعت أحبالها بغتة، المدينة تتعرض لاغتصاب كامل بالطائرات والمدفعية فلا يتوقف القصف سوى لدقائق معدودة لشحن المدافع بالقذائف، أو لعودة الطائرات إلى مسارها الجوي المحدد لها فتسمح للمدنين بالركض والفرار أو لسحب الجرحى الذين سقطوا على الأرض بعدما سُلبت منهم القدرة حتى على الحركة، يعود القصف من جديد، لتتساقط المباني على رؤوس العالقين بين جدران المدينة ليحتموا بها من بطش ذلك القصف الجوي الذي يلقي القنابل بشكل عشوائي خرج منهم عن السيطرة وحول المدينة إلى كرة لهب تشتعل بأهلها.

الوضع في مدينة نانجينغ مزرٍ جداً ومأساوي لأبلغ حد ممكن، استنفذت المدينة كل ما لديها من مؤن غذائية وعسكرية طوال الأسابيع الماضية أثناء مقاومة الجيش الياباني الطاغي ومنع زحفهم المستمر، لكن تفوقهم التكنولوجي والعسكري جعل منها مقاومة واهنة لا تُذكر، دك حصون العاصمة ففر جيش المقاومة الصينية ليبدأ بعدها القصف العشوائي الذي أصاب المدنيين بذعر شديد وقذف في قلوبهم الرعب، فدفعهم للركض العشوائي كأسراب النمل الهاربة من خرطوم مياه وسط دوي الإنذار الذي يصرخ بشراسة ليحثهم



على الفرار وعدم البقاء في منازلهم فالصاروخ الذي يسقط على مبني يحوله إلى مقبرة جماعية تضم في أحشائِها كل سكانِه في غمضة عين، يركضون بأقدامٍ عارية وملابس مهلهلة، شاخصةٌ أبصارهم، واجفةٌ قلوبهم، الكل في صعيدٍ يسيطر عليه الهلع والفزع والرعب الشديد، حينما أدركوا أنهم ليسوا بمنأىً عما أقترفه اليابانيون سلفًا بكل جيرانهم، تراهم سكارى وما هم بسكارى هم تحت وطأة عذاب شديد، الجميع يركض بشكل عشوائي لا تَبَصُّر فيه ولا رؤيّة، بعضهم استطاع أخذ بعض متعلقاته الهامة ووضعها على عربة خشبية وسحبها بدلاً من البغال التي تستخدم في سحبها بعدما قُتلت جميعها، ولن يبقى لها أو لأي حيوان آخر مكان في لوحة العذاب التي يرسمها الجيش الياباني باحترافية شديدة.

تتذكر الزوجة الأحداث كأنها شريط سينمائي يمر أمام عينيها فيوقظ بداخلها تلك الذكريات الأليمة التي تضغط على أعصابها بسادية مفرطة، تذكرت زوجها «لي يونج» الذي يعمل نجارًا في أحد مصانع العاصمة الصينية «نانجينغ» بالصباح، وفي المساء يمارس نفس مهنته التي لا يعرف سواها منذُ نعومة أظافره، نانجينغ بالنسبة له أكثر بكثير من كونها مدينة أو حتى العاصمة، هي بالنسبة لهم الحياة، الفتاة الجميلة المدللة التي يعمل الكُل من



أجلها لتصبح في النهاية أكثر المُدن جمالاً وإشراقًا، العمل ثم العمل السَرْمَدى هو عقيدته الراسخة، بل عقيدة المواطن الصيني من الأساس، لا يشتكون مرارتَه يومًا لأنهم يشعرون بالانتماء الحقيقي لهذا البلد الكبير، الزوجة تركض بصحبة أطفالها وزوجها هربًا من المدينة التي تنهار فوق رؤوسهم، ولولا الحال الذي وصلوا إليه لما فكروا لوهلة أن يتركوها ويبتعدوا، تجاهد الزوجة لتصل إلى سرعة «لي يونج» وهي تحمل على ذراعها طفلهما الرضيع الذي يصرخ بلا هوادة، يُمسك لي يونج بيده اليمنى ابنهم الأكبر الذي لم يتخطى الثمانية أعوام وفي يده الأخرى يُمسك بابنتهم التي تصغر عن أخيها ثلاثة أعوام كاملة، يجاهدان هما الاثنان ليصلا إلى سرعة أبيهم الذي أنحنى ظهره بشكلٍ واضح إلى الأمام بسبب الحمل الذي يحمله على ظهره والذي أجبر عموده الفقري للانحناء إلى الأمام رغمًا عنه، ثِقل من عظام بشرية طاعِنة يكسوها جلد تجعد حتى ذهبت هيئته الأصلية التي كانت تمتلكها المرأة العجوز التي تتكوم داخل سَبَت من الخوص ليحملها ابنها الوحيد على ظهرِه بواسطة حبال مشدودة ستترك حتمًا أثارها على كتفه الأعجف، لا حل سوى حملها بتلك الطريقة البدائية وإلا تركها وأخذ عائلته وانصرف ليُسلم نفسه فريسة سهلة إلى تأنيب الضمير الذي لن يرحمه إذا كُتِبَت لهم النجاة.



«لي يونج» يهرول بسرعة قصوى متناسيًا إصابة ساقِه الناتجة عن اشتباكه مع عصابات العاصمة قرب فجر ذلك اليوم المشئوم وهو في طريق عودته من بيت عائلة «مينج» الثرية حاملاً لعائلتِه طوق النجاة، يتحامل على نفسه، يرفع رأسه إلى أعلى ليتمكن من الرؤية بشكلٍ أوضح، فالضمادة التي تحاول منع سقوط الدماء من الجرح المفتوح فوق عينه اليسرى تُعيق رؤيته بشكل كبير، الاشتباك كان عنيفًا لدرجة أنه ترك آثاره في أماكن متفرقة من جسده الهزيل، أطفاله يصرخون وهم يجاهدون للوصول إلى سرعة خطوات أبيهم التي تتعدى أربعة أضعاف سرعتهم رغم الإصابة، يتحامل على نفسِه، فلا مجال للتوقف ولا مجال لالتقاط الأنفاس، من يسقط سيُدهس تحت أقدام الآلاف الذين يهرعون ويركضون دون رؤية واضحة، طفلته الصغيرة بدأت تتباطأ خطواتها فلم يملك «لي يونج» إلا أن يُزيد من خطواتِه ويُسرع أكثر حتى لو اضطر إلى جرها أو سحبها، المهم ألا تسقط؛ فبسقوطها ستكتب حتمًا نهايتها تحت أقدامهم، فكرته غير المدروسة جعلت أقدام طفلته تتعركل بسبب السرعة المفرطة التي يتحرك بها، فأفلت يدها وسقطت على الأرض لتغرق داخل الأعداد البشرية الغفيرة التي تتحرك كالسيل المنهمر، والناس تدفعه دفعًا للسير إلى الأمام، غابت تمامًا عن أنظاره، عليه العودة إليها لكن في الوقت ذاته



هو حريصٌ على ألا يٌفلت ابنه المتشبث في يده والذي يختبئ خلفه فيتوارى عن ذلك الطوفان الجارف، أعداد هائلة من البشر تصطدم بوالده فيُحركُه عنوة بطريقة عشوائية أدرك معها أن ابنه الصغير سيلقى مصير أخته إن لم يتحرك بسرعة، حمله على كتفِه وهو لازال ينحني بسبب الثِقل الذي قوس ظهره، عليه أن يُخبر زوجته بأن تنتظر حتى يعود ويأتي بابنته التي لا تزال بعيدة عن أنظاره، فشل حتى في الاستماع إلى صوتها بسبب الصخب المتداخل النابع من الهاربين الصرعى، بحث بعينيه عن زوجته في المحيط الذي يُمثل هو مركزه فلم يجدها، اتسعت دائرته أكثر وأخذ ينظر على مسافات أبعد حتى وقعت عيناه عليها فاكتشف أنها تسبقه بمسافة ليست قليلة، وبالتأكيد لن تسمع نداءَه لو فكر في ذلك، المسافة تتزايد بينهم والرؤية تتعذر بسبب الهاربين الذين يقتحمون مجال رؤيته في الوقت الذي يجهل فيه مصير أبنته، الوقت يمر والراكضون لا يرحمون أحداً، عقله بدأ يتوقف عن التفكير، الموقف صعب، والتوتر العصبي يتزايد بشكل هستيري، سيبدأ بزوجته، سيذهب سريعًا ويُخبرها، هرع بسرعة خلفها محاولاً اقتحام الفراغات الصغيرة جداً التي يخلقها المارة بينهم وبين بعضهم بسبب العشوائية التي تسيطر على هروبهم، يتسلل عبرها مُحاولاً الوصول إليها،



في الوقت الذي بدأت تنتبه فيه زوجته لعدم وجوده بجوارها، توقفت وبدأت تدور حول نفسها تبحث عنه، حركُه قلقُه الشديد عليها وعلى الرضيع الذي تحمله فزادت سرعته وبدأ يتخبط في المارة ويدفعهم بقوة حتى وصل إليها، وضع يده على كتفها من الخلف ثم دفعها بقوة إلى جانب الطريق، يُزاحم المارة وهو يتخذ طريقًا يخالف خط سيرهم، يحتضن ابنه وزوجته التي تحتضن رضيعهم وعلى ظهره أمه، يتلقى الضربات والدفعات والخبطات التي كادت أن تسقطه لكنه تحامل على نفسِه حتى استطاع أن يخرج من الزحام الشديد إلى طريق جانبي شبه فارغ، هناك بقايا مبنى هدمته قذائف العدو، قادهم إلى تلك الكَوْمَة الباقية من المبنى الذي انهار وذهبت معالمه، أندس هو وأهله تحت عمود أسمنتي مائل يتجمع فوقه الطوب والردم، زحفوا إلى التجويف المتكون أسفله واحد تلو الآخر، خلع «لي يونج» السِّبت الذي يعلقه خلف ظهره وأزاحه إلى زوجته قبل أن يزحف هو إلى الداخل معهم، جلس هو وزوجته القرفصاء بسبب ضآلة ارتفاع العمود عن الأرض، لم تدرك زوجته اختفاء ابنتها الوسطى من هول ما هم فيه، أدركت ذلك بعد مرور بضع ثواني من تكومهم داخل الساتر، عدلت وضعها بسرعة البرق وهمت تبحث عنها كالمجنونة قبل أن تطلق صرخات عالية بصوتٍ مذبوح تنادي عليها باسمها



وهي تهم بالخروج من أسفل الساتر، ربت زوجها على كتفها ومنعها من الخروج، شرح لها سريعاً خطته التي اضطرته الظروف لتنفيذها فازداد صراخها وهي تنظر إلى وجهه الذي اختلط فيه العرق مع الغبار.

– لا عليكِ يا عزيزتي، أنا أعرف مكانها جيداً وسأذهب الآن ولن أعود إلى وهي بحوزتي.

– ابنتي !! كيف تركتها وسط هذا الجنون الذي يعم المدينة؟!

– لم أكن أملك أي خيار آخر، لو لم أفعل ذلك لكان الأمر أصبح أكثر سوءاً.

– هل وافقك قلبك؟!

– هي ابنتي كما هي ابنتك، أنا لم أفعل سوى الصواب، أنا ذاهب ولن أعود إلا وهي بحوزتي.

سدد نظرة أخيرة إلى والدته التي يتعالى صوت نحيبها من داخل السِبت الخوص الذي تتكوم بداخله، فطوال عمر تلك الأشيب لم يمر عليها أيام بفظاظة تلك الأيام التي يعيشونها تحت بطش الجيش الياباني، هو يعتقد بنسبة قد تتعدى التسعين بالمائة بأنه لن يعود ولن يراهم مرة



أخرى، تعمد إطالة النظرات إليهم باعتبارها النظرة الأخيرة.

– أمي، مهما حدث لا تتركي أمي من أجلي، أنا لا أعلم المصير الذي ينتظرني في الخارج في الوقت نفسه لا أريد أن أُحملك ما لا طاقة لكي به، فقط افعلي كل ما بوسعك من أجل أمي وأطفالي ونفسك قبل كل شيء.

أنهى كلماتِه ثم هَمَ بالرحيل تجاه أبنته المسكينة التي فقدها وسط الزحام، لم يعط أي مجال للنقاش لزوجته، كأنه أراد أن يُخبرها وصيته الأخيرة، خرج من تحت العمود وبدأ يضع الحجارة على الفتحة حتى سدها بشكل يوحي إليك أنها ردم تجمع من انهيار المبنى، لن يتسلل إلى فكر أحد أن هناك أشخاص يحتمون في وحشة ذلك القبر المُظلم، لا تدري هذه المسكينة أن قذيفة يابانية غاشمة سقطت بالقرب منه فأطاحت بوعيه كاملاً قبل أن يصل إلى ابنته التي كانت تبكي وتصرخ فزعًا.

تذكرت الزوجة كل ما حدث مع أسرتها وجيرانها حتى غلبها النعاس والإعياء سقط جسدها في جُب الإغماء فاستسلمت للنوم.

* * *



– ٢ –

أشرق صباح اليوم التالي إشراقًا سمجًا، ثقيلاً، خالي من كل شيء جيد حتى أنه لم يُخبر أحداً بقدومه، لم تستمع الزوجة إلى زقزقة العصافير التي اعتادت على سماعِها سلفًا، وكيف ستستمع إليه والمبنى بالكامل لا يوجد به نافذة واحدة ليعلم قاطنيه الليل من النهار، الزمن داخل المبنى واحد طوال الوقت، استيقظت الزوجة على أصوات الصِراخ والعويل ووقع السياط والعصي اللدنة على أجساد الفتيات، صراخٌ عالٍ يرج الجدران رجًا، ضربات قلبها تتسارع بشكلٍ شعرت معه أنها نوبة ذبحة صدرية لن تنجو منها، اقتحم جنود العدو الزنازين المجاورة للزنزانة التي تقبع بها الزوجة بعدما أضاءوا الأنوار وبدءوا بإيقاظ الفتيات، أمَّا زنزانة الزوجة لم تُفتح بعد، لكن هناك منظر غريب جمد نظرها وملامحها، هاناكو رفيقة الزنزانة كما أطلق عليها جيش العدو تقف أمام باب الزنزانة مباشرةً في البقعة التي يستطيع الضوء الوصول إليها، عارية تمامًا كما ولدتها أمها، تولي دُبرها إليها فرأت الزوجة كم الكدمات والسحجات التي تملأ جسدها وهي تقف عند باب الزنزانة بهدوء كأن أذنها لا تلتقط هذا الكم من الصِراخ والعويل الذي يملأ المكان، لا تبالي بأي شيء، حتى برودة الجو التي لا تتناسب مع جسدها العاري لم تعرها أي اهتمام،

تجمدت الزوجة وتيبست وهي ترمقها بثبات شديد، أتاها صوت هاناكو دون أن تلتفت إليها.

– ليس هناك وقت كافي للتأمل، انهضي وإلا نال جسدك ما لم يناله من قبل.

تعجبت الزوجة بشدة، سألت نفسها كيف لها أن تعلم أنني أتأملها دون أن تلتفت إلي!! فأتاها صوت هاناكو مرة أخرى.

– أعلم أنك تتساءلين كيف أستطيع أن أراكي وأنا أولي لكي دُبري، الإجابة هي ذاتها لم تتغير ستتعلمين هنا أشياء كنتِ لا يُخيل إليكِ فعلها من قبل.

ظلت الزوجة صامته تتابعها بدهشة شديدة قبل أن تستأنف حديثها.

– هنا ستعلو حواسك، وقدراتك المحدودة ستصل عنان السماء، وللمرة الأخيرة لا تظلي مكانك هكذا حينما يُفتح الباب وإني لكي من الناصحين.

الزوجة صامتة تمامًا وهادئة كأن على رأسها الطير، لم تستطع الإفاقة من الدوامات التي تضربها يمينًا ويسارًا دون شفقة، جالت بعيناها في جدران الزنزانة فوجدت بعض الذكريات منقوشة بالدماء



على الحائط , لم تتمكن سوى من قرأة كلمة واحدة هي الرحمة كتبتها فتاة صينية كانت تسكن هذه الزنزانة من قبلهم , فُتح باب الزنزانة ودخل الجنود كالسيل المنهمر، لم يعطوا للزوجة وقتًا للتفكير أو للنهوض، انهالوا علي جسدها بالعُصي اللدنة وألقوا عليها اللعنات حتى نهضت وركضت خارج الزنزانة، التحقت بباقي الفتيات المبعثرات ذوات العيون الناعسة التي أرهقها السهر والوجوه الصفراء التي أرهقها الألم وأبخرة البول ورائحة الصديد التي تملأ الزنازين، زعق القائد الياباني الذي كان ينتظرهن في ساحة المعسكر خارج المبنى بصوتِه الجهوري فبدأن الوقوف بانتظام شديد في صفوفٍ متساوية تحت إشراف زبانية العذاب غِلاظ الملامح والقلوب، الضرب كان جنونيًا حتى استطاع الجنود السيطرة على الوضع بشكلٍ كامل، بدأ القائد يتحرك أمامهن بخطواتٍ عسكرية تملؤها الثقة الزائدة ، يرتدي ملابس ثقيلة تُلاءم حالة الطقس البارد، تتشابك أصابعه خلف ظهره ويتحرك ببطء ووقار شديد، تتابعه الفتيات وأجسادهن ترتعش من شدة البرد؛ فهن لا يرتدين سوى ملابس خفيفة تتأرجح بين الممزقة والبالية، لكنهن حالهن أفضل بكثير من العاريات اللاتي لا يرتدين شيئًا، بدأ القائد يتحدث إليهن بلسانٍ فصيح.



– سنعطي كلاً منكن ملابس ثقيلة، ليس لأننا نخشى عليكن من البرد بل لأننا نخشى أن تموت أي عاهرة قبل أن يتمتع بها جندي من جنودي الذين على وشك الوصول، رائحتكم عطنة، أنتن بحاجة إلى نظافة شخصية حتى لا يفر منكن أحد.

طريقته الواثقة المتعالية أغاظت الزوجة أكثر مما أرهبتها، لكنها فضلت الصمت، أشار القائد إلى الجنود فساقوهم بالسياط والعِصي اللدنة، لم يشفع لهم الألم ولا الكدمات الأرجوانية والانتفاخات العجيبة التي يملأها الصديد والسحجات التي جفت الدماء عليها وتجلطت، ساقهن الجنود إلى مصادر المياه، الكل يركض ومن يوقفها الإعياء تنال ما تستحق من وجهة نظرهم، أربعة صنابير معلقة على ارتفاع متر ونصف متصلة بأنبوب مياه عمومية، أربع فتيات يقفن تحت الصنابير ليتساقط عليهن رزاز الماء البارد فيلسع أجسادهن قبل أن يلسعها الطقس البارد، على كل فتاة أو سيدة أن تقف تحت الصنبور ثلاث دقائق كحد أقصى، عليها أن تستحم وتُنظف نفسها وجسدها وتغسل جروحها وتتحمل برودة المياه ثم تخرج من تحت الصنبور لتسمح للتي تليها بالدخول، الويل كل الويل لمن تسمح للمياه أن تمر عبر حلقها، استمر الوضع على هذه الشاكلة حتى جاء دور الزوجة التي دخلت تحت الصنبور بصحبة حزنها الشديد، اختلج



جسدها والدموع تنساب على خدها دون صوت فتختلط مع مياه الصنبور الباردة، صُمَّتْ أذنها عن الاستماع وانبرى عقلها يحدثها فيما هو آتٍ، يسألها بإلحاح هل ستسلم نفسها لهؤلاء اليابانيون يعبثون بها كما يشاءون، هل ستترك جسدها للجنود يأكلون منه حتى يشبعون، بالتأكيد هي ترفض أن تقع في ذنب كهذا، لكنها لا تملك من الأمر شيئًا، استفاقت على لسعة عاتية من سوط غاشم يقطع لحمها ويشق جلدها، صرخت صراخًا شديدًا فألم السوط تحت المياه رهيب، ركضت كالبقية إلى تلك البقع التي يصطففن فيها بصحبة الذل والانكسار، وقفت الزوجة مطأطأة الرأس، وجهها يعتصر على أثر تلك اللسعة التي تعتبر الأقوى، تُحاول الوصول بيدها لتُهدئ من وهج النيران التي أشعلتها لسعة السوط، لكن مكانها البعيد الذي يقع في منتصف ظهرها جعل الأمر في غاية الصعوبة، انتظرت الفتيات حتى انتهى الجميع من الاستحمام وتجمعن في تلك البقعة المُحددة لهن، اقترب منهن القائد الياباني، وبسرعة شديدة تفقدهم بالنظرات الخاطفة ثم أمر الجنود بإطعامهن من أجل البقاء ومن أجل المجهود الجبار الذي سيبذلنه.

الطعام!! تذكرت الزوجة أن هناك ما يسمى بالطعام، وأن هناك ضراوة جوع، لكن الجوع إلى



الإنسانية كان أكثر إلحاحًا من الطعام , ما وجدته هنا في المعسكر الموحش وما حدث لأبنائها وزوجها سلفًا قد وئد الأحساس بالجوع بداخلها وبداخل معظم السبايا الاتي لم يتأقلمن على الوضع حتى الآن ، الخوف جعلهن لا يَشعرن بالجوع أو بالحاجة إلى الطعام من الأساس، اقترب منهن مجموعة من الجنود اليابانيين كريهي الوجه واليد واللسان، يوزعون عليهن الطعام الرديء الذي يتكون من كسرات خبزٍ جاف ومعه شيء لدن عبارة عن خليط من الخضروات والبطاطس المهروسة ليُنتج هذا الشيء قبيح الطعم والهيئة، علاوة على أن الجنود كانوا يتمخطون عن عمد وهم يوزعون الطعام، لكن لا مجال للاعتراض ولا مكان لرفاهية الاختيار، أكل الجميع هذا الطعام دون نقاش، لم تبد إحداهن أي اعتراض، ليأتي بعدها دور المياه، كل فتاة كان نصيبها كوبًا من المياه مصفر اللون وسيئ الطعم، لكن لا بأس بكل هذه المواصفات، المهم أن هناك سائل مر عبر حُلوقهن التي باتت كالأرض الجافة، تجرعن الماء السيئ وانتظرن أوامر القائد الذي ظل يحدق فيهن بشراسة، ثم أمرهن بأن يرْتَصِصنَّ بجوار سور المعسكر فوقفن في ذلٍ وهوان ينتظرن أوامر القائد الذي توارى عن الأنظار وقت تنفيذ أوامره، وقعت عين الزوجة على تلك الفتاة التي تجرأت ودافعت عن الفتاة التي ضُربت داخل المبنى وهي



تعاني من تورم في قدميها فوجدتها معلقة في وضع النسر المُحلق على حائط في فناء المعسكر، يكسوها الألم والإعياء الشديد، تعاطفت معها بشدة، لكنها في النهاية كانت لا تملك لها ضراً ولا نفعًا.

مرت الدقائق والهواء البارد يعوي ويرتطم بأجسادهِن فيرتعشن وسط همزات وضحكات الجنود الساخرة، ثم بدأوا يوزعون عليهم الملابس الخشنة مجهولة الملامح والهيئة كما أمرهم القائد، ملابس خشنة هي إلى الخيش أقرب، خالية تمامًا من التناسق والاستواء، فلا تدري هل هو قميص أم جِلباب أو شيئًا آخر، السبايا لم يشغلن أنفسهن بتصنيف هذا الشيء المجهول فدوامات البرد كانت لا ترحم، أخذت كل واحدة منهن نصيبها ووضعته على جسدها لتحتمي به، فتحولت هيئاتهن إلى أشكالٍ عجيبة دفعت الجميع للضحك الهستيري، بقين على هذه الشاكلة حتى وصلت شاحنات متوسطة الحجم بعد نصف ساعة فتعالت الصيحات كأن هناك حفلٌ على وشك البدء، اقتحمت الشاحنات المعسكر ووصلت إلى الفناء الكبير تحمل مجموعة من المهووسين الذين يتراقصون على ظهور الشاحنات ويتقافزون كالنسانيس، حتى أن بعضهم راح يفعل بأعضائه التناسلية ساقط

الأفاعيل كأنهم ينذرون النساء بما هن مقبلات عليه.

قفز الجنود من على ظهر الشاحنة العسكرية وبدأوا بالركض تجاه النساء اللواتي هربن كالجرذان الخائفة بشكلٍ عشوائي داخل فناء المعسكر الذي تحول إلى ساحة من الجنون، هرع خلفهم الجنود وهم يرشقونهن بأقذر الكلمات التي جاءت في قاموس الشتائم، إذا أمسكوا بفتاة أسقطوها أرضاً وبسرعة البرق جردوها من ملابسها الخشنة لتبدأ حفلة الانتهاكات الجنسية الفاحشة، الزوجة كانت تركض داخل الفناء كباقي النساء وهي تصرخ محاولة الاستنجاد بأي شخص علماً بأنها تدرك أنه لن ينجدها أحد غير اللّه إن أراد ذلك، هناك ثلاثة جنود يركضون خلفها، يتحركون معها أينما ذهبت، أدركت ذلك فزادت من سرعتها وهي تصرخ صراخاً جنونياً زاد من ضحكهما في مشهدٍ مُشين، تركض وهي غارقة في الأفكار السوداء ذات النهايات القاسية، وصلوا إليها وهم يضحكون، أسقطوها أرضاً فافترش جسدها الأرض، بسرعة البرق قيدوا أطرافها ونزعوا عنها ملابسها الغريبة، حاولت الزوجة مقاومتهم بالقوة، فتحول ما بينهم إلى حرب طروادة تعلم جيداً أنها لن تنتصر فيها لكنها حاولت تأجيل اغتصابها قدر المستطاع، قاومت حتى استنفذت طاقتها واستسلمت للأمر

بعدما تمكن منها التعب، نفسها وقلبها يرفضان لكن طاقتها لا تُعينها على ذلك العصيان، سقطت عيناها على تلك الفتاة رفيقة الزنزانة، رأتها من بين الفتحات التي صنعتها أرجل الجنود والفتيات فوجدتها ملقاة على ظهرها في استسلام تام وهناك ثلاثة جنود يعبثون بجسدها وهي ساكنة تماماً لا تتحرك ولا تعطي للأمر أهمية من الأساس، حركت رأسها ونظرت إليها بعين مكسورة شبه ناعسة كأنها تخبرها أن هذا ما أخبرتك به سلفاً.

* * *

بكاء حار يخرج من فم الزوجة الملتاع بسبب ما وقع على جسدها من عبودية جنسية وقهر جعلها تشعر أنها ساقطة تُستخدم لإخراس جوعهم الجنسي، نشيج قوي يكسر حالة السكون الذي يخيم على الزنزانة بعدما اختلط مع بكاء وانتحاب باقي الفتيات اللواتي تعرضن للاغتصاب الوحشي العنيف، لا شيء يحول بينهن وبين الجنود اليابانيين، حتى الحوائِض لم يُنجين من الاستلاب، هناك فتيات اختلس منهن القادة والجنرالات عذريتهن، لم يشفع لهن سنهن الصغير أمام هؤلاء السواغب، تضم الزوجة قدميها بزاوية منفرجة بسبب الألم الذي يصاحبها كلما تحركت أو تضاءلت الزاوية بين قدميها، تضمها بحزمٍ إلى صدرها الذي أصبح كعنقود العنب الخالي من

ثمراتِه وكأنها تشهدهما على بصمات الجنود أصحاب الشهوة الحيوانية، تنساب دموعها ويرتجف جسدها على أثر البكاء، لا يستوعب عقلها ما حدث لجسدها الطاهر، تتحرك شفتاها بدعاءٍ حار ليُنجيها اللّه من ذلك العذاب المهين، يتصاعد بكاءها ويتزايد لدرجة أنها بدأت تصدم مؤخرة رأسها بالحائط الذي تستند عليه، معظم جسدها عاري ولا تبالي بالبرد كرفيقة الزنزانة التي كانت تنتقدها بالصباح وتتعجب من اللامبالاة التي كانت تتملك منها، أصبحت مثلها تماماً بعد يوم واحد داخل معسكرات العدو فكيف سيصبح حالها بعد سنة داخل ذلك الجحيم، أتاها صوت رفيقتها الكورية كما كان يأتيها في الظلام سلفًا لكن هذه المرة أتاها أكثر ضعفًا وإعياءً.

– كفاكي بكاءً فالأمر لم ينته بعد، أنتِ لازلتِ في البدايات.

– أي بدايات!! لقد تعرضت لذل ومهانة لم أتعرض لها طيلة حياتي وتقولي لي أنني لازلت في البدايات، ماذا ينتظرنا أكثر من ذلك؟؟

– ينتظرك أن تصبحي مثلي لا تبالين بالأمر، تتعاملين مع الاغتصاب على أنه ركن ضمن أركان حياتك اليومية.



– عن أي شيء تتحدثين، أنا لست بغية لأصبح ذلك الذي تتحدثين عنه.

– أنتِ في الصفعة الأولى تترنحين، وفي الثانية قد تقاومي، وفي الثالثة قد تصرخين، لكن بعد الخامسة ستجدين نفسك في انتظار السادسة وبعد السادسة ستجدين نفسك في استسلام تام حتى لو أن روحك تشظت مثلما يتشظى الزجاج إلى قطع صغيرة.

ازداد بكاء الزوجة قبل أن يأتيها صوت رفيقتها مرة أخرى.

– عجيب أمرك أيتها الصينية!!

– وما هو العجيب؟؟!!

– البارحة كنتِ تتحدثين عن الأمر على أنه ابتلاء واختبار وقصصتِ لي قصص عن حياة الأنبياء في كتابك المقدس واليوم تبكين كأنكِ لا تتذكرين شيئًا عن حديث أمس.

– لابد أن أبكي، أنا لم أذق مرارة هذا الاختبار من قبل، أنا أعاني والله يعلم ذلك لكني قادرة على الصمود والنجاة والله أيضًا يعلم ذلك.



– ولماذا يفعل بكِ هذا من الأساس؟؟!!

– هو يفعل بنا جميعًا ليختبر إيماننا.

– أمرك في غاية الغرابة!!

– أريد أن أهرب من هذا الجحيم؟؟

– تريدين الهروب من اختبار إلهك؟؟!!

– الاختبار لا يمحو فكرة الهروب، فربما كان فيه النجاة.

– أقتلي نفسك لو استطاعتي، هذا هو خيارك الوحيد للهروب.

– لا، لن أفعل، سوف أذهب من جحيم إلى جحيمٍ أكبر بكثير، قتل النفس حرام.

ضحكة بسخرية شديدة.

– عن أي حرمانية تتحدثين، إن كل شيء يحدث في هذا المكان حرام ولا يُرضي أي إله ورغم ذلك المكان قائم كما هو، لم يحدث له شيء، لن تنهزم اليابان ولن يموت الإمبراطور ولن يُقتل قائد المعسكر ولن يموت الجنود الذين يمارسون معنا الجنس أكثر



مما يأكلون، الاستمرار في البقاء على قيد الحياة في هذه الحياة يصيبني بغثيان مفرط.

– اللّه سينجينا، أنا على يقين بذلك، اللّه دائمًا بجانب من لا يستحق فما بالكِ بمن يستحق، كل ما علينا هو الدعاء.

– الدعاء!! أنتِ مخبولة إن كنتِ تعتقدين أنه سينجيكِ.

– إن لم ينجني من أيدي العدو فسينجينني من التفكير في الانتحار، سيذكرني دائمًا بقدرة اللّه، العيش على أمل أفضل بكثير من العيش بدونه.

استمعن إلى صوت حركة مفاجئة انتهت بفتح باب الزنزانة ليقتحم الضوء الخافت الزنزانة وكذلك الجنود ليلقوا على الأرض بالفتاة التي كانت مُعلقة في الفناء بسبب دفاعها عن زميلتها صاحبة القدم المتورمة، ورأتها الزوجة في الصباح، قذفوها بإهمال شديد كأنهم يقذفون جوال بطاطس داخل مخزن للطعام التالف، افترش الأرض جسدها الذي أكل منه العذاب حتى شبع، كان من العسير أن تُحدد مكان النزيف فالدماء كانت تغطي جسدها بالكامل، ألقوها على الأرض ثم ضحكوا باستهزاء قبل أن يغلقوا باب الزنزانة وينصرفون، سدد أحدهم كلمة مستفزة.



– سوف نتركها تموت معكم داخل هذه الزنزانة الصغيرة شبه الفارغة، فروحها لا تستحق مكاناً أفضل من هذا.

أنهى كلماته ثم أذكاها بضحكة مستفزة وانصرف، الغريب أنهم تركوا إضاءة صغيرة خارج الزنزانة فتسلل الضوء داخلها على استحياء، ضيق الزنزانة جعلها قريبة جداً من الزوجة بل أن الجسدان أصبحا شبه متلاحمان، نظرت إلى وجهها فوجدتها شاردة تماماً كأنها لا تدري بما يحدث حولها، الدماء تتساقط على وجهها فتكسوه فلا تحرك يدها لتزيحه بأصابعها، ما يحدث أمامها زاد من دموعها وجعلها تنخرط في بكاءٍ هستيرياً في الوقت الذي بدأت فيه رفيقة الزنزانة بالغناء، تغني في سعادة شديدة وكأنها تجلس في حديقة لاستقبال الربيع، لم تستوعب الزوجة الأمر في البداية فظلت تتلفت حولها لعل هناك شخص آخر يفعل ذلك، نظرت لها وعلامات التعجب تعتلي رأسها بسبب غنائها السعيد العذب الذي لا يتماشى نهائياً مع الحدث، سألتها من بين أسنانها في غيظٍ.

– هل هذا وقت مناسب للغناء!!

– وهل يوجد وقت للغناء من الأساس؟، في هذا المكان لا توجد قواعد لأي شيء.



أنهت جملتها واستمرت في الغناء فأجابتها الزوجة بتوحش.

– عقلي يأبى تصديق أفعالك الغريبة، نحن في القاع غارقات ولن نستطيع النهوض وأنتِ تغنين.

– وإن توقفت عن الغناء هل ستتمكنين من النهوض؟؟

– لماذا تجادلين بهذه الطريقة الوقحة، الموقف لا يتحمل كل هذا الهراء.

لم تُجبها واستمرت في الغناء بصوتٍ يتصاعد تدريجيًا، مما دفعها للصراخ في وجهها حتى تصمت لكن لم يغير ذلك من الأمر شيئًا بل ازداد غنائها الظاهر بين ثناياه اللامبالاة الشديدة، استمعت الزوجة إلى همهمات واهنة تصلها على استحياء من المُصابة التي ألقوها على أرض الزنزانة بإهمال شديد، أدركت الزوجة ذلك فزحفت تجاهها بصعوبة شديدة حتى جابت تلك المسافة الصغيرة التي تفصل بينهما، حاولت الانحناء فحال بينها وبين ذلك الألم الذي يتضخم بين ساقيها، افترش جسدها الأرض على جانبها الأيمن لتقترب بأذنيها من فم الفتاة الملقاة على الأرض لتُفسر معنى الكلمات التي تلفظها فكانت «الماء»، هي تطلب الماء، شربة واحدة لتُخرس بها عطشها الذي



اغتصب حلقها بعنفٍ زائد؛ فهي لم تروي عطشها من قبل أن تنفذ فيها العقوبة بساعات طويلة، تصلب الشعر على عنقها وهي تسمع طلبها وفي الوقت ذات لا تملك لها أي شيء.

– إنها تريد شربة ماء، ماذا أفعل!!

سألت رفيقة الزنزانة التي توقفت عن الغناء وأجابتها بتلك الطريقة التقريرية التي أصبحت تجيدها.

– لا تفعلي شيئًا، هم لن يعطوننا الطعام أو الماء إلا قبل حفلة الاغتصاب مباشرةً فهذا عقاب مستمر إلى أن نموت أو يّخلصنا إلهك أو إلهي من هنا.

– عقاب!! أنا لا أفهم شيئًا.

– هناك فتاة تبولت على نفسها لتمنعهم من اغتصابها فشوهوا لها موضع عفتها بالنار وهذا هو العقاب السائد ثم عاقبوا الجميع بعدم تناول الطعام أو الشراب إلا قبل الاغتصاب بنصف ساعة تقريبًا حتى لا يتمكن أحد من تكرار هذا الفعل.

– وإذا كان هناك يوم بدون اغتصاب سيكون بلا طعام أو شراب!!

– هذا أمرٌ مستحيل فالاغتصاب هنا كالهواء لا ينقطع أبداً.

– أي ريحٍ عطنة هبت على الوطن!! لماذا يحدث كل هذا؟؟

– لأن أوطاننا هشة لا تملك المقاومة، وفي عُرف الحرب هم ينظرون إلينا نظرتهم إلى العبيد، نحن قطع من الصلصال في يد طفلٍ مشاغب.

انقطع خيط المحادثة فجأة على همهمات ونداءات خافتة جداً بالكاد تُسمع تأتيها من ناحية باب الزنزانة، رفعت الزوجة رأسها، لم تر شيئًا بسبب موضع المتحدث الذي يقف في نفس اتجاه الضوء الواهن، لم تتحرك ناحية الباب فهي لا تعلم ماذا هناك، لعله فخٍ قد نصبه الحراس لها، ظلت متيبسة لا تتحرك يحاصرها الخوف من كل جانب تنتظر حدوث أمر، استمر الصوت في النداء بصوتِه الخافت ثم بدأ يتعالى تدريجيًا، زاد الإلحاح في النداء مُحاولا صاحبه أن يراودها عن سكونها ويأمرها أن تأتي إليه بسرعة قبل فوات الأوان، ارتابت الزوجة بشدة في البداية في الوقت الذي ارتفع فيه صوت رفيقة الزنزانة في الغناء، تحركت الزوجة لتروي فضولها ولتعلم ما الذي يريده صاحب الصوت، تحركت تجاهه واقتربت من الباب بحذرٍ وهي تعاني آلام الحركة، اقتربت من الباب قدر المستطاع وهي



تعاني بشدة مع كل هزة صغيرة، اصطدمت عيناها بصاحب الصوت فاكتشفت أنه رائد ياباني يمد يده إليها بكوبٍ صاج كبير مليء بالماء.

– اسقي هذه المسكينة التي ظلت معلقة طوال النهار.

أخبرها كلماته بنبرة صوت خافتة جداً فتجمدت الزوجة وشعرت أنها غير قادرة على استيعاب ما يحدث، دوار شديد يكتنف رأسها وعقلها يأبى تصديق ما يحدث، طلب منها الرائد أن تأخذ كوب المياه لكن ظلت الزوجة متيبسة غير مستوعبة لما يحدث مما جعل صوت الرائد يحتد ويرتفع أكثر، أخذت منه الكوب وهرعت إلى الفتاة الملقاة على الأرض، مدت يدها وبمجرد أن لامست شفتا الفتاة الماء رُدّ إليها وعيها وتمسكت بالكوب كأنها تمنعه من الفرار، شربت محتواه بالكامل دفعة واحدة، كل هذا وعقل الزوجة يُفكر في فعل ذلك الجندي الغريب!! يتسائل عقلها لماذا يفعل ذلك؟؟ ترتاب في أمرِه وتظن أنه فخ ثم يحدثها عقلها أنها نوبة من نوبات الشهامة ثم ظنت أنها تتخيل كل ما يحدث أمامها بسبب ما حدث معها اليوم، ثم يعود عقلها ويُخبرها أنها نوبة من نوبات الشهامة، استفاقت على صوتِه يستدعيها مرة أخرى وإذا به يعطيها كوباً آخر، ظل على هذه الشاكلة حتى امتلأت بطن المُصابة بالماء، بعد ذلك شربت الزوجة



حتى شبعت ثم أخذت الكوب وذهبت به إلى رفيقة الزنزانة «هاناكو» مدت لها يدها بالماء.

– اشربي، أعلم أنكِ تعانين من نقص في السوائل.

توقفت عن الغناء وأجابتها.

– أنا أعاني من نقص في كل شيء ليست السوائل فقط.

أنهت كلامها ثم عادت للغناء، مدت الزوجة يدها بالكوب لتجعلها تتجرع بالقوة فضربت يدها وأطاحت به بعيداً وهي تستأنف غنائها، عادت الزوجة إلى الجندي آسفة.

– من الأفضل أن تتركيها، هي لن تشرب شيء.

أماءت له برأسها دون كلام.

– لا تنزعجي بسببها، هي تحت تأثير صدمة نفسية شديدة فقد عانت الكثير والكثير الأيام الماضية، حاولت أن أساعدها لكن الظروف لم تخدمها، أتمنى أن تخدمك الظروف لأساعدك.

– تساعدني كيف؟؟!!



– من وجهة نظري هي لن تصمد كثيراً، ستلاقي حتفها قريبًا هي وتلك التي كانت معلقه ليومٍ كامل، وأنا على علم أن لا يوجد لدينا دفعات جديدة على وشك الوصول لذا ستكونين وحيدة في هذه الزنزانة وهذه أرض خصبة أنا أريدها لأقدم لكي مساعدة ستتذكرينها طوال حياتك.

– وما هو نوع المساعدة؟؟

– انتظري، كل شيء سيأتي حتمًا في موعدِه، لا تسبقي الأحداث.

استمعوا سويًا إلى وقع أقدام.

– علي أن أرحل قبل أن يراني أحد، أنا لست مستعداً لأي عقاب.

أماءت له الزوجة فأردف.

– لو سأل أحد عن المياه التي تغرق أرض الزنزانة فأخبريهم أنكِ تبولتِ على نفسك حتى لا يرتاب أحد في الأمر.

أنهى كلماته ثم فر هاربًا، تبخر في ثوانٍ وترك الزوجة في دوامات الحيرة التي لا تنتهي، تتقلب

على سنابك الالتباس تفكر في المساعدة التي سيقدمها لها.

* * *

– ٣ –

قبل غزو العاصمة الصينية نانجينغ بعشر سنوات

(١٩٢٧)

داخل غرفة المكتب الإمبراطوري المزخرفة جدرانها بتاريخ الإمبراطورية العريق الذي يمتد إلى عصر ما قبل الميلاد، مروراً بالأباطرة والشخصيات الأسطورية التي يعتز بها التاريخ رغم الشكوك الكثيرة في عدم وجودها من الأساس، مثل الإمبراطور جيمو أول إمبراطور لليابان القديمة والذي تولى الحكم عام ٦٦٠ ق.م، سيوف ساموراي أو ما تعرف في اللغة اليابانية بـ «كاتانا» مُعلقة على الحائط، يرجع تاريخ صنعها إلى القرن الخامس عشر، والساموراي هو الاسم الذي كان يطلق على المحاربين القدماء في اليابان ومعناها «الذي يضع نفسه في الخدمة» أي في الدفاع عن الوطن ضد الأعداء، يحتفظ اليابانيون بتاريخهم ولا يُفرطون فيه بسهولة، فتجد تلك القطع الأثرية تُزين مكتب الإمبراطور بالإضافة إلى صور الأباطرة الذين حكموا اليابان الحديثة بداية من الإمبراطور«موتسوهيتو» الذي تولى الحكم عام ١٨٦٨، يجلس الإمبراطور الشاب «هيرو ايشي» صاحب الستة وعشرين عاماً على كرسي الإمبراطور الوثير الذي يتسع عليه وعلى



جسده النحيف لدرجة أنه من الممكن أن يجلس شخص آخر بجوارِه، يرتدي الشاب زيه العسكري المميز الذي تُزخرفه الشارات التي تجذب الأنظار بلونها اللامع، يرتدي وشاحًا أخضر يقطع جسده من الكتف الأيسر وحتى الخصر الأيمن، يرتدي عوينات طبية أنيقة ويُصفف شعره اللامع بعناية دقيقة، يمد كفه الذي يُغطيه قفاز أبيض نقي ليرفع كوب الشاي الساخن يرتشف منه، وأمامه يقف مدير مكتبه المسئول عن تنظيم كافة الأمور الإدارية الخاصة به، يطأطئ رأسه في الأرض بعدما أخبر الإمبراطور أن رئيس الوزراء الياباني يقف خارج مكتبه يطلب لقاءه دون وجود موعد سابق لكنه أخبره أن الأمر عاجل للغاية ولا يتحمل أي تأجيل، ارتشف الإمبراطور من الشاي وضاقت عيناه قليلاً قبل أن يتحدث إلى مدير مكتبه.

– لماذا يريد مقابلتي بهذا الشكل المفاجئ؟؟

أجابه مدير مكتبه دون أن يرفع عينيه في وجهِه.

– لا أدري يا مولاي الإمبراطور الأعظم، هو فقط أخبرني أنه يريد أن يعرض عليكم أمرًا هام للغاية ولا يتحمل أي تأجيل.

ارتشف شربة من كوب الشاي الساخن ثم أجابه.



– حسنًا، آئذن له بالدخول.

– أمر سيادتكم.

تحرك إلى الخلف تجاه الباب دون أن يولي ظهره إلى الإمبراطور ولا زالت عيناه معلقة على حذاءِه وهو يتحرك إلى الخلف حتى اصطدم ظهره بالباب، مد يده وأدار مقبضه وخرج على تلك الشاكلة التي بها احترام كبير للإمبراطور.

دقائق معدودة كانت كافية قبل أن يستمع الإمبراطور «هيروايشي» إلى طرقات رئيس الوزراء الياباني، سمح له بالدخول فهَمَ يُسرع خطواته اقترابًا إلى مكتب الإمبراطور، أعطاه التحية بجرعة زائدة لكن نظراته الماكرة وابتسامته الصفراء كانت توحي بأن هناك أمرٌ ما يحتاج إلى كل هذا التَحَايُل والمراوغة، تعمد رئيس الوزراء «تاناكا غيتشي» ارتداء زيه العسكري كاملاً وتعمد أيضًا ارتداء كافة الأوسمة والنياشين التي حصل عليها طوال فترة خدمته في الجيش الإمبراطوري ليُرسل رسالة صماء إلى الإمبراطور الشاب يخبره فيها بخبراتِه العسكرية الطويلة وبمدى درايته بذلك الأمر الخبيث الذي جاء ليعرضه عليه، ارتشف الإمبراطور شربة من الشاي الساخن قبل أن يخبر رئيس الوزراء عن شغفه في معرفة الأمر الهام الذي دفعه للحضور إليه في هذا الوقت الباكر دون حتى تحديد



موعد مسبق، احتفظ بابتسامته الخبيثة وهو يخبره بودٍ زائد أنه جاء من أجل نهضة الإمبراطورية اليابانية ورفع رايتها خفاقة، أخبره أيضًا أنه جاء من أجله ومن أجل مستقبله المشرق الذي ينتظره.

– أنا لا أفهم شيئًا من كلامك المعسول أيها الجنرال، أرجو أن تخبرني ماذا تقصد حتى يسهل علي إدراك الأمر.

– بكل تأكيد لكن في البداية أحب أن أخبركم بأمرٍ هام، أنت تعلم يا سيادة الإمبراطور أنك لم تُكمل عامك الأول في قيادة حكم الإمبراطورية اليابانية الكبيرة منذُ أن توفى والدك الإمبراطور العظيم «تايشو» وتعلم أيضًا أنك توليت قيادة الإمبراطورية وأنت لازلت في منتصف عَقدك الثاني.

– ماذا تقصد أيها الجنرال!!

قالها الإمبراطور بغضب فأسرع رئيس الوزراء في تهدئة الأجواء قبل أن تخرج الأمور عن الإطار المحدد لها.

– أنا لا أقصد أي شيء مُهين، فقط أنا أخبرك يا سيادة الإمبراطور الأعظم أنك في حاجة ماسة إلى إنجاز عظيم حتى يُخلد التاريخ أسمك بحروفٍ من ذهب، وتصبح الاسم اللامع وسط أسماء أسلافك



أباطرة اليابان العظماء، كل منهم لديه تاريخ وسجل مُشرف والآن جاء دورك في كتابة تاريخك المجيد.

اتسعت حدقة الإمبراطور وراحت لمعة الانبهار تتلألأ بوضوح في عينيه، شبح ابتسامة بسيطة في مظهرها موحشة في معناها تظهر على ثغر تاناكا لأنه أدرك كيف يضع يده على تلك الرقعة التي كانت تشوه لوحة المستقبل في ذهن الإمبراطور الشاب، أردف سريعًا حتى لا يترك للحديد مجالاً ليبرد فيصعب عليه تشكيله.

– والدكم العظيم قام بغزو جزيرة كوريا قبل أن يموت من أجل الموارد التي نستعين بها في تصنيع السلاح والتطور التكنولوجي لكنها لم تعد تكفي حاجتنا، نحن بحاجة إلى المزيد والمزيد، طلبت من الجنرال الحاكم العام الياباني على جزيرة كوريا بأن يضاعف لنا الخامات والموارد لكنه أخبرني بأنه أمر مستحيل، وهذا سيؤدي حتمًا إلى تعطيل التقدم التكنولوجي والصناعي في عهدكم ونحن لا نريد أن يستغل هذا بعض القيادات المستاءة من وجود سيادتكم وتزرع بها فتنة حاقدة بينكم وبين شعبكم.

أطال الإمبراطور النظر والتفكير ثم أجابه.



– وماذا علينا أن نفعل!!

– الزحف، الزحف إلى دول الجيران التي تعج أراضيهم بالموارد والخامات غير المستغلة والتي ستحتاج إلى مصاريف طائلة إن فكرنا في شراءها منهم.

– هل تقصد أرضًا بعينها.

– كل دول الجيران غير المستغلة خاصةً الصين، الصين يا فخامة الإمبراطور تملك مساحات شاسعة وأرضها تعج بالموارد الطبيعية.

– لكن الصين دولة كبيرة، نحن لا نساوي واحداً في العشرين من حجم وتعداد هذا البلد.

ابتسم رئيس الوزراء حتى باتت هيئته أشبه بالضباع الجائعة.

– الصين بلد كبير لكنها مجزأة كقطع الباذل، وكل قطعة بها جيش مختلف عن الآخر حتى إن ولاياتها تتبع أساليب مختلفة في القيادة بسبب تشتت حُكامها وزعمائها، التفرق والتصدع الذي يُصيب البلد هو سلاحنا لغزو الصين وبداية خطتنا الكبرى لغزو العالم.



– غزو العالم!!

– نعم يا سيادة الإمبراطور، أريد أن يصبح كل شبر في الكرة الأرضية تابع إلى إمبراطوريتنا العظيمة في عهد سيادتكم، أريد أن تصبح الإمبراطورية في عهدكم أكبر إمبراطورية في التاريخ.

ذُهل الإمبراطور، فهو لم يتوقع أمرًا كهذا على الإطلاق، أردف رئيس الوزراء.

– السيطرة على العالم تبدأ بغزو الصين لأنها بلد كبيرة وسكانها يتعدون المليار، إذا استغل جيشنا العظيم ثغرة التفكك التي يعيشون فيه سنقضي عليهم بسهولة شديدة، ومتى انتصرنا في احتلالها سترتعد كل بلدان آسيا ومنها للعالم أجمع، كل بلد بها خيرات وأيدي عاملة وتسليح، ستصبح اليابان إمبراطورية عظيمة في عهد الإمبراطور الشاب «هيروايشي».

تلاعب رئيس الوزراء بعقل الإمبراطور بعدما تسلل عبر الثغرات البسيطة التي يعرفها جيداً ليلقي عليه طلاسم سحره الأسود التي مثلها كمثل الخمر التي تذهب العقل وتؤدي إلى التوهان فجعل منه مادة لدنة يشكلها بين أصابعه بكل سهولة.



– أوافق على كل ما ذكرت أيها الجنرال المُحنك، اجمع كل أفكارك وخطتك في وثيقة ثم اعرضها بشكلٍ رسمي لأوافق على تنفيذها فورًا.

ابتسم رئيس الوزراء بخبث شديد.

– أمر سيادتكم.

– أريد أن أبدأ في تنفيذها سريعًا، أريد أن أحتل العالم عبر هذه الوثيقة السحرية التي سأطلق عليها وثيقة «تاناكا».

* * *

– ٤ –

غزو مانشوريا ١٨/٩/١٩٣١

قاعة اجتماعات كبيرة ذات جدران ضخمة، سقفًا شاهقًا مُزين ومزخرف بالتراث العسكري الياباني المُكون من عدة وثائق ولوحات تاريخية تحكي الانتصارات التي حققها الأباطرة سلفًا في أعتى وأشرس المعارك الحربية، طاولة كبيرة جداً لدرجة أنها تبتلع أكثر من نصف اتساع القاعة التي تسمح بإقامة حلبة نِزال وملاكمة بداخلها، ارتص على جانبيها عدد كبير من الجنرالات وقادة الجيش الإمبراطوري في انتظار وصول الإمبراطور الحاكم لحضور الاجتماع الأهم ضمن سلسلة اجتماعات يعقدها هو مع قادة الجيش منذُ إعلان الصحف الصينية من قِبل «الكومينانغ» أو الحزب الوطني الشعبي الصيني «وثيقة تاناكا» التي تضم نواياهم الخبيثة في احتلال الصين ومن ثم احتلال العالم، تسربت الوثيقة ووصلت إلى الصحف الصينية التي قررت فضح نواياهم في احتلال العالم وإبادة الشعوب عن بكرة أبيها عدا أولئك القادرين على أعمال السخرة والعبودية، أُعلنت حالة الطوارئ في كل صفوف الإمبراطورية اليابانية للتعامل مع الوضع بأقصى سرعة حتى لا يتمكن الصينيون من جمع شتاتهم ويتكتلون في مواجهة الغزو



الياباني المنتظر، الجميع في حالة هدوء مريب كأن على رؤوسهم الطير، الكل مشغول في الخطط والأفكار الإستراتيجية التي طلبها منهم الإمبراطور الشاب لتنفيذ وثيقة رئيس الوزراء الأسبق «تاناكا» خشية أن تُنسى خاصةً بعد وفاته منذُ عامين.

فُتِح الباب على مصراعيه فظهر الإمبراطور وسط حاشيته وقد اختلفت نظراته واحتدت قسمات وجهه عن الاجتماعات السابقة بسبب الأعباء والهموم التي تتراكم يومًا بعد يوم على عاتقِه منذُ أن قرر غزو العالم ليرفع رايته عند ذلك الارتفاع الذي لم يصل إليه أحد من أسلافِه، وقف الجميع إجلالاً واحتراما للإمبراطور الذي اقترب منهم وجلس على الكرسي المخصص له والذي بدا أقل اتساعًا عن سابقه، لَحِق به الجميع، الإمبراطور في حالة ضغط عصبي شديد، تتحرك أصابعه بتلك الحركة الرتيبة التي تشعر معها أنه موسيقار يعزف على آلة موسيقية، افتتح تلك الجلسة السرية كعادته بالكلام الثابت عن التوسع في الإمبراطورية اليابانية وعن المجد الذي ينتظر الجميع، طلب منهم أن يستمع إلى خططهم المحكمة ليبدأوا سريعًا في تنفيذ خطة تاناكا.

– أنا لدي خطة مدروسة بعناية شديدة يا سيادة الإمبراطور.



ذلك كان رئيس الوزراء «أوساتشي هاماغوتشي» الذي أردف.

– لكي نحتل العالم يجب أن نبدأ بالصين، ولكي نحتل الصين علينا أن نبدأ بـ «منشوريا ومنغوليا» وهذا ما أخبرنا به تاناكا قبل وفاته.

– هذا صحيح.

– أنا لدي خطة محكمه بعناية كما أخبرت سموك لاحتلال منغوليا ومنشوريا في آنٍ واحد.

– أخبرني إياها، ولا تنسَ أنه أذيعت نيتنا في احتلال العالم بعدما تسربت الوثيقة إلى أيدي الكومينانغ، وأنا أخشى استهجان المجتمع الدولي.

– خطتي محكمة بعناية يا سمو الإمبراطور الأعظم، كل ما ينقصنا هو التسليح اللازم لنسحق «مانشوريا» بأقل مجهود ممكن، وحتى نقذف الرعب في قلوب كل بلدان آسيا.

– تمت الموافقة على ميزانية التسليح في مجلس طوكيو منذُ يومين، الآن علينا أن نستمع إلى خطتك.

ابتسم رئيس الوزراء بخبثٍ شديد.



– حادث صغير سيضع منشوريا في موقفٍ مُحرج ويتيح لنا فرصة الانتقام، سيتسلل بعض رجالنا إلى موكدين ويزرعون كمية من الديناميت بالقرب من سكك الحديد جنوب منشوريا اليابانية ونقوم بتفجيرها ثم نتهم المقاومة الصينية بفعل هذا التصرف المُشين ثم نتبع هذا الاتهام بغزوٍ ساحق وشامل لمنشوريا بحجة الثأر ورد الاعتبار على ما صدر منهم.

تهلل وجه الإمبراطور بالبشر والحبور حينما انتهى من سماع خطة رئيس الوزراء.

– راقت لي هذه الفكرة، يجب العمل عليها.

– كل شيء جاهز يا سمو الإمبراطور فكان لدي شعور غريب بأنها ستروق لك فأتممتها.

– رائع جداً متى ستبدأ تنفيذها.

– في القريب العاجل، تحديداً في غضون أيام.

– ولماذا ليس الآن؟؟

– الطقس يبدأ بالتحسن خلال شهر سبتمبر في منشوريا، مما يدفع الكثيرين لأخذ عطلات، وهذا

سيكون مربط الفرس بالنسبة لنا، سيسهل عمليتنا بشكل كبير.

– أنا لا أريد أي خطأ.

– لا تقلق يا سمو الإمبراطور إن كل خطوة مدروسة بعناية، ما عليك هو الاستعداد التام لتستمع إلى أولى خطوات تنفيذ خطة تاناكا.

ابتسم الإمبراطور في سعادة بالغة وهو يرى أمامه المجد يتجسد في مخيلتِه.

* * *

حادث موكدين ١٨/٩/١٩٣١

تنازل الطقس عن الاحتدام وانتعش بلفحات البرودة الطفيفة مع بداية شهر سبتمبر فصار طقس لطيف دفع عدد كبير من العسكريين والمدنين اللذين يعملون عند الحدود الصينية لـ«منشوريا» لأخذ عطلة خاصةً وأن الصين كانت في ذلك التوقيت دولة مفككة تُعاني من تَراخي في الإدارة، مما سهل مأمورية الملازم «كاواموتو سيوموري» الذي كُلِف من بعض القادة بجيش الإمبراطور بزرع أصابع ديناميت على خط السكة الحديد لتكون بداية الفتنة والثغرة التي سيتسلل



الجميع منها، اقترب الملازم من محيط المكان المتفق عليه لزرع الديناميت بصحبة مجموعة من الجنود اليابانيين المتحمسين لينالوا شرف الموت من أجل الـ»تينو» والمقصود بها باللغة اليابانية السيادة السماوية للإمبراطور، فاليابانيون يعتقدون أن الأسرة الإمبراطورية تنحدر من الإله، وإرضاء الإمبراطور يوازي إرضاء الإله لذلك الجميع متحفز للموت من أجل الـ»تينو».

اقترب الملازم بصحبة جنوده من خط السكة الحديدية ففوجئ بمجموعة من الصينيين متواجدين في محيط تلك المنطقة، يُدخنون عدداً من لفافات التبغ، رمق الملازم ذو الوجه الصارم ساعة يده، هناك متسع من الوقت فقرر الانتظار، أخبر فريقه بقرارِه فثار أحد الجنود المرافقين له وسأله لماذا لا ننقض عليهم ونزهق أرواحهم حتى لا تتعطل مهمتنا المنشودة، حدق الملازم بعينيه الضيقتين المُحددتين بمادة سوداء سواداً داكنًا، ثم أمره بملامحه الغليظة أن يُنفذ الأوامر دون نقاش وإلا قتله وأخرجه من أسفل مظلة الموت من أجل الـ»تينو».

مرَّ الوقت على ساعته بطيئًا للغاية حتى تعدى العقرب الكبير للساعة الوقت المُحدد من قِبل الملازم الذي أمر جميع من معه بسرعة التحرك والانقضاض على هؤلاء الملاعين الذي تزايد عددهم



مع مرور الوقت، أمرهم أن يُقطعوهم إربًا من أجل إتمام أوامر الإمبراطور المتمثلة في إتمام المهمة دون أخطاء، لم يشغله تفوقهم العددي، فهو يعلم جيداً قدرات ومهارات فرقته، أخرج الجنود أسلحتهم البيضاء وبدأوا يتحركون بوضع القرفصاء بحرصٍ شديد حتى لا يرتفع صوت وقع أقدامهم فيلفتون الأنظار، يتحركون ببطء شديد حتى وصلوا إلى مسافة قريبة، فحطوا عليهم كما يحُطُ النسر على فريسته، كان على كل جندي قتل أربعة صينيين بسبب تضاعف العدد، عقيدتهم التي يؤمنون بها ستجعل من القتل أمرًا يسيرًا، انقضوا عليهم وذبحوهم واحد تلو الآخر، لم يتمكن من الفرار سوى شاب صيني واحد أفلت منهم بعدما أشتبك مع الملازم «كاوا موتو» وفر هاربًا، قدمه فقدت الاتصال بالجاذبية الأرضية وهو يجري فزعًا بعدما رأي أصدقائه وهم يُذبحون أمام عينه بكل سهولة، رؤيته لدماء أصدقاءه جعلت الأدرينالين يتضاعف بشكل هستيري في جسدِه فلا يدري إلى أين يذهب، ظل يركض كالتائه بلا توقف ثم شعر بشيءٍ في يدِه، شيء معدني، توقف عن الركض وهو يلهث ويُجاهد بشدة لالتقاط أنفاسه، إنها سلسلة من الفضة، في نهايتها مربع محفور عليه باللغة اليابانية اسم الملازم الذي يقود المجموعة!! معرفته البسيطة باللغة اليابانية سمحت له بقراءة الاسم المنقوش،

لكن عقله لم يُدرك وقتها أنها بداية لحربٍ شرسة ولمعارك طاحنة ستبدأ خلال ساعات، مما دفع الملازم للتحرك بسرعة البرق قبل أن يمر القطار ليزرع الديناميت سريعًا وبشكل عشوائي غير مدروس بسبب اقتراب وقت مرور القطار، الانفجار لم يكن قويًا ولم يصب القطار بأي تلف بسبب ضعف تمركز الانفجار لكن كل هذا لم يعرقل قيام الإمبراطورية اليابانية بتوجيه أصابع الاتهام إلى المقاومة الصينية، وفي صباح اليوم التالي مباشرةً قامت قوات جيش الإمبراطور الياباني بإلقاء عدد كبير جدًا من القنابل على منشوريا فحولتها إلى كرةٍ من اللهب المُشتعل، قصفوها ودمروها بالكامل بسبب حادث بسيط لم يُقنع المجتمع الدولي خاصةً أنهم كانوا على دراية بنواياهم الخبيثة من البداية، مما أدى إلى عزل اليابان دبلوماسيًا وعزلها نهائيا من عصبة الأمم الدولية التي تأسست بعد الحرب العالمية الأولى بهدف نشر السلام!!، كل هذا لم يُحرك شعرة واحدة في رأس الإمبراطور الياباني الذي بدأ فعليًا تنفيذ مخطط تاناكا.

* * *



– ٥ –

قبل غزو العاصمة الصينية بيومٍ واحد.

١٢ ديسمبر عام ١٩٣٧م

استمر الغزو الياباني الغاشم في الزحف بسرعة كبيرة كالجراد الأصفر يأكل المدن الصينية مدينة تلو الأخرى، وذاع سيطه حتى وصل إلى أعتاب العاصمة الصينية نانجينغ منذُ عدة أيام لتبدأ معركة طاحنة بينه وبين جيش المقاومة الصينية الذي رفض تسليم المدينة بسهولة رغم قلة الذخائر والأعداد.

إنها ليلة الثالث عشر من كانون الأول «ديسمبر» لعام ١٩٣٧، «لي يونج» يجلس داخل منزله الصغير على ركبتيه في خشوعٍ تام، بسط يداه بشكلٍ نفرت على أثره أوردة يده وهو يبكي خوفًا، جسده يرتعش على أثر ما يحدث في العاصمة من حصار وغارات يابانية عشوائية، علاوة على نوبة البرد والشتاء التي تجتاح البلاد، خلفه وعلى مسافة صغيرة جلست زوجته على نفس الشاكلة والخشوع، بل كانت أشد منه خوفًا وحزنًا، دموعها تتساقط بغزارة شديدة، يُطأطئ كل منهما رأسه في خشوعٍ وتقوى ووقار، يحاولان أن يرفعان



دعائهما إلى اللّه كي يستجيب لهم وينجيهم من اجتياح اليابان للعاصمة الصينية.

– الهي إنك أنت العزيز الجبار الذي لا إله إلا أنت إلهنا واله كل شيء إلها واحداً، أسألك بحرمة الكلمات التامات كلها الأمن والعفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة، والأهل والجسد والمال والولد والمسلمين أجمعين يارب العالمين إنك على كل شيء قدير، وارحمني برحمتك يا أرحم الراحمين، واكشف عني ما نزل بي من ضر وشر كل ما أردت من الأمور، وخلصني خلاصا جميلا يا رب العالمين، وصلْ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

أصوات القذائف في الخارج والانفجارات تُزيد من توترهما فيجهشا بالبكاء أكثر والخشوع، ينظر لي يونج إلى زوجته في حزنٍ شديد، لا يستطيع النجاة من دوّامات القلق الطاحنة التي لا تهدأ بداخلِه أبداً، أنهى صلاته ودعائه وأجهش بالبكاء وهو يرمق زوجته بحزنٍ شديد.

– اليابانيون يحاصرون العاصمة منذُ أيام، وجيش المقاومة الصينية لن يصمد طويلاً في تلك المعركة الطاحنة، هذا ما يحدثني به قلبي.

أجابته زوجته والدموع تملأ عينيها.

– قلبي أيضًا يُخبرني بذلك، لكن نحن لا نملك سوى الدعاء لهم بالصمود.

– إن تمكنوا من الدخول فلن يكن أمامنا سوى الفرار، وأتمنى أن يتاح لنا فرصة لعمل ذلك فاليابانيون لا يرحمون أحد وما فعلوه في المدن السابقة خير دليل على ذلك.

– أعلم ذلك لكن اللّه رحيم بنا وبعباده أجمعين، لن يضعنا سوى في مِحن هو يعلم أننا نستطيع أن نتغلب عليها، اللّه لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

وقعت عين لي يونج على الأطفال وهم ينكمشون على أنفسهم لا يبالون بأي شيء فازداد بكاءه وتساقطت دموعه أكثر وهو يسأل زوجته.

– وما ذنب هؤلاء الأطفال؟؟

– ذنبهم أنهم أطفالنا ونحن واجبنا الدفاع عنهم حتى آخر قطرة دم في أجسادنا.

رفع رأسه ويديه إلى الأعلى وظل يدعوا اللّه برجاءٍ تام وصوت الانفجارات يدوي في الخارج، يدعو اللّه دعاءاً حارًا وجهوري ممنيًا النفس أن يستجيب له ثم انزوى لي مثل كومة من أوراق الشجر الجافة، يقبع في ذلك الحيز الضيق بصحبة الحالة النفسية



السيئة التي ترافقه، يستأنف دعاءه الذي لا يتوقف أملاً في النجاة، دوي الانفجارات في الخارج لا يزال مستمرًا ، دارت برأسِه دوامات الأسئلة التي لا تنتهي، عرض عقله عليه مجموعة من الأحداث التخيلية لما سوف يحدث لو تمكن اليابانيون من إسقاط المدينة، سيطها السيئ الذي يُذاع عنها منذُ أن بدأت حربها على منغوليا جعل أعصاب لي يونج تتوتر بالشكل الذي صم أذنه فسكنت الأنحاء من حولِه للحظات ثم استفاق على صراخ ابنه الرضيع المختلط ببكاء الأطفال الذي بدأَ يتعالى تدريجيًا، استفاق على وجه ابنته ذات الثمانية أعوام والدموع تغرق وجهها وهي تقف أمامه بخضوعٍ تام، قام منتفضًا فأخذها في أحضانه فدفعته بقوة واهنة لكنها كانت تمثل لها القوة العظمى وهي تخبره بلسانٍ طفولي يتناسب تمامًا مع وجهها الباكي أنها تتضور جوعًا، حالها حال إخوتها الصغار الذين لا يستطيعون إخبارهم بذلك.

– هل نفد الطعام من بيتنا؟؟

سأل لي يونج زوجته فأجابته وعيناها تسيل بدمعٍ حارّ.

– الطعام نفد من الشارع بأكمله ليس من بيتنا فقط، الحي يعيش حالة مزرية من قلة الغذاء والدواء.

ظهر أثر ذلك الكلام على وجهِه فأردفت زوجته.

– المتاجر والمحلات في الحي بأكمله أغلقت تجارتها منذُ وصول الجيش الفاشي على أعتاب المدينة , ادخر التجار بضائعهم لأنفسهم خشيتاً مما سيحدث .

– بالتأكيد هناك أحياء أخرى لديها متاجر لايزال اصحابها يبيعون الطعام .

– ربما الأحياء التي تمتلك أجناساً أخرى قادرة على فعل ذلك ولا تخشى اجتياح هؤلاء، والوصول إلى تلك الأحياء في غاية الصعوبة.

– ماذا عن العائلات الثرية في الحي بالتأكيد لديهم مخزون طعام، الحي به كثيراً من الأغنياء والتجار.

– نحن نحيا في أيام أصبح فيها الشعير والأرز كالماس، لن يفرط فيه أصحابه بسهولة، لابد أن يكون المقابل مغري وجذاب وإلا لن تكون هناك مقايضة.

– وماذا عن روح التعاون والمساعدة!!

– قتلها اليابانيون.



هرع «لي يونج» إلى الشرفة، ألقى نظرة على الحي الذي يسكن فيه، الشارع مظلم على عكس الأحياء البعيدة عنهم، لا يكسر ظلمته سوى ضوء القمر وإضاءة الانفجارات التي تظهر فجأة على فترات مختلفة، عاد مسرعًا إلى الداخل بعدما أضاءت فكرةٌ في رأسه حينما وقعت عيناه على منزل عائلة «مينج» الذي يقع على مسافة ليست ببعيدة عنهم، عاد مسرعًا إلى الدخل فلفت أنظار زوجته فدفعها ذلك لسؤالِه.

– ماذا بك؟؟

– سأهم بالرحيل.

– إلى أين ستذهب!!

– إلى منزل عائلة «مينج» سأطلب منها العون، أنا على يقين بأنهم لديهم ما يفيض عن حاجتهم من طعام، فهم عائلة ميسورة الحال والجميع يعلم ذلك.

– وما هو المقابل؟؟

– عائلة مينج تتمتع بروح طيبة، أنا ذهبت إلى منزلهم وأنا أستبدل لهم باب مخزن الطعام المكسور منذُ عدة أسابيع، لن أجد منهم سوى



سخاءً وكرمًا مبالغ فيه حتى أن ابنهم الأكبر صار يعرفني معرفة شخصية بسبب موقف ما جمعنا.

– أتمنى أن تأتي تلك المحاولة بثمارها فالأطفال في حالة جوعٍ كافر.

– ستأتي بثمارها، لن أعود إلا بالطعام مهما كلفني الأمر.

أنهى كلماته ثم وضع المعطف الثقيل على كتفِه ثم انطلق كالطلقة يهبط درجات السلم بسرعة رهيبة ولا يزال صوت دوي الانفجارات يرج أركان المدينة، تَزَحَّفَ مستطلعًا حتى أدرك أن الشارع آمن تمامًا، ركض بسرعة ووهج القنابل يُنير ظلمة السماء والمكان الدامس بأمر من قوات الدفاع الصينية حتى لا يهتدي اليابانيون ويقصفون المدينة ليلاً، اختبأ خلف جدران منزل قريب من منزلِه والتفت يستطلع الطريق المؤدي إلى منزل عائلة «مينج» الذي يقصده، استمع إلى صوت غريب لا يمكن تميزه بالأذن فقط بل عليه تحريك رأسه تجاهه ليتعرف على مصدرِه، إنها عربة خشبية من تلك العربات التي يجرها البغال، إحدى عجلات تلك العربة غير محكمة التثبيت فتصدر ذلك الصوت العجيب الذي تسلل إلى أذنِه فتابعها بعينيه حتى اكتشف أنها تعود إلى أحد جيرانه، أسرة بالكامل وضعت ما استطاعت حمله من أمتعة على ظهر

العربة وقرروا الفرار من المدينة، لي يونج لا يعرفهم جيداً لكنه يعلم أنهم ضمن الأغنياء ميسوري الحال، ظل يتابعهم بعينيه وهم يقتربون منه، دوي انفجار أنار ظلمة المكان فلمح بعينيه شبحاً أسود يقذف من أعلى سطح مبنى مرتفع إلى مبنى أقل في الارتفاع، أضيء المكان في اللحظة المناسبة فقذف في قلب لي يونج الرعب وجعله يتوارى بجوار الحائط أكثر حتى يكتشف هوية ذلك الشبح، ثوانٍ معدودة مرت عليه حتى وجد شبحاً آخر يقفز من على سطح منخفض الارتفاع على العربة الخشبية، تعالت صرخات أطفال العائلة في الوقت الذي بدأ فيه أشباح آخريين بالقفز عليهم من كل جانب، إنهم أشخاص ملثمين يرتدون ملابس سوداء فيبدو مع ظلمة المكان أنهم مجموعة من الأشباح، بسرعة البرق ذبحوا أفراد العائلة وأطاحوا بجثثهم من العربة واحداً تلو الآخر كأثواب القماش البالي، حاول سائق العربة أن يزيد من سرعتها فأخذ يضرب البغل بقوة على ظهره حتى استوقفه أحد الملثمين وذبحه بدمٍ بارد، إنهم مجموعة من اللصوص استغلوا فترة الحرب وانشغال كل أفراد الجيش والأمن وبدأوا بنهب العامة، اهتزت سواكن «لي يونج» على أثر تلك الأفعال التي تجردت من الرحمة والإنسانية، انتظر حتى سلبوا ما استطاعوا حمله وفروا هاربين فانطلق هو بوضعية القرفصاء حتى لا يلفت



الأنظار، اقترب من جثث الأسرة التي قُتِل كل أفرادها، نظر إليهم حتى لمعت عيناه حزنًا على ما أصابهم وأصاب أطفالهم، ثم مضى في طريقِه يفكر في الحالة التي وصل إليها الوطن، حتى وصل إلى باب منزل عائلة مينج، في البداية تردد كثيرًا ثم بدأ يطرق بهدوء على الباب في البداية، ثم تصاعد الطرق حتى استمع إلى وقع أقدام تقترب من الباب، ابتعد قليلاً واختبأ خلف كومة قريبة من الباب حتى اتسعت فرجتُه، طل رب الأسرة برأسِه ليُدرك من الطارق، قام لي يونج من مقامِه فنظر إليه الرجل مليًّا وراح يحدق فيه كالمذهول، انحنى لي يونج وأعطى له الاحترام المبالغ فيه.

– من أنت وماذا تريد؟؟

سأله رب الأسرة فأجاب.

– أنت لن تتذكرني، أنا أعمل نجارًا وقد جئت إليكم منذُ عدة أسابيع وقمت بإصلاح واستبدال أشياء عديدة في منزلكم، منها إصلاح باب مخزن الطعام الذي يقع في الدور الأرضي.

– أنا لا أفهم ماذا تريد؟؟

– أريد بعض الطعام من أجل أطفالي، أنا أعلم أنكم عائلة ميسورة الحال ولا أريد سوى بعض الأرز

أو الشعير.

أطال الرجل التفكير والتدقيق قبل أن يصرخ في وجهِه.

– أغرب عن وجهي وإلا قتلتك.

– ماذا بك يا سيدي أنا لا أطلب سوى بعض الطعام من أجل أطفالي!!

– أنتم مجموعة من اللصوص تدبرون الأمور لتقتحموا منازلنا وتنهبوها وتقتلوا أطفالنا.

– لا يا سيدي هذا كلام غير صحيح، أنا لا أريد سوى بعض الأرز أو الشعير كما أخبرتك وسأغرب عن هنا.

– أخبرتك أن تنصرف.

قالها بحزمٍ شديد هذه المرة فأجابه لي يونج.

– يا سيدي فقط من أجل أطفالي.

– لا تريد أن تنصرف، إذاً أنت من اتخذ القرار الخاطئ.

احتقن وجه الرجل ثم دخل إلى المنزل، فاعتقد لي يونج أن ضميره قد استفاق وذهب ليحضر له ما طلبه بعدما أذاب أسلوبه الذي يتوسل به ذلك



الجليد الذي يحول بين حديثهما، على الرغم من أن أسلوب الرجل لا ينمُ عن ذلك لكنه حاول أن يستبشر خيراً، اتسعت فرجة الباب وخرج الرجل يحمل عصا مطاطية لدنة، يضربه بها بكل قسوة على جسده وهو يوبخه ويطلب منه الرحيل وألّا يعود إلى هنا وإلا قتله، حاول لي يونج الصمود وحاول أيضاً تهدئة الرجل حتى اكتشف عقم الحديث فركض بعيداً عن أنظار الرجل الغاضب وهو يلعن تلك الظروف التي وضعته في هذا الاحتياج الشديد، هو لا يلوم الرجل على فعله فأولاد الحرام نزعوا الشفقة من قلوب الجميع بتصرفاتهم المشينة، علاوة على حالة الحرب التي تغرق البلاد في الظلم وسوء الظن، أخذته قدماه السريعة إلى خلف منزل عائلة مينج، استند على ركبتيه في وضع الركوع يلتقط أنفاسه ثم استقام ليدعو اللّه وينظر إلى السماء فوقعت عيناه على تلك الشرفة التي سها عنها أفراد العائلة وتركوها مفتوحة، هناك بصيص من الضوء الخافت يأتي من الداخل، راح يتنقل ببصره حول الأماكن المحيطة بتلك الشرفة، يدرسها جيداً ليعرف هل بإمكانه التسلل إليها ليأخذ الطعام الذي يحتاجه دون علم أصحابه، توقف للحظات أمام تلك الفكرة يحاول أن يتيقنها جيداً، يفكر في أبعادها الدينية وهل بهذا الفعل سيقع في حرمانية أم أنه في موقف المضطر، تذكر صراخ أطفاله وبكائهم والجوع

القاتل الذي يفتك بهم، هذا بالتأكيد لا يُرضي أي دين، بالتأكيد لا يرضي إلهنا، ربما لو كان قديسٌ في نفس موقفي لفعل مثلما سأفعل، تلك كانت الجملة التي أسكت بها ضميره قبل أن يرمق ذلك البرميل الصغير الذي سيستعين به ليصل لتلك الماسورة التي سيصعد عليها حتى يُمسك بذلك العِرق الخشبي السميك ليصل به إلى تلك المساحة المسطحة المنبسطة التي سيصل عبرها إلى الشرفة المفتوحة، الضوء البسيط الذي يُنير داخل المنزل هو ما فضح أمر الشرفة المفتوحة، همَ بتنفيذ خطته، فشل في بداية الأمر وسقط ولم يستطع الوصول لكنه لم ييأس، توسل السُّبل حتى استطاع الوصول إلى الشرفة، عبرها بهدوء ليجد نفسه داخل المنزل، تقدم بخطوات مترددة يغلب عليها الخوف الشديد والحذر، يحرك قدمه ببطء شديد كأن عضلاته تأبى أن تُطيعه حتى وصل إلى باب الغرفة التي بها الشرفة المفتوحة، هناك حركة لا تهدأ أبداً داخل المنزل كأنه تسلل إلى خلية نحل لا يتوقف بداخلها العمل الدؤوب، تختلط في أذنه الأصوات وتتداخل ممزوجة بحركة الهرج والمرج بلا هوادة، أخرج رأسه ببطء ثم أطلق العنان لبصرِه ليرمح خارج الغرفة وليكتشف ما يحدث خارجها، إنها حقاً عائلة غنية، نظيفة تعتني بكل شيء داخل المنزل فتشعر أنه قصراً متواضعاً، يحاول لي يونج أن يتعرف على



الطرق داخل المنزل ليدرك خزانة الطعام التي تكون في الطابق السفلي كعادة كل الصينيين، وقع أقدام تقترب من الغرفة مما جعله يعود سريعًا إلى داخل الغرفة، الوقع يتعاظم، توترت أعصابه وهو يتلفت حول حتى ارتطمت برأسِه فكرة، سيختبئ تحت السرير، انحشر بكامل جسده كالهرة التي تختبئ خشية الغرباء، المنظر من هناك مختلف، لا يرى سوى أربعة أحذية يتشابه كل اثنان منهما، يتجولن داخل الغرفة، أخرج رأسه قليلاً ليكتشف أنهن أصغر بنات العائلة، تتحدث الفتاة الأصغر إلى أختها.

– هل سنأخذ كل أغراضنا.

– لا، أبي أخبرنا أن نأخذ أهم المتعلقات وأخفها وزنًا حتى يسهل علينا حملها.

– هل سنترك نانجينغ؟؟!!

– أتمنى أن لا تختفي نانجينغ من الأساس بعد دخول اليابانيين.

ظهر ذلك على وجه الفتاة الصغيرة التي شرعت في البكاء.



– ليس أمامنا وقت للبكاء، تسربت لأبي أخبار هامة بأن جيش المقاومة على وشك الانسحاب، وفي خلال ساعات ستصبح نانجينغ ملكًا للعدو.

أنهت كلامها ثم شرعت تلم أغراضها وأغراض أختها الصغيرة، تشابكت الأحداث والخيوط في عقل لي يونج بمجرد أن استمع إلى كلام الفتاة الصغيرة، أخذ يفكر فيما رآه قبل أن يصل إلى منزل عائلة مينج الثرية التي تهم بالرحيل وكذلك العائلة التي داهمها اللصوص وذبحوهم، الأغنياء وأصحاب النفوذ يتركون المدينة بعُجالة، بالتأكيد تسربت لهم نفس المعلومات مقابل عائد مادي، تأكد لي يونج بأن نانجينغ على وشك السقوط.

استفاق من خواطره على وقع أقدام الفتيات وهن يغادرن الغرفة، عليه إحضار بعض الطعام ليأكل أطفاله قبل أن يأخذهم ويهرب هو الآخر، خرج من أسفل السرير ليكتشف أن الفتيات أغلقن الشرفة التي كان ينوي الفرار منها، الظلام دامس والمهمة أصبحت أصعب، ضرب بقبضة يده على الأرض غضبًا.

«لي يونج» عليه الهبوط إلى مخزن الطعام، فهو يعرف مكانه منذُ أن أصلح بابه سلفًا، زحف على بطنه حتى خرج من أسفل السرير، جلس في وضع القرفصاء وبدأ يتحرك ببطء تجاه باب الغرفة حتى استمع إلى وقع أقدام تقترب فتقوقع على نفسه



وتوارى خلف الحائط، الأجواء مظلمة والرؤية صعبة، انتظر حتى هدأ وقع الأقدام فخرج على هذه الشاكلة، يتحرك بتلك الوضعية الصعبة وكلما أحس باقتراب أحد أختبأ بسرعة، هبط درجات السلم والخوف يكسو كل خلية من خلاياه حتى وصل إلى الطابق السفلي، الباب مُحكم الغلق، التفت حوله وظل يتجول بعينيه في كل ركن من أركان المكان حتى وقع بصره على لوحة خشبية مُعلق عليها مجموعة من المفاتيح، تحرك إليها ببطء وهو يستمع إلى الحركة المستمرة التي لم تهدأ داخل المنزل، أخذ المفاتيح وعاد إلى الباب، بهدوء بدأ بتجربة المفاتيح حتى أتاه اليقين، استجاب القفل لأحدها وتحرك المزلاق إلي الخلف، حرك المقبض بهدوء والباب يصدر صريرًا بطيئًا ينهش قلبه خوفًا من أن يسمعه أحدٌ في المنزل، دخل إلى المخزن بهدوء، يحاول أن يتذكر كل جزء فيه، يتحرك بحرص بحيث لا يصطدم في أي شيء أمامه لكن الوضع كان صعب للغاية، على طريقة برايل بدأ يبحث عن الأرز أو الشعير الذي سوف يسرقه.

في الخارج ذهب أحد أبناء العائلة ليأتي بالمفتاح من على تلك اللوحة الخشبية، هناك مفاتيح مفقودة، لا يعلم أين هي، بحث عنها بعينيه حتى ارتطمت بأذنه أصواتٌ تأتي من داخل المخزن، انتبه



إلى مصدر الصوت وبدأ يقترب ببطء حتى تأكد أن هناك من يعبث بالمخزن، اتسعت عيناه وهرع إلى والده.

لازال لي يونج يبحث عن ضالته، يفتش في الجِوالات عن الأرز أو الشعير حتى أصطدم بواحد به ما يكفي حاجته، بسرعة البرق أخرج كيس بلاستيكي كان بحوزته وبدأ يعبئ منه بسرعة تتناسب مع كونه طوق النجاة لأسرته، امتلأ الكيس عن آخره فوضعه على الأرض ثم جلس على ركبتيه، رفع كفه إلى أعلى ونظر إلى سقف المخزن كأنه ينظر للسماء أغمض عينيه وبدأ يدعو اللّه ويُشهده أنه لم يفعل ذلك سوى من أجل البقاء، هو لم يسرق إلا من أجل أطفاله، يدعو اللّه كثيرًا متمنيًا أن يغفر له.

خرج من ذاتِه العميقة ثم حمل الكيس وهم بالخروج في الوقت الذي أُضيء فيه القبو، عائلة مينج بالكامل تقف أمامه مشهرين الأسلحة النارية والبيضاء في وجهِه بقيادة رب الأسرة الذي فتح له الباب سلفًا، ينظر له مغتاظًا كمن تسري على جسده أسراب النمل الفارسي، لي يونج ينظر له بخيفة شديدة ولا يستطيع الحركة من خدر أطرافِه التي فقد السيطرة عليها من هول ما هو فيه، تفقده رب العائلة بعينيه فتذكره.



– أنت مرة أخرى!! ألم أخبرك بأن تبتعد عن بيتي، فكيف وصلت إلى هنا؟؟

أجابه وهو ينكس رأسه.

– وصلت إلى هنا عبر النافذة المفتوحة، تسللت من خلالها.

– إذاً أنت لص كما اعتقدت!!

– أنا لست لصًا، أنا وجدت نفسي بين المطرقة والسندان، أطفالي يصرخون من الجوع والطعام يوجد في منزلك وأنت رفضت مساعدتي ماذا كان على أن أفعل، ليس أمامي سوى التسلل والسرقة وهي كرهًا لي.

– كل هذا لا يبرر السرقة.

– ستختلف وجهة نظرك تمامًا لو تبادلنا الأدوار.

ظهرت آثار تلك الكلمات على وجه رب الأسرة الذي وجه سؤالًا آخر إليه.

– وما أدراك أني لدي طعام؟؟ وكيف عرفت مكان الطعام من الأساس؟؟

تدخل ابن الرجل في الحديث ووجه سؤالًا هو الآخر إلى لي يونج.

– أعتقد أني رأيتك قبل ذلك، ملامحك ليست غريبة عني؟؟

– نعم يا سيدي فقد أتيت إلى هنا من قبل وأنت كنت تشيد بي لفترة من الزمن.

– أحاول أن أتذكرك، لعنة الإله على الحرب التي أفقدتنا كل شيء؟؟

– أنا من أصلح باب المخزن التالف يا سيدي.

– نعم، نعم لقد تذكرت، أنت النجار الطيب الذي جاء إلى هنا لإصلاح الباب وعاد إلينا بعدما وجد معه نقوداً زائدة.

قالها أبن الرجل فأجابه لي يونج في أسى.

– نعم يا سيدي، عدت إليكم كي أعطيكم النقود التي أخذتها بالخطأ.

– تذكرتك بالفعل، أنت النجار الأمين.

– نعم يا سيدي، هذا ما أطلقته علي وقتها.



– كيف لنجار أمين أن يسرق.

قالها رب الأسرة باستياء شديد وهو يتأرجح بعينيه بين لي يونج وابنه.

– أنها الحرب يا سيدي، تعبث بكل شيء.

– هو محق يا أبي، هذا الرجل أمين وأنا أشهد بذلك.

– الأمين يظل أمينًا للنهاية.

أجاب لي يونج والدموع تنهال من عينيه.

– يا سيدي، هل مشاهدتك لشخصٍ يحترق تساوي إحساسه بالنار مهما تعاطفت معه، أطفالي تموت جوعًا يا سيدي وأنا لا أملك سوى هذا الكيس الذي أحمله في يدي، حبات الأرز هذه هي ما ستعين أسرتي على شقاء الأيام المقبلة.

نحرت كلمات لي يونج أحشاء رب الأسرة الذي ظل يتجول بعينيه في كل فرد من أفراد الأسرة ثم سمح له بالانصراف ومعه طوق نجاته، لا تدري كم الدعوات التي ألقاها عليه قبل أن يهم بالانصراف، استوقفه رب الأسرة.



– يا بني، وصلتني أخبارًا بأن جيش المقاومة سينسحب بعدما نفدت كل ذخائرهم وهذا معناه دخول اليابانيين إلى المدينة ليكتبوا نهايتها، ستتحول نانجينغ في خلال ساعات إلى بؤرة من الجحيم، أرحل أنت وأسرتك ولا تنتظر، اليابانيون لن يرحموا أحداً.

انطلق لي يونج كالغزالة مسرورًا فرحًا بما أخذه من حبات أرز، على الرغم من الأخبار السيئة التي ألقاها عليه، إنما كان يشعر في تلك اللحظة أنه يمتلك الدنيا وما فيها، خرج من المنزل يركض في طريق عودته إلى منزله، لكن تأتي الرياح دائمًا بما لا تشتهي السفن، حبل سميك مدفون داخل حفنة من الرمال سُحب طرفيه بواسطة اثنين من اللصوص ليخرج من مرقدِه كوحش كاسر ليعرقل لي يونج ويُسقطه على الأرض ويتبعثر الأرز أمامه في جوف الرمال، قبل أن يستوعب ما حدث، وجد ثلاثة من الملثمين يهبطون عليه من العدم، يبحثون عن أي شيء يحمله، يدسون أيديهم في جيوبه الخاوية فلا يُخرجون منها سوى اللاشيء، رفسه أحد اللصوص وأخبره بلهجة عنيفة أنه أضاع وقتهم وهو لا يملك شيء، رفع الآخر سلاحًا أبيض إلى أعلى وهو يعقد النية بقسمِه إلى نصفين جزاءً له على فقرِه وامتلاكه اللاشيء، لكن أنقذه دوي انفجار قوي هز أركان المدينة جعل اللصوص



يتوقفون عن فعلتهم ليتابعوا النيران التي أنارت ظلمة السماء على مرمى بصرهِم، استغل لي يونج الموقف وحاول الفرار لكن استوقفه أحد اللصوص وأخذ منه كيس الأرز الذي تبعثر معظمه على الأرض، لي يونج يتوسل إليه ويُخبره أن هذا طعام أطفاله ولن يفيده في شيء.

– أنت أحمق، في الحرب كل شيء له ثمن حتى الهواء.

أنهي كلماته ثم رفسه بقدمِه في وجهِه فتفجرت الدماء من أنفه قبل أن يضربه آخر بمؤخرة السلاح الناري في رأسِه فانفجرت الدماء أيضًا على أثرها وكست وجهه باللون الأحمر، تركوه والنزيف لا يتردد بالسيلان، حرك لي يونج رأسه بصعوبة، جاهد لينهض ويتكئ على يديه وقدميه، يمشي عليها كالبعير وبدأ يأخذ حبات الأرز المختلطة بالرمال، أخذ حفنة منها وهو يبكي بكاءً حارًا، نظر إلى السماء وصرخ بكل قوة.

– لماذا، لماذا، أنت تعلم أنني في أمس الحاجة إليها من أجل أطفالي، أخبرت زوجتي أنك لن تحملنا ما لا طاقة لنا به لكنني بدأت أرتاب في ذلك، أنا لم أتحمل الصمود أكثر من ذلك، أنا خائف وأصلي ليل نهار، لماذا لم تستجب لي لماذا؟؟



أنهى حديثه وهو يبكي ويصرخ بشدة.

* * *

الرؤية تتعذر بسبب الدموع التي تملأ عينيه وهو يوالي صعود سلم البناية القصيرة التي يسكن بها، طرق الباب ففتحت زوجته وخيالها الغَضّ يُخيل لها أن زوجها قد عاد ومعه طوق نجاة يكفي حتى لإنقاذ أطفالهما، فتحت الباب فوجدته يطأطئ رأسه في أسف شديد، عيناه تمتلئ بالدموع وقلبه يعتصر، تَخضَّبَ وجهها بالحمرة وبدأت تبكي هي الأخرى حينما وجدت الدماء تسيل على وجهه، بسرعة البرق ركضت إلى الداخل وأحضرت خرقة وبدأت تجفف دماءه بعدما جلس على الأرض وحوله أطفاله يبكون.

– هل أحضرت الطعام يا أبي؟؟

سألته ابنته الصغرى فازداد بكاءه ثم بسط يده فوجدوا بها حفنة من حبات الأرز المختلطة بالرمال وقطرات الدماء فلم تتردد ابنته في أخذها والتهمتها كما هي دون طهي لتخرس صراخ معدتها، أطعمت أخوها الصغير بعض حبات الأرز أمّا الرضيع فلم تملك له سوى أن تحتضنه لتحد من صراخه ثم انفجرت في وجه أبيها تسأله لماذا لم يأتي بالطعام؟؟!! لماذا لم يوفي بالوعد الذي



قطعه لهم، تدخلت الزوجة سريعًا لترد على ابنتها.

– اللّه لم يرزقنا الطعام يا ابنتي.

انفجر لي يونج في وجه زوجته.

– أخبرتني بأن اللّه سينجبنا، كيف سينجينا وهو لم يرزقنا حتى بالطعام.

– إن أراد ذلك سيرزقنا، اللّه رحيم.

– كفي عن ذلك، أنا لم أعد قادرًا على خداع نفسي بذلك الكلام.

– لا يوجد أي خداع، هل عندك شك في أن اللّه لو أراد ذلك سينقذنا.

– أنا أتكلم عن وقائع وأحداث ملموسة بين يدي، لا يوجد لدينا طعام واليابانيون على وشك اقتحام المدينة، هذا ما سمعته في منزل عائلة مينج، أخبريني كيف سينجينا؟؟!!

– أتعلم، هناك امرأة عجوز وجدت مطرقة بعد انتهاء الحرب كانت تعود إلى أحد الجنود فأخذتها لتكسر بها حبات اللوز وبعد عدة أسابيع طويلة رآها أحد أقاربها فنزعها منها بالقوة وأخبرها أنها

قنبلة يدوية مليئة بالبارود، أرادت أن تكسر اللوز بقنبلة مليئة بالبارود لكن اللّه أراد أن يكتب لها النجاة، لنعتبر نحن وندرك أنه من السهل أن ينقذنا كما أنقذ تلك العجوز من الموت.

أجهش لي يونج بالبكاء، قبل أن تستفسر منه زوجته عن ما حدث في منزل عائلة مينج فكفكف دموعه بيده.

– هناك الكثير من الأحداث لكن لا مجال لذلك الآن فهناك ما هو أهم من ذلك، لقد أخبرني رب عائلة مينج أن جيش المقاومة يفر بعدما نفدت ذخائره ، لم يعلم ذلك سوى الأغنياء الذين لديهم مصالح مشتركة بينهم.

– ربما تكون كذبة.

– لقد رأيت بأم عيني أفراداً من الجيش يفرون وأنا في طريق عودتي إلى المنزل، نفد منهم كل شيء حتى روح القتال لم تعد في قلوبهم، وهذا يعني أن الطريق سيكون ممهد لدخول اليابانيون.

– ليس دخول اليابانيون هو الأمر السيء إنما ما سيفعلونه بعد دخولهم، قد سمعت عما حدث بمنشوريا من هؤلاء اللذين لاذوا بالفرار، الوضع سيء لدرجة أنه من الصعب الحديث عنه.

ارتعدت الزوجة وشعرت برجفة الخوف تلتف حولها، أردف لي يونج.

– علينا جمع بعض أغراضنا لننطلق في أسرع وقتٍ ممكن.

كوم أمه العجوز في السبت الخوص وأخذ أطفاله وانطلق مع دوي إطلاق الإنذارات التحذيرية التي تحث المدنيين على الهروب من المدينة، ظل يركض هو وأسرته متناسيًا إصابة ساقِه الناتجة عن اشتباكه مع عصابات العاصمة قرب فجر ذلك اليوم المشئوم وهو في طريق عودته بطوق النجاة.

* * *

«عاقبوا هذه المدينة، لا تأخذكم بهم شفقة ولا رحمة، لا تتهاونوا في تأديبهم، لا تعيروا للاتفاقيات الدولية أي اهتمام، لا يوجد لدينا قوانين ولا احترام للإنسانية، افعلوا بسكان هذه المدينة ما يحلو لكم»

هذه كانت كلمات الأمير أساكا لجنوده اليابانيين قبل اقتحامهم مدينة نانجينغ، الأمير أساكا هو قائد الجيش وهو من السلالة الحاكمة في اليابان، أخبرهم بكلماتِه التي أراد تحفيزهم بها فور هروب قائد جيش المقاومة الصينية حينما اشتد القتال



حتى أصبح جيش الدفاع بلا قيادة فبدأ الجنود بالانسحاب بعدما خلعوا ملابسهم العسكرية واختبئوا بين المدنين، أصبح الطريق خاليًا تمامًا أمام الأمير أساكا فامتلأت سماء العاصمة بالطائرات الحربية تطوف المدينة بأزيزها الشنيع لتبث الرعب في قلوب سكان العاصمة وتستهدف قذائفها الغاشمة المستشفيات والبنايات الحكومية الهامة لتحولها إلى كتلة من نارٍ في ثوانٍ معدودة بعدما تنهار بالكامل، تتصاعد الأدخنة الكثيفة التي تحجب رؤية السماء والمدنيون صرعى يركضون في الشوارع بصحبة حالة من الهلع الشديد والخوف، لم يسلم أي شخص من ذلك البطش الشديد والعذاب الذي يصبه اليابانيون، حتى ملجأ الأيتام الذي يضم أطفال لم تتخطى أعمارهم العَقد الأول، تبدل حاله تمامًا وتحول إلى حالة من الذعر والارتعاب بعدما كان السكون والهدوء يسيطران على كل ركن فيه برغم حصار المدينة وسماع دوي الانفجارات بشكلٍ مستمر، لكن استطاعت معلمة الأطفال الشابة خلق جوًا من الطمأنينة والارتياح بعدما أصرت على البقاء معهم ورفضت ترك الملجأ والذهاب إلى بيت أسرتها، لكن انهار كل شيء حينما بدأت الأشياء في الاهتزاز بشكل مريع، تتساقط الكتب من فوق الرفوف وتتراقص الأقلام على أسطح المقاعد، تبادل الأطفال النظرات المبهمة، والمبنى بدأ في الرجرجة على أثر حركة



الطائرات الحربية التي تحلق على مسافة قريبة من المباني بهدف الرعب، لم يعينهم إدراكهم المحدود على فهم ما يحدث فقد خُيل إليهم أنه ذلك الوحش الكاسر الذي كان يصنع الانفجارات منذُ أيام قد اقترب منهم ليحرق المدينة بنيرانِه الملتهبة التي تخرج من فمه، هو بالفعل وحش كاسر لكنه متمثل في صورة بشر نُزعت من قلوبهم الرحمة، سادت حالة من الجنون داخل الملجأ وبدأ الأطفال في الصراخ والعويل والركض تجاه المعلمة الشابة التي تحاول تهدئتهم والدموع تنساب من عينيها دون توقف لأنها على دراية بما سيحدث، ارتمى الأطفال في أحضانها حتى أنها فردت ذراعيها قدر المستطاع لتضم عدداً كبيراً من الأطفال، تعلق الباقي بها حتى صارت كقطعة السكر التي يحوطها النمل من كل جانب، الرعب يسكن ملامحهم ويتجسد في دموعهم ونظراتهم التي لن تنساها المعلمة التي اصطدمت عينها بطائرة حربية عبر زجاج البناية تحلق بالقرب منهم، بداخلها طيار ياباني تسلل إلى قلبه السرور حينما أدرك أنه ملجئًا للأطفال، ظل يحلق على مسافة قريبة منه لدرجة أن الزجاج بدأ يتحطم على أثر صوت الطائرة المرعب، بث الرعب في قلوب الأطفال وهو يطوف بطائرته الحربية حول المبنى وهو يرمقه بعينين مفتوحتين تتضحان فرحاً وسعادة , كان الطيار متحمساً بشكلٍ



طفولي , وهو يرمقه بعينين مفتوحتين تتضحان فرحًا وسعادة قبل أن يقذفهم بقذيفة غاشمة رأتها المعلمة وهي تقترب , كانت تُمني النفس بألا تصيبهم لكنها لم تدري بأن هذا الطيار من كتيبة الكاميكازي اليابانية و الكاميكازي هم الطيارين الأنتحاريين المخولين بتفتيف الأهداف حتى ولو أضطروا إلى الأرتطام في الهدف بطائرتهم , لم تجد المعلمة شيء سوى أن تغني فبدأت ترنم لهم وتلفت انتباههم حتى انهار المبنى بالكامل فوق رؤوسهم ليضم في أحشائِه جثثهم الصغيرة.

انقسم المدنيون الذين لم يلوذوا بالفرار إلى نصفين، الأول فضل البقاء في منازلهم يحتمون بها حتى يمر هذا الهجوم الغادر، وإمّا أن تُكتب لهم الحياة وإمّا أن ينهار المبنى فوق رؤوسهم في هدوء دون ركض أو عناء، النصف الآخر اختار الهروب، لا يعلمون إلى أين، لكنهم فضلوا الركض، فحالة التوتر التي تشملهم لم تمكنهم من البقاء هادئين داخل المنازل، ومنهم لي يونج الذي يركض بصحبة أطفاله وزوجته، ووالدته داخل السبت المُعلق على ظهره.

استمر القصف الجوي والمدفعي بصورة متواصلة حتى أُهلكت المدينة وتناثرت الجثث في الشوارع،



النيران مشتعلة والأدخنة تتصاعد والصراخ لم يهدأ والموت يضرب السكان والجنون يسكن كل ركنٍ وكل مكان، وضع الجيش يده على العاصمة وبدأت القنوات التلفزيونية الرسمية إذاعة الأخبار السارة على الشعب الياباني، تُمجد الإمبراطور «هيروهيتو» وتُخبر الجميع ببسالة الجيش وقوته في السيطرة على العاصمة، في الوقت نفسه أعطى الجنرال الأوامر للقوات بتنظيف آثار القتلى بإيعاز من ضباط هيئة أركان الجيش الياباني، وكان المقصود بهذا التنظيف هو إلقاء القبض على الجنود والضباط الصينيين الذين أختبئوا بين السكان المحليين وأيضًا قتل أي مدني يثبت لهم تضليله للجيش الياباني العظيم، تعليمات الجنرال أساكا أعطت الإذن للجنود للتصرف بلا قانون أو إنسانية ليزداد الوضع سوءًا وتبدأ المجنزرات وجنود المشاة باقتحام المدينة بصحبة الفرحة العارمة وصيحات النصر التي لم تنقطع حاملين أسلحتهم المعلق عليها الأعلام العسكرية الخاصة بالجيش الإمبراطوري، علم أبيض يحتوي في المنتصف على قرص الشمس لها ثمانية أشعة حمراء تمتد إلى الخارج، علم عسكري يرفع في حالة الدفاع أو في حالة انضمام مدن جديدة إلى الإمبراطورية بعد احتلالها.



بدأ الجنود مداهمة المنازل وبدأت عمليات النهب والسرقة والاغتصاب والقتل العشوائي بعدما تسلل الجنون إلى الجنود جميعًا بعدما استحيا الجنرال نساء المدينة وأمر بقتل الجميع، مدرعات صغيرة مثبت عليها رشاشات ثقيلة تجوب الشوارع بحثًا عن أي جنود هاربين.

وصل خمسة جنود من المشاة إلى منزل واسع يقع في بداية أحد الشوارع الراقية بالعاصمة، منزل كبير إلى حد ما، يتكون من طابقين وله حديقة صغيرة خاصة به، وكز جنديٌ الآخر بحركة معناها أن هذا المنزل ينتمي إلى أسرة ميسورة الحال وبالتأكيد سيجدوا فيه أشياء ثمينة تستحق السرقة، ضحكا سويًا قبل أن يمروا من باب الحديقة ويتبرع أحدهم ويضرب الباب بقدمه فينفتح على مصراعيه، المنزل هادئ تمامًا من الداخل وكأن الأشباح هي من تسكنه، فبدا لهم أن أصحابه قد فروا من المدينة خوفًا منهم، لا يدركون أن العائلة بالكامل تتكوم على بعضها تحت أقدامهم، فقد شرع رب الأسرة في بناء سرداب خاص أسفل المنزل عن طريق فتحة لها بوابة متحركة في أرضية صالة المنزل الخشبية، ظلت الأسرة في حالة ترقب إلى أن شاهد رب الأسرة اقتراب الجنود من منزله عبر النافذة الزجاجية فهرع إلى باب السرداب وفتحه، أنزل طفليه وأمرهم ألا يتحركا ، هرع إلى دورة المياه



حيث زوجته وطفله الذي لم يبلغ عامه الثالث، طرق على الباب بقوة كادت أن تفسخ مزلاقه، خرجت زوجته ومعها طفلها الذي لم تنتهي من تنظيفه، أخبرها أن الجنود على شفا الدخول إلى المنزل، ركضا سوياً إلى باب السرداب وقام بإنزالها هي والطفل لتلتحق بأطفالها، في الوقت الذي ارتفع فيه وقع الأقدام وتضخم بالشكل الذي يوحي بأنهم باتوا قريبين جداً، تقريبًا خلف باب المنزل، أغلق باب السرداب فاستوقفته زوجته، سألته وعلامات الاستفهام تتجسد على وجهها لماذا لم تأتي معنا فأخبرها بلهجة قاطعة حتى يضمن غلق باب السرداب جيداً وتغطيته بصورة جيدة ووضع سجادة كبيرة تُخفي تحتها باب السرداب وهرع إلى الداخل في الوقت الذي تبرع فيه الجندي الياباني وركل الباب فكسره ليظهر أمامهم هادئًا تماماً كأن الأشباح هي من تسكنه، ركض رب الأسرة بخطوات خفيفة واختبأ أسفل السرير وجسده يرتعش كأنه مصاب بحمى، يُمني النفس بأن يخرج الجنود سريعًا دون أن يعثروا على أيًا منهم.

هناك في أسفل السرداب الصغير، الأم تحتضن أطفالها وتضع يدها على فم صغيرها حتى لا يصدر منه صوتٌ يَلفت الانتباه، تشعر بحركتهم وطقطقة الأرض الخشبية تحت أقدامهم، يتحركون في المنزل كما لو كانوا أصحابه من الأساس،



يبحثون عن أي شيء نفيس قابل للسرقة، دخل جندي منهم إلى تلك الغرفة التي يختبئ بها رب الأسرة، يتحرك ببطء وبحذر شديد مُشهراً سلاحه ليفتح النار على أي شخص قد يكون مختبئًا، يُشاهد رب الأسرة حذاءه من أسفل السرير وجسده يرتعش خوفًا، فتح الجندي ضلفة الدولاب فوجد بها علبة صغيرة خشبية يبدو عليها أنها قيمة للغاية، اتسعت عيناه ومد يده وأخذها، فتحها بسرعة ليجد بها عدداً لا بأس به من الذهب والحُلي، رجع خطوات إلى الخلف وعيناه لم ترتفع من على العلبة حتى أدرك السرير، أراح مؤخرته وهو يداعب بيديه الذهب فيصدر ذلك الصوت الناتج عن تصادمه ببعضه البعض، قدم الجندي باتت قريبة جداً من رب الأسرة الذي حاول الحفاظ على هدوءه قدر المستطاع، ظل الجندي يداعب الذهب حتى سقط من العلبة خاتم صغير، تدحرج على الأرض حتى اختفى أسفل السرير بالقرب من رب الأسرة الذي شعر بتوتر شديد، أدرك الجندي سقوط الخاتم فجثا على ركبته اليمنى ومد يده الضريرة أسفل السرير يبحث عن الخاتم، يُحرك يده بعشوائية دون النظر لعلها تأتي به، يُحركها فيتحاشاها رب الأسرة ويُحاول الابتعاد عنها قدر المستطاع، ضيق المساحة أسفل السرير تجعل من الحركة شيئًا عسيراً للغاية لكن رغم ذلك استطاع أن يُزيح بيده الخاتم تجاه يد الجندي فالتقطه وأخرجه من



الغياهب، زفر رب الأسرة وتنفس الصعداء لكن كان لسوء حظه رأي آخر، انسكب محتوى العلبة بالكاملة وتبعثر على الأرض وهو يُحاول النهوض، صُدم رب الأسرة وشعر أن الخطر يقترب منه رويداً رويداً، جثا الجندي هذه المرة على ركبتيه وانحنى بالكامل ليلتقط ما وقع منه، رب الأسرة يشاهد جانب وجهه بوضوحٍ شديد لكن لم يلفت وجوده انتباهه، لكن لم يدم الأمر طويلاً تحرك وجهه أثناء جمع ما سقط منه فاصطدمت عيناه بعين رب الأسرة، تبادلا النظرات لثوانٍ دون حراك قبل أن يصرخ الجندي بصوتٍ عالٍ ليأتي إليه زملائه، خرج رب الأسرة سريعا من مرقده وحاول أن يكتم صوته لكن الوقت كان قد نفذ فقد حضر باقي أفراد المجموعة وانهالوا عليه بكعوب أسلحتهم حتى أفقدُوه القدرة على الحركة تماماً، تكوم على نفسه وكل جزء في جسده يصرخ ألماً، الدماء تسيل منه وسط ضحكات الجنود وسخريتهم منه، تبرع أحدهم وسأل زملائه هل تعتقدون أنه وحيداً هنا، بالتأكيد عائلته تختبئ كما كان يختبئ هو، تبادلوا النظرات سوياً قبل أن يهرعوا إلى الخارج يبحثون عن باقي أفراد العائلة، يفتشون في كل مكان عنهم.

زوجته تشعر بحركة أقدامهم السريعة فوق رأسها، جسدها يرتعش وتضع يدها على فم أطفالها

حتى لا يصدر منهم صوتٌ يلفت الانتباه، عاد الجنود اليابانيون إلى غرفة رب الأسرة بعد رحلة الفحص التي لم تسفر عن شيء.

– بالتأكيد هو يعرف أين يختبئ الجميع.

قالها أحدهم وهو يشير إلى جسد رب الأسرة الهامد على الأرض.

– أين تختبئ أسرتك أيها الحقير؟؟

سأله آخر لكنه لم يتلقى إجابة بسبب عدم فهمه للغتهم الأعجمية بالنسبة له، كرر سؤاله وهو يركله بقوة لكن دون إجابة أو حتى إماءه واحدة.

– هو لا يفهم لغتنا العظيمة.

قالها آخر فتبادلوا النظرات جميعهم قبل أن يستأنف حديثه.

– لدي فكرة ستجعلنا نعرف مكانهم دون حاجة إلى فهم بعضنا البعض.

– وما هي.

– أتبعني.



سحبوا رب الأسرة من ملابسه جرًا على الأرض، سحلوه حتى وصلوا به إلى صالة المنزل المزخرفة بالزخرفة الصينية التي تعكس ثقافتهم العريقة، زعق أحد الجنود بصوتٍ عالٍ وبلغته الغريبة عن كل أفراد العائلة.

– يا عائلة هذا البائس سوف يتم تعذيبه بشكلٍ هائل حتى تظهروا أنفسكم واحد تلو الآخر، هذا اتفاق لا نقاش فيه.

– لن يفهموا لغتك.

– لكنهم سيعرفون صراخه.

ضحكوا جميعًا قبل أن يبدأ الجندي بضرب قدم الرجل بسلاحِه الثقيل الذي يبدو ككتلة حديد، فصرخ الرجل بقوة نحرت قلب زوجته، تساقطت دموعها وهي تستمع إلى صوت ضربه وصِراخه ولا تعلم ماذا تفعل، الأطفال يبكون دون صوت بسبب يدها المثبتة بقوة على أفواههم، الصراخ مستمر وكذلك الضرب دون توقف وسط ضحكات الجنود اليابانيين، الألم وصل إلى أقصى مداه وباتت قدمه على شفى الانكسار، صرخ بصوتٍ جهوري بكل قوة يحث أسرته على عدم الظهور أو الخروج حتى وإن قتلوه أو قطعوه إربًا، أجهشت زوجته في البكاء الشديد ودموعها تتساقط بغزارة، لانت أعصابها



من شدة البكاء فارتخت يدها مما أدى إلى خروج بكاء صغيرها وتسلل إلى أذن أحد الجنود القريبين من باب السرداب، اتسعت عيناه الضيقة وأدرك صوت البكاء، حث زملائه عن السكون وأخبرهم أن هناك صوت بكاء تسلل إلى أذنِه، انتبه الجميع وبدأوا يتلفتون حولهم يبحثون بأعينهم عن باقي أفراد الأسرة في كل شبر، ارتطمت فكرةٌ في رأس أحدهم فاقترح على زملائه رفع السجادة ربما هناك مخبئًا سريًا بالأسفل، تقدم اثنان منهم وبدءا برفع السجادة فصرخ رب الأسرة صرخات مكتومة بسبب انعدام قدرته فأدركوا أنهم يسيرون على الدرب السليم، بسرعة البرق نزعوا السجادة ليجدوا تحتها باب السرداب، فتحوه فوجدوا باقي أفراد الأسرة يتكومون على أنفسهم بالأسفل، نظروا إليهم في شماتة غريبة والابتسامات الصفراء تعتلي وجههم جميعًا، الأم ارتمت على أبنائها كما تفعل الهِرَر مع أطفالها في محاولة بائسة لحمايتهم، هبط الجنود ونزعوا الأم عنهم، رفعوها من شعرها بكل قوة وأخرجوها هي وأطفالها عدا أصغرهم، أمرهم الضابط قائد المجموعة أن يبقوه في الأسفل وحيداً، الأم تصرخ وكذلك الأطفال، رب الأسرة غير قادر على الحركة لكنه يبكي بكاءً حارًا مُصدرًا صوتًا واهِنًا يتماشى تمامًا مع حالته التي بات عليها، نزعوا عنها ملابسها وبدأوا يغتصبونها اغتصابا جماعيًا حيوانيًا تتذوق فيه طعم المأساة وهي



تسد عن الجنود شهوتهم وغرائزهم، يتعاملون مع جسدها كأنه قطعة من العاصمة التي اغتصبوها من قبل، يفقدونها إنسانيتها ويحولونها إلى أداة جنس بين أيديهم، زوجها يصرخ ويبكي مُحاولاً الحركة لكن لم تعنه أطرافه على فعل ذلك فاكتفى بالصراخ والبكاء العالي، الجنود اليابانيون في حالة عارمة من السعادة وهم يشاهدون هذا الألم يتجسد أمامهم، ارتطمت فكرة سادية في رأس أحد الجنود اليابانيون وهو يشاهد أطفال هذه السيدة وهم يبكون بحدٍ وصل إلى الانهيار الكامل، ترجل إلى ابنة السيدة المغتصبة والتي لم يتجاوز عمرها السبع سنوات، سحبها بقوة وبدأ يجردها من ملابسها، وقعت عين الأم عليها فتناست كل ما هي فيه وبدأت تقاوم اغتصابها لتنقذ ابنتها لكن لم تستطع، امتلأت عيناها بالدموع وهي تتابع هتك عرض ابنتها أمامها وسط صراخها الشديد الذي لم يُحرك فيه شيء ولم يتراجع لحظة واحدة عما يفعله حتى انتهى منه تماماً.

الوضع داخل المنزل أصبح جنونيًا بدرجة كبيرة، ماتت الطفلة من الاغتصاب والأب عاجز تماماً والأم أُغشى عليها على أثر ما حدث أمَّا الأوسط فذبحه الجنود بدمٍ بارد، لم يتبق سوى الصغير الذي لم يتوقف عن البكاء والصراخ وحيداً وهو بالأسفل

داخل السرداب، ضحك الجنود وهرعوا إليه، أحضروه وهو ينادي على والدته بكلمات غير مستوية تتلائم مع سنه الصغيرة، وضعوه على الأرض والضحك لا يفارق ثُغُورهم، أتى واحد منهم بشكل مخروطي حشره بالقوة في مؤخرته وسط صراخ شديد، ضحك الجميع قبل أن يشد الفتيل ليتصاعد الدخان من القنبلة التي على شكل مخروطي، ركض الجميع وسط صراخ الطفل مع ارتفاع درجة حرارتها، خرج الجنود من المنزل بالكامل وما هي إلا دقائق حتى تحول المنزل إلى كتلة من الجحيم على إثر الانفجار.

الجنود اليابانيون منتشرون داخل أحياء العاصمة كالجراد، يقتحمون المنازل والمحلات وينهبونها بحجة البحث عن جنود المقاومة الهاربين، يذبحون ويقتلون معظم الذكور الذين يعثرون عليهم في طريقهم، أمّا معظم النساء فيلقون القبض عليهم وعلى أطفالهم، يقيدون أطرافهن خلف ظهورهن قبل أن يطوقوا رقابهن بحبلٍ طويل يجمع عشر نساء أو أكثر في صفٍ واحد يسحب طرفه جندي ياباني يضحك بهستريا أدت إلى خَزَر عينيه وضيقها أكثر، يسحبونهن إلى ساحة كبيرة في منتصف الحي الذي تمكنوا من كل ركنٍ فيه، يقذفونهن في بقعة شاسعة يحوطها مجموعة من الجنود الغلاظ الذين لن يتهاونوا في فتح النار

عليهن إذا ارتفع صوت إحداهن وهي تلتقط أنفاسها قبل أن يعودوا لإلقاء القبض على باقي النساء أو قتل من يعوق طريقهم.

الجنون يسكن الشوارع والصراخ المختلط بالضحكات يتعالى، القتل هو الخيار الأسهل، عربات تحمل على ظهرها مكبرات صوت بدأت تجوب شوارع الحي تحث المواطنين على الإفشاء عن الجنود الهاربين والمختبئين بينهم، التهديد يُذاع على الجميع باللغة الصينية في الوقت الذي يتحرك فيه المشاة في كل ركن يقتحمون المنزل أو المتجر الذي يحلو لهم، يتفقدون أهله بأعينهم ومن يرتابون في أمره يسحبونه إلى الخارج ويسألون المارة من هذا الشخص، من المتعارف عليه أن سكان الحي يعرفون بعضهم البعض، والغريب بينهم بالتأكيد هو جندي مستتر وسط هذه الأسرة التي يتم القبض على أفرادها بالكامل بتهمة الخيانة.

استمر البحث لمدة يوم كامل داخل أرجاء ذلك الحي الذي يقع على أطراف العاصمة، وكانت الحصيلة عدد لا بأس به من المعتقلين الذين يسيرون في خطٍ مستقيم، يحملون على أكتافهم جذع شجرة كبير وثقيل، يجعل أكتافهم تميل إلى الأسفل على أثر وزنه كعقاب لهم على ما فعلوه، أذرعهم ملفوفة حول الجذع ومقيدة من الرسغين ليضمنوا



إحكامها الشديد، يسيرون على تلك الشاكلة تحت اللعنات والضربات العشوائية التي يسددها لهم الجنود دون شفقة أو رحمة، آخرون مقيدين بسلسلة معدنية تلتف حول أيديهم وتمتد بطول عشرة أشخاص في صفٍ مستقيم حتى لا يحيد أحد منهم، يتحركون في ذلٍ وخِزْي، هذه هي الشاكلة التي يتم بها نقل الجنود الهاربين ومن يتستر عليهم إلى ساحة موازية للساحة التي تتجمع فيها النساء لكن يفصل بينهم عدد من الجنود والمدرعات، تعمدوا أن تكون الساحة صغيرة رغم عددهم الكبير ليلقوهم فوق بعضهم البعض بعشوائية، ومدافع الرشاش موجهة إليهم في صرامة شديدة حيث يقبع الجميع في حالة سكون تام فهم في مكانٍ لا يملكون فيه لأنفسهم ضراً ولا نفعًا فقط يسلمون أنفسهم لإرادتهم، أمامهم يتحرك قائد بجيش العدو في فخرٍ واعتزاز شديد، يتلفت للأسرى ليملأ عينيه بالنظر إليهم وهم في تلك الحالة الميئوس منها، اعتلى وجهه ابتسامة شماتة يغرقها التشفي الواضح، تحدث إليهم بلغتهم التي يُجيدها كأهلها.

– أيها الحمقى أعداء اليابان، يا من كنتم تسيروا للهاوية، كان بإمكانكم التراجع وإصلاح ما أفسدته عقولكم وأيديكم القذرة، لكنكم ستحاسبون على ما اقترفتموه في حق جيش الإمبراطور العظيم،



فقد أضعتم وقتنا وجزءً من ذخيرتنا في المقاومة البائسة، أعلم أنه يوجد منكم الكثير في هذا الحي وفي الأحياء التي سندخلها في خلال ساعات، ولكنني أريد أن يُذاع سيطكم وسط أهل الحي بأنكم قاومتونا ، سنقوم بقتلكم جميعًا حتى لا يتسنى لأحد أن يفكر في المقاومة.

نظر إلى جنوده وأمرهم بفتح النار عليهم وما هي إلا ثواني حتى أمطروهم بوابل من الرصاص العشوائي وسط صراخ أهل الحي وبكاءهم الشديد.

الوضع في الساحة الموازية أصبح مأساويًا إلى أبعد حد، النساء يجلسن تحت تهديد السلاح في هدوءٍ تام، بينهم أطفال لم يصلن إلى سن البلوغ، يرتعدن من الخوف الشديد لما حل على الساحة الأخرى من قتل عشوائي بلا رحمة، فصار الأمر في تلك البقعة أكبر بكثير من الدهشة، لقد ربط الجحيم والألم بين هذه النفوس جميعًا فالتحمن في رباطٍ مقدس بليغ، الجنود اليابانيون يحوطونهن من كل جانب، يلقون عليهن أبشع وأقزع الألفاظ التي يحفظونها من لغتهن، يركلونهن بأقدامهم وبكعوب بنادقهم فيرتفع صوت عويلهن لكن بلا جدوى، تقدم القائد المسئول، يخطو ويجد في مشيتِه والجميع يفسح له الطريق، حتى وجد نفسه أمام النساء الغارقات



في دموعهن، الخوف كان يسيطر على ملامحهن بشكل مرضي للغاية بالنسبة له، أثار إعجابه ذلك المشهد المريع ورسم على وجهه ابتسامة لم تزر وجهه منذُ بداية الحرب، بدأ يتحرك ببطء وهو يتحدث إليهم كما كان يتحدث مع الآخرين قبل قتلهم.

– النساء، أنتن المورد الوحيد الذي ينقص جيشنا العظيم، الجنود في حالة حرب وقتال منذُ وقتٍ طويل، تضرب أركانهم حالة من الحرمان الشديد، وهم في أمس الحاجة إلى المتعة التي ستُنسيهم قليلاً مرارة الحرب.

اختلط الخوف الشديد مع الريبة على وجوههن، أردف القائد بلهجة لا تحمل أي مزاح.

– سيبدأ الآن مهرجان صيني لم تحتفلوا به من قبل، يختلف عن مهرجاناتكم العقيمة، ولكن لا أعتقد أنه سينال إعجابكن ولكن هذا لا يهم المهم أنه سينال إعجاب جنودنا البواسل، على جميع الفئات العمرية من النساء إمتاع جنودنا وإلا بُتِرت أعضائها وتشوهت فتصبح لا فائدة منها.

نظر بعينيه إلى النساء اللاتي تحت وطأة العذاب، ارتفعت ضحكاته وهو يعطي جنوده الإذن ليبدأوا التهام تلك الوجبة السمينة فاقتربوا منهن

وعيونهم يتطاير منها الشر والأذى، أخذوا النساء موثقات وأبعدونهن عن الأطفال وسط صراخ وعويل لم يتوقف، حاولت إحدى النساء المقاومة والهرب لكن تطايرت دمائها سريعًا بعدما طعنها الجندي بذؤابة السكين، غرزها فيها بقوة جعلت الدماء تنفجر وتتطاير حتى أن بعضها لطخ وجوه النساء اللاتي يقفن بالقرب منها، صوت صراخها المستغيث قذف الرعب في قلوبهن وزاد الموقف توترًا، تعمد الجندي قتلها بتلك الطريقة البشعة حتى يُخيف باقي النساء فيتراجعن عما نَوَيْنَ فعله، سحبوا باقي النساء اللواتي على قيد الحياة مقيدات بالحبال وبالرعب والخوف مما شاهدن، أبقوهن في الساحة ثم التفوا حولهن في حلقة دائرية، يُحَدقون بوقاحة على الأجزاء العارية التي لا تسترها الملابس، تقدم أكثرهم كراهية للشعب الصيني وفك قيود فتاة قاصرة لم تتجاوز الخامسة عشر من عمرها، سحبها من شعرها كما تُسحب النعجة قبل ذبحها صبيحة العيد، صرخت أمها التي كانت مقيدة مع باقي النساء تطلب منهم أن يتركوها فهي لا تزال صغيرة ولها مستقبل وحياة لم تبدأ بعد، لم يزد توسلها الشديد سوى إصرار الجندي الياباني على إيذائها أمام عيون والدتها، جذبها من شعرها قبل أن يمزق بيديه ملابسها لتنكشف على أثرها جزء كبير من جسدها، صرخت الأم وكذلك الفتاة التي حاولت ستر نفسها لكن



دون فائدة، لم تُعنها الملابس الممزقة على ذلك ولا أيدي الجندي التي لم تعطها فرصة لفعل أي شيء، دفعها بقوة لتسقط على الأرض وتكون بداية سقوط امتزج فيه السقوط الجسدي مع الأخلاقي، أفترش جسدها شبه العاري الأرض في الوقت الذي بدأ فيه الاقتراب منها فتسللت رائحته العطنة إلى أنفها فقبضت ملامحها كرهًا، جلس الجندي القرفصاء وبدأ يُحرك يده على جسدها فشعرت وكأن ساقًا معدنية ملتهبة الحرارة وضعت عليها، ملامحه المتعطشة للنساء منذُ شهور تظهر عليها حالة من الجنون والهياج، لعابه يسيل كالكلب الضال، بلهفة فتح سحاب بنطالِه ثم طوقها في تلهف وبدأ يطبع القبلات على جسدها الخاضع المتمدد تحت شفرة المقصلة، تخشى أن تتحرك فتنزل الشفرة وتقسمها إلى نصفين، تضخمت لديه غدة الجنس فراح يزيد من عنفِه مُتلذذًا بدفئِها وبوجهها الغاضب الباكي، اقترب بوجهِه منها فاختلطت أنفاسه العكرة بأنفاسها، تحاول أن تمنعه من الصعود أكثر على تضاريسها التي لم تبرز بالقدر الكافي بسبب صِغر سنها فصرخ فيها محذرًا إياها ألا تتحرك وإلا سيذبح والدتها أمامها في برود فما كان منها إلا أنها أقلعت عن فكرة المقاومة التي بالكاد كانت تشرع في تنفيذها وتركت نفسها له يعبث بها كيفما شاء.

انتهى ذلك القبيح من فعلِه المُشين، ارتدى ملابسه وهو يتصبب عرقًا بالرغم من برودة الجو، أبتعد عنها خطوات معدودة وهو يترنح بعدما استنفذت كل طاقته، أخلى مكانه لزميل آخر يُعاني من كبتٍ مخيف يظهر بقوة على ملامحه التي يبدو فيها أنه يُعاني من خلل عقلي لا ريب فيه، استنفذ طاقته بالكامل قبل أن يُسلم الراية إلى جندي آخر، ظلوا يتناوبون عليها وعلى باقي النساء واحد تلو الآخر حتى أُنتُهكت أعضائهن وأصابهن الإعياء الشديد أمام مرأى ومسمع ما تبقى من أحياء داخل الحي والذين كُسرت نفوسهم ولم يعد لديهم طاقة للمقاومة أو للبقاء على قيد الحياة، مع انتهاء الجنود الموجودين في تلك البقعة الملعونة من الأرض كانت الفتيات وصلن إلى حالة مزرية بدا فيها أنهن غير قادرات حتى على الحركة، الجنود يركلوهن بالأقدام وينعتونهن بألفاظ وقحة بعدما استشعروا أنهن أصبحن كالصخور الجامدة لا يتحركن، فما كان من بعضهن إلا أنهن رفعن أعينهن بثقلٍ شديد يتوسلن إليهم بأن يرحموهن، ارتفعت الضحكات العالية التي تملؤها السخرية العارمة قبل أن يقترب جندي عصبي من فتاة قد أنهكت واستنفدت كل طاقتها ولم تعد قادرة حتى على الحركة حاول أن يقترب منها فوجدها كالجثة الهامدة لا يتحرك فيها سوى صدرها يعلو ويهبط وهي تتنفس مما

جعله يستشيط، ظل يركلها بحذائه عدة ركلات في بطنها حتى كادت أمعائها أن تخرج من جسدها عنوة، توقف عن الركل وبصق عليها قبل أن يلتفت حوله كأنه يبحث عن شيئٍ ما، وقعت عيناه على ساق حديدية حادة كانت باقية من انهدام بناية على أثر الغارات، لمعت عيناه بفكرة قبل أن يهم لإحضارها، لوح بها أمام عينيها قبل أن يحشرها بكل قوة بين ساقيها مما دفعها للصراخ كأنها تُحرَق حية، بصق عليها للمرة الثانية وسط تصفيق وتشجيع زملائه الذي امتزج بصِراخ النسوة اللواتي كُن حولها، وصرخ في وجهها ذلك المخبول وهي تحاول نزع تلك الساق الحديدية التي اصطبغ معظمها باللون الأحمر الداكن، أزاح يدها بعيداً قبل أن يحشر يديه تحت إبطها ويحمل نصف جسدها ويجرها بالقوة حتى كومة كبيرة تضم فضلات الطعام وأزبال، صرخ في وجهها الذي اختفت معالمه من أثر الضرب والألم.

– مكانك هنا بجوار القمامة أيتها الساقطة، ليس مكانك وحدك بل مكان كل صيني يظن أنه كباقي البشر له كرامة وعزة نفس.

ركلها ركلة أخيرة قبل أن يتركها وسط الآلام الشنيعة التي نتجت عن فعلته، عاد إلى السيدات الباقيات وبمساعدة زملائه بدأوا يذبحون ويعذبون بعضهن بوحشية وسادية أمَّا الباقيات فأخذوهن

بالقوة إلى حيث لا يعلمن، هكذا كانت تُدار الأمور في شوارع العاصمة منذُ أن وطئتها أقدام الجيش الياباني يصنعون أبشع مجزرة عرفها التاريخ، مذبحة مدينة نانجينغ.



– ٦ –

تتحرك عين «لي يونج» تلك الحركة التشنجية التي تشبه وميض لمبة نيون تُجاهد للإنارة، يُحرك رأسه يمينًا ويسارًا مُحاولاً استرداد وعيه بالقوة، يُجاهد لرفع جفونه التي ثقل حملها بشكلٍ لم يعد قادرًا على رفعه، يبذل ما في وسعِه ليلتقط أنفاسه وهو يشعر بذلك الحمل الثقيل يجثو على ظهرِه وصدرِه بوقاحة شديدة، يُحرك يديه ببطء مُحاولاً الكشف عن ذلك الشيء الذي يعيق تنفسه فيشعر بشيء رخو كاللحم البشري الطري تحت يديه، ذلك الملمس الغريب أعانه على استرداد وعيه بصورة أسرع مُحاولاً استيعاب ذلك، وضعه المُستلقي فيه على بطنِه جعله يكتشف أنه يبعد عن الأرض مسافة قليلة علاوة على أن أنفه تلتقط رائحة عطنة تمتزج فيها الدماء مع الصديد، يُحرك رأسه ببطء فتصطدم عيناه بوجه بشري مشوه نتيجة حروق من الدرجة الأولى، ارتعدت فرائصه وشعر جسده ينتصب بالكامل بصحبة رعشة قوية لم تخل من ذلك التنميل التي تقشعر له الأبدان نتيجة حالة الفزع الذي بات تحت تأثيرها، حاول الهروب من ذلك المشهد البشع فاصطدمت عيناه بوجهٍ آخر لجثة صارخة توحي ملامحها المتصلبة على ذلك الوضع المفزع بأن صاحبها ذاق عذابًا لا يحتمل قبل أن تُزهق روحه، انتفض كأن مسه عقرب ليكتشف أنه



غارق وسط عدد كبير من الجثث المتراكمة على بعضها البعض في شكل هرمي غير منتظم، ألقى به الجنود اليابانيون وسط الجثث وهو فاقد الوعي على أثر انفجار القذيفة التي سقطت بجوارِه وهو ذاهب إلى ابنته بعدما ترك عائلته بالكامل في ذلك التجويف الذي يقع أسفل العمود الأسمنتي، ظنوا أنه ميت فألقوا به مع الجثث، هناك أصوات حديث متداخلة من لغة أعجمية، رفع رأسه ببطء فرأى على مسافة قصيرة مجموعة من الجنود يرتدون ملابس عسكرية مخالفة لملابس جيش المقاومة الصينية فأدرك أن العدو قد تمكن من الأرض، بهدوء تام بدأ يزحف ببطء مُحاولاً الخروج من كومة الجثث التي تجثم عليه وفي الوقت نفسه يرسل بصره في كل اتجاه مستطلعًا حتى لا يُدركه أحد، سكون تام يغلف المكان لا يكسره سوى بعض الجُمل اليابانية المجهولة التي تصل إلى أذنه عنوة لكن يتضح من لهجتها أنها عنيفة بالقدر الذي يضعه تحت ضغط عصبي هائل، زحف كالثعبان حتى ابتعد عن كومة الجثث، اختبأ خلف جدار باقٍ من مبنى تساقط فوق رؤوس قاطنيه، أسند ظهرهُ على الجدار وهو يستمع إلى حشرجة الحصى تحت أحذية الجنود وهم يتقدمون ناحية كومة الجثث، استرق النظر فوجدهم يلقون الجازولين على كومة الجثث وهم يمزحون ويضحكون كأنه احتفال بيوم ميلاد أحدهم، اقترب



آخر يحمل على ظهره سلاح «قاذف اللهب» السلاح الأشهر في تلك الحقبة الزمنية لكن تم تحريمه دوليًا بعد ذلك بسبب بشاعته، فتح الأنبوب ناحية الجثث ثم أطلق سراح كميات كبيرة من النار ليتحول ذلك التكدس إلى كتلة من اللهب، استمع «لي يونج» الذي اتسعت عيناه بشكلٍ كنا نحسبه لا يجوز فيزيائيا إلى صوت صراخ يأتي من داخل الكومة مما جعله يتأكد أنه ليس الحي الوحيد بينهم لكنه الحي الوحيد الذي استطاع الهروب في الوقت المناسب، الجنود اليابانيون يرقصون فرحًا حول النار كالهندوس الذين يحتفلون بإلههم قبل أن يأمرهم قائدهم بالتحرك خلف باقي المجموعات لإتمام عملية التنظيف الذي أمر بها الجنرال الأعلى لتطهير العاصمة من أي جندي صيني.

«لي يونج» لا يفهم ما يُقال أمامه لكن ما يشاهده جعله تحت تأثير حالة من الذهول الشديد، عقله يأبى تصديق ما حدث، يده ترتعش وكذلك قلبه، يُجاهد بشدة لالتقاط أنفاسه، يتجول بعينيه في المناطق التي حوله والتي بدت له كأنها غريبة عنه بعدما تبدل حالها وتغيرت ملامحها بالكامل لدرجة أنه لا يعرف تحديداً أين هو، زوجته، أمه العجوز، أطفاله، طفلته التائهة، تذكر كل هذه الأشياء دفعة واحدة فبلغ القلق والتوتر مداه، دوامات



الاضطراب تلفهه بطبقات من الهواجس وهو يُحاول تخيل ما حدث لهم، شَعَر بألم شديد فراح يتحسس بيده مؤخرة رأسه فلمس نتوءات تؤلمه بشدة كلما اقتربت أصابعه منها، تزعق فيه صارخة بأن يبتعد عنها ولا يزعجها حتى لا تهيج عليه بالآلام، انتفض بشدة حينما استمع إلى حالة من الهرج والمرج ترج المكان على مسافة ليست ببعيدة عنه، لا تخلو هذه الحالة من الصراخ الممزوج بالضحكات الشرسة التي ترتعد على أثرها القلوب، الأصوات التي تصل إليه حركت شغفه الشديد بالزحف على يديه وقدميه من دون أن يلفت الأنظار حتى لا يقع في قبضة هؤلاء الجنود المنتشرين حوله كالجراد في كل مكان، أمامه وعلى بعد خطوات قليلة منه هناك بقايا مبنى صغير لا يتعدى الطابقين بعدما قُصِف بطائرات العدو، عليه الوصول إليه والصعود حتى يتمكن من رؤية ما يحدث، استرق النظر فوجد الطريق خالي من أي جندي فأنطلق سريعًا في وضع القرفصاء وهو يتلفت يمينًا ويسارًا حتى وصل إلى المبنى، هرع إلى سلالمه المتهالكة ليصعد إلى الدور الثاني لتكون الرؤية واضحة، صعد نصف المسافة ثم التقطت أذنه وقع أقدام تهبط من أعلى، أنه جندي ياباني يهم بالهبوط، لم يجد لي يونج أمامه سوى الهبوط السريع لكن وقع أقدام الجندي كانت أسرع حتى أن أقدامه بدأت تظهر أمام عين لي يونج الذي



يتلفت حوله كالمخبول، يبحث عن شيء يتوارى خلفه، هناك عمود صغير يقع بالقرب من السلالم فهرع إليه من دون تفكير، اختبأ خلفه وأذنه لا تزال تلتقط حالة الهرج المختلطة بالصرخات والضحكات التي تأتي من الخارج والتي هي سببًا أساسيًا في تحريك شغفه، الجندي الياباني بات قريبًا منه جداً، استرق لي يونج النظر فوجده يقف أمامه يولي له دبره وقدمه تصنع زاوية منفرجة ويُدخن لفافة تبغ يزفر دخانها بتلذذ شديد، ما أثار غضب لي يونج أنه وجد بحوزته خوذة تعود إلى جندي صيني من جيش المقاومة يمسكها في يده ليضع بها تبغ السيجارة المحترق، غلت الدماء في عروقه وشعر بالإهانة أكثر، التفت حوله فوجد حجر صغير شعر أنه يحدثه ويطلب منه أن يأخذه ويضرب به مؤخرة رأس ذلك الحقير، بهدوء شديد أمسكه في يده وبدأ يقترب منه وما إن وصل إليه حتى ظهر جندي آخر فعاد سريعًا إلى مخبأه حتى لا يراه أحد، اقترب منه فتعسر الأمر على لي يونج الذي وجد أمامه جنديين فلم يجد سوى الانتظار.

ظل في مكانه والتوتر يلتهمه ويأكل منه والوقت يمر مرورًا بطيئًا وهو لا يزال يستمع إلى صوت الصراخ المختلط بالضحك في الخارج، بدأ عقله يتلاعب به ويُخيل له أن هذه الأصوات هي مجموعة من النساء تم القبض عليهن ومن بينهن زوجته



وأمه العجوز وأطفاله الصغار، تضخم ذلك الإحساس بداخلِه عازمًا على قتل الاثنين معًا، جوقات ما خُيل إليه أنَّها تعزف لحنها الصاخب اللا إنساني بداخله فتدفعه للتصرف بلا وعي، أخذ حجرًا آخر وعزم من داخلِه على قتلهما سويًا، ارتفع وجيب قلبه وتحرك لسانه بالدعاء إلى اللّه بأن يتقبله من الشهداء إن أصابه مكروه، هم ينقض عليهم لكنه استمع إلى صوت صافرة غريبة جعلت الجنديين يهرعان إلى الخارج بسرعة البرق، لن تتاح له فرصة الانتقام، ألقى بالحجارة على الأرض ثم هرع بسرعة رهيبة إلى أعلى ليتفقد الوضع.

مجموعة كبيرة من الجنود اليابانيين تصيبهم حالة عارمة من الهرج والعبث كأنهم مجموعة طلاب غير مجتهدين خرجوا في رحلة، الأغلبية كانوا يجلسون على الأرض في مواقع مختلفة كأنهم يستعدوا لمشاهدة عرضًا ساحرًا ينتظرونه بشغفٍ منذُ وقت سحيق، أمَّا باقي زملاءهم الذين يزيد عددهم عنهم كانوا يعملون بجد كخلية نحل لديها هدف موحد، مائتا أسير صيني من جنود ومدنين وأطفال، وعجائز لم يشفع لهم مرضهم أو سنهم الذي تلاعب بأجسادهم وجلودهم، صفوهم بحيث يكون كل صف به مائة أسير، وضعوهم على خطين متوازيين كخطوط السكك الحديدية، أيديهم مقيدة خلف ظهورهم ويجلسون في وضع



التحيات قبل التسليم في صلاة المسلمين، مطأطئين الرؤوس في ذلٍ مهين، الخوف يسكن كل ركن داخلهم، يسيطر عليهم حتى أنه جرف بعضهم إلى البكاء والانهيار، تعالت النداءات والصيحات بشكل كبير فور انتهاء الجميع من تسكين الأسرى بشكلٍ منتظم، تعالت النداءات أكثر وطالبت ببدء الحفل الذي لا يملأ أركانها سوى الرِجْس، تعالت الهتافات فظهر الضابط «توشياكي موكاي» حاملاً سيف الساموراي الكبير، يلوح به في الهواء فيتسلل صوته المُخيف وهو يقطعه إلى آذان الأسرى فيقذف في قلوبهم الرعب قبل أن يظهر الضابط الثاني «تسويوشي نودا» الذي خلع سترته ويحمل في يديه سيف ساموراي آخر لا يقل شراسة و ضراوة عن سيف زميله، صاح أحد القائمين على تنظيم هذا الحفل الدموي البشع، صاح في الجميع يخبرهم بأن الفائز هو من يستطيع أن يقطع عدد رؤوس أكثر من الآخر دون أن يصيبه التعب أو الإعياء وإذا استطاع كل منهم قتل المائة أسير الخاص به فسيصبح الفائز هو أسرعهم، صاح الجميع مُهللين قبل أن يقف الضابطان في استعداد تام كل منهما يشحن نفسه بالفوز بالمسابقة، الأسرى في حالة يرثى لها كذلك «لي يونج» الذي يتابعهم من بعيد وقد بدأ يفهم ما سيحدث، تتعالى أنفاسه تباعًا وهو يبحث بعينيه عن أفراد عائلته من بينهم، البحث كان



عسيراً لكن قلبه كان يٌحدثه قبل عيناه أن أفراد عائلته ليسوا من بينهم، استمر البحث بقدر المستطاع حتى تأكد أنهم ليسوا من بينهم وهو يٌمني النفس أن يكون كل ما يحدث حوله مجرد أحداث داخل كهوف الكوابيس التي ظهرت في رأسِه منذ ُ أن بدأ غزو البلاد.

وقعت عين لي يونج على امرأة في منتصف الصف يختلط عويلها وصراخها الحار مع ضحكات الجنود فابنتها الوحيدة تقبع أمامها مباشرةً في الصف المقابل لها، تُحاول جاهدة أن تستعطف الجنود بأن يرحموها ويتركوها لكنها لم تجد منهم سوى السخرية والكبرياء، امتلأ وجهها بالبصاق قبل أن يعطي القائمين على المسابقة إشارة البدء فشرع الضابطان في تقطيع الرؤوس بسرعة فائقة واحداً تلو الآخر، تُحركهم شهوتهم المريضة بالفوز في تلك المسابقة، يرفع كل منهما السيف ويهوى به على عنق الأسير فتطير رأسه إلى أعلى قبل أن تسقط و تجري على الأرض كأنها كرة دفعت بقدم لاعبٍ ما، الدماء تتطاير والصراخ يرتفع كلما اقترب ضابط من أحدهم ليقطع رأسه، ارتفع الأدرينالين في جسد الضابطان فارتفعت صيحاتهم وتضاعفت قواهم وسرعتهم، الابنة تصرخ وكذلك الأم التي انفطر قلبها وذهبت قواها من كثرة الصراخ دون ردة فعل تذكر من أحد، سيف الساموراي يقترب



منهما فدفعها خوفها الشديد للنهوض والركض بوضعية تخلو من أي أتزان يذكر يُحركها قلقها وخوفها الشديد عليها فألقت بنفسها على ابنتها حتى لا تُصاب بأذى، لمحها الضابط الياباني «توشياكي موكاي» والتي تنتمي إلى الصف الخاص به، ركض ناحيتها مُتجاهلاً الرتابة التي يقطع بها الرؤوس وهَمَ يرفع نصل سيفه إلى أعلى وهو يصرخ ويهوى به على عنقها فتنفجر الدماء منها كنافورة المياه التي تتوسط الميادين الكبرى بعدما تدحرجت رأس الأم إلى أن وصلت إلى ابنتها التي فقدت الوعي على أثر ذلك الحدث، لكن لم يشفع لها ما حدث فحينما جاء دورها لم يتردد الضابط في قطع رأسها كما يقطع الجزار قطع اللحم ببرود أعصاب.

«لي يونج» يتابع كل ما يحدث أمامه بحالة من الارتباك الشديد والذهول، لا يصدق ما يراه وقد بلغ به البكاء مداه وهو يشاهد هؤلاء الغلاظ يعمهون في ظلماتهم، يذبحون أهل مدينته وبني جنسه بدمٍ بارد، ما يحدث أمامه جعله في حالة بالغة من السوء، يضرب بقبضة يده على الأرض في انفعال شديد دون أن يتوقف لكن ما فائدة ما يفعله، هو لم يستطع إنقاذ أيًا منهم أو حتى تقديم المساعدة لهم.

أنهك الضابطان وجلسا القرفصاء من التعب الذي حل بهما، صاح الجميع فرحًا مهنئين الضابط «توشياكي موكاي» بالفوز حيث إنه تمكن من قطع رأس تسعة وثمانين رأس أسير قبل أن يُصيبه الإعياء، أمّا الضابط الآخر فتمكن من قطع ثمانية وسبعين رأس قبل أن يُصيبه الإعياء هو الآخر، هلل الجميع قبل أن يحملوا الفائز على الأعناق وسط حالة عارمة من الانهيار العصبي الذي اجتاح باقي الأسرى الذين لم تُقطع رؤوسهم، جهازهم العصبي لم يتحمل كل هذا الضغط فصرخ بعضهم صراخًا عاليًا تشعر منه أن صاحبه يُسلخ حيًا، صراخًا جنونيًا يتناسب تمامًا مع الأحداث غير المنطقية التي تحدث حولهم، تكفل باقي الجنود بهؤلاء الأسرى وفتحوا عليهم النيران فأسقطوهم على الأرض جثث هامدة أثناء احتفالهم بالفائز، صاح أحد الضباط القائمين على هذه المسابقة في باقي أهالي الحي الذين يتابعون بعيون غارقة في الدموع الأحداث المؤسفة التي تحدث حولهم ولا يمكن تصديقها، صاح فيهم الضابط يُحذرهم أن هذا سيكون عقاب كل شخص نعتبره عدواً للإمبراطورية اليابانية أو نكتشف أنه يتستر على أحد جنود أو ضباط جيش المقاومة الصينية، الجميع يستمعون إليه دون ردة فعل تذكر، فقط الرعب والخوف الشديد هو سيد الموقف.



«لي يونج» لم يتحمل متابعة المشهد أكثر من ذلك، أصابه الغثيان الشديد والرغبة العارمة في التقيؤ، حاول النهوض من مجلسه الذي استطال ألمه لكنه لم يستطع في البداية بسبب الدوار الذي أكتنف رأسه، زحف على يديه وقدميه بعيداً ليُفرغ ما في معدته الخاوية تماماً، استند إلى سور السلم الذي صعد عليه إلى ذلك الطابق، سور تحطم ولم يتبق منه سوى حائط صغير، استمع إلى زمجرة كلاب شرسة يتبعها وقع أقدام تتابع الخُطى، إنهم مجموعة من الجنود يهمون بالصعود إلى تلك البناية النجسة التي رأى منها كل شيء سيء، انتفض لي يونج كالملسوع يتلفت حوله مُحاولاً إيجاد أي مفر ليهرب من هؤلاء الجنود الذين يهمون بالصعود إليه، الأحداث سريعة ومتلاحقة بشكل لم يعط لعقلِه أي مجال للتفكير، الأحداث متسارعة لدرجة أن عينيه لم تجف من الدموع التي انسابت على قتل الأسرى، وقع الأقدام والزمجرة تتعاظم بشكلٍ سريع، في الوقت الذي بدأ عقله يصور له المعاملة التي سيجدها منهم إذا ألقوا القبض عليه، سيعلقونه أو يقتلونه بصورةٍ بشعة، شرع كالمجذوب يتلفت حوله حتى وقعت عيناه على لوحة إعلانات خشبية داخل المبنى سقطت من الخارج فأصبح نصفها في الخارج والنص الأخر داخل الطابق الذي يقف فيه، أنارت فكرة في عقلِه، سيختبئ أسفل تلك اللوحة حتى يتوارى عن

أنظارهم، هرع أليها وانكمش أسفلها، حرص على ألا يظهر أي جزء من جسدِه في الوقت الذي وصلت فيه الكلاب الشرسة بصحبة الجنود الذين لا يختلفون عنها كثيراً، بدأوا يوزعون أنفسهم وهم يتحدثون إلى بعضهم البعض.

– سيكون حظ أي جندي نجده سيئًا للغاية، فالرائد يريد أن يشفي غليله بقتل المزيد منهم.

قالها أحد الجنود لزميله فأجابه.

– أنا أيضًا أريد أن أراهم وهو يُقتلون بسادية لا رحمة فيها ولا شفقة.

ضحك الاثنان سويًا والكلاب تزمجر بشكلٍ بدأ يلفت انتباههم، حاول الجنود تهدئتها ولكن لم يستطيعوا، لي يونج في حالة توتر شديد، جسده يرتعش وأنفاسه تتلاحق بلا هوادة، لا يدرك هذا المسكين أن الكلاب تشم رائحة الأدرينالين المتصاعدة منه بشكل مبالغ فيه فتستمر في النباح والزمجرة وفرط الحركة والجنود في حالة دهشة شديدة.

– ما أصابها؟؟!!

– أعتقد بأن هناك أمرًا ما يثير غضبها، ربما تشعر بشيء ما لا نشعر به نحن.

– وما هو.

– بالتأكيد لا أعلم لكن ربما هناك أحد يختبئ هنا.

– !!!

اتسعت أعين باقي الجنود على أثر كلمات زميلهم، لي يونج تلتقط أذناه كل شيء لكنه لا يستطيع فهم حديثهم، لم يستمر الوقت طويلاً قبل أن يعطي الجنود المجال للكلاب للركض نحو الشيء الذي يُفرط من حركتهم فانطلقت بسرعة البرق تجاه لوحة الإعلانات التي يختبئ خلفها لي يونج والذي بدأ يرتعش خوفًا، فهو يكره الكلاب ويخشاها بشكلٍ قد يصل إلى حد الفوبيا المرضية، ارتعش جسده ورائحة الأدرينالين تفوح منه فتُزيد من هياج الكلاب وزمجرتهم، نباحهم القريب منه جعله في حالة توتر شديدة، بهدوء سحب لوحة الإعلانات أكثر فلم يعط أي مجال للدخول إليه، لكنها ظلت تزمجر وتنبح في حالة هياج دفعت الجنود للاقتراب منها، فقد تأكدوا أن هذه اللوحة تُخفي في باطنها سرًا جعل الكلاب تصل إلى هذه الحالة، استمع لي يونج إلى وقع أقدامهم فاستنتج أنهم قادمون ناحيته، لم يمتلك أي حل سوى أن



يخرج من قمقمه دافعاً اللوحة من فوقه ليركض هارباً، استجمع قواه وانتفض فجأة كالقرش الذي يخرج من الماء لاصطياد فريسته، تراجعت الكلاب لوهلة وكذلك الجنود على أثر المفاجئة قبل أن يستجمعوا شتات أمرهم ويركضون خلفه، تعالت أصوات النُباح والصفافير التي قد سمعها من قبل وهو يهم لقتل الجنديين، تحولت يدا لي يونج إلى سيفين يقطع بهما الهواء البارد وهو يعدو بكل قوة وسرعة حتى أن ساقية فقدتا الاتصال بالجاذبية الأرضية، صوت الكلاب والجنود من خلفه جعل سرعته تتضاعف بشكلٍ كبير، ركض حتى وصل إلى نهاية المبنى ولم يتبق له سوى الهاوية، من دون تفكير قفز من الطابق الثاني فسقط بطريقة خالية من التوازن على كومة من أشياء قديمة امتصت صدمة السقوط، استعاد توازنه مرة أخرى وبدأ يركض بسرعة كبيرة والكلاب خلفه لا تتهاون في متابعته على عكس الجنود الذين انتهى بهم الوضع عند الهاوية لكنهم ظلوا يطلقون الصفافير التي بمثابة بوق نداء يستدعون به باقي زملائهم، الذين أخذوا أماكنهم وبدأوا يركضون خلف لي يونج الذي بدأ يتخذ شوارع ومسارات ملتوية تبعده تماماً عن مجال الرؤية حتى لا تُصيبه طلقات النيران العشوائية التي يسددها جنود العدو وهم يركضون خلفه.

مرت عدة دقائق من المراوغة والركض لم تخل من طلقات النيران وزمجرة الكلاب حتى اكتشف لي يونج أنه ابتعد عن أنظارهم فتوقف تمامًا ليلتقط أنفاسه، انحنى بنصف جسده واضعًا يديه على ركبتيه يلهث ويتصبب عرقًا، يلتقط أنفاسه بصعوبة بسبب النهجان الذي يعاني منه، شعر بشيء ما يقترب منه من الخلف بهدوء لكن قبل أن يلتفت إليه فوجئ بشخصٍ يضع يديه على فمه بغتةً ويسحبه إلى الخلف، حاول المقاومة لكن هذا الشخص كان مُحنكًا في إدارة الأمور وإبقاءه تحت سيطرته دون أن يفلت منه، سحبه حتى مبنى قديم تحول إلى أنقاض كثيفة، سحبه حتى مر به عبر بوابة ذلك المبنى ليصل إلى أرض شاسعة الاتساع تملأها الأعمدة والحجارة والحوائط غير المكتملة وآثار الانهيار، لها سقف مرعب تشعر أنه سيسقط على رأسك في أي وقت، لي يونج يحاول الإفلات منه لكن لم يستطع، بدأ يشعر بوجود عدد من الأشخاص حوله لكن وضعيته التي يُسحب بها لم تمكنه من رؤية أي شيء، شعر بالأيادي تتزايد على جسده لتحد من فرط حركته في الوقت نفسه يحافظ ذلك الشخص الذي يسحبه على ألا يَصدر منه صوت، أسقطوه على الأرض، بدأ ينظر إلى وجوههم وملابسهم فاكتشف أنهم مجموعة من الشباب متفاوتي الأعمار، يرتدون جميعهم ملابس تدل على أنهم جنود في جيش المقاومة الصينية،

اتسعت عيناه وبدأ يستوعب ما يحدث حوله، التفت إلى ذلك الذي يضع يده على فمه فوجده يشير إليه بالتزام الصمت، رفع يده من على فمه تدريجيًا والريبة تملؤه حتى تأكد من صدق نواياه، اعتدل لي يونج في جلستِه بعدما تركه ونظر إليه فوجده ضابطًا صينيًا يرتدي ملابس جيش المقاومة الصينية، تجول لي يونج في وجوههم جميعًا فرآها تجسد كل لحظة مروا بها منذُ أن بدأت المعركة وحولتهم إلى وجبة غذاء للقلق والتوتر، لاحظ لي يونج أن جميعهم جنود عدا الضابط الذي خرج وأخذه إلى الداخل، لاحظ أيضًا أن أحد الجنود ذو كتف عاري ملفوف بخرقة قديمة بيضاء يكسوها لون الدماء الأحمر، لي يونج يتبادل النظرات مع الضابط حتى خرج عن صمته.

– ما الذي يحدث في الخارج؟؟!!

سأله لي يونج فأجابه الضابط بتجهم وحدة شديدة.

– ما الذي يحدث؟؟!! ألا تعرف ما الذي يحدث؟؟!! هل كنت في نزهة خارج البلاد وقد رجعت للتو؟؟!!

– كنت فاقد الوعي، آخر ما أتذكره تلك القذيفة التي سقطت بجواري وأنا أهم إلى ابنتي الضائعة ثم فتحت عيني لأجد نفسي وسط كومة من

الجثث وبمجرد أن هربت منها وجدتهم يحرقونها بكل قسوة.

- أنا لا أفهم مقصدك؟؟!!

- أنا فقدت الوعي واليابان تشن الهجوم على العاصمة وحينما أرتد إلي وعيي وجدتهم منتشرين في كل مكان.

- متى أُرتد لك وعيك؟؟

- منذُ ساعة أو ربما أكثر.

- اليابانيون يتجولون في أرض العاصمة منذُ ثلاثة أيام، هذا يعني أنك فقدت وعيك لأكثر من ثلاثة أيام كاملة!!

- أعلم أنها معجزة، والمعجزة الأكبر أنني لازلت حيًا.

- هو أمر مدهش لكنه لم يصل إلى حد المعجزة ففي الثلاثة أيام الماضية رأينا أشياءً جعلت كل شيء عاديًا بالنسبة لنا.

لي يونج ينظر له طويلاً، يبدو أن هناك سؤال يلح عليه بشكل متكرر لكنه لا يزال يفكر في طريقة طرحه بأسلوب يتناسب مع الحالة التي يعيشها



الجميع، شعر الضابط بذلك فسأله عن السؤال الذي يراه عالقًا في ذهنه.

– لماذا انسحبتم أثناء المعركة مع جيش العدو؟؟!!

– كنت أعلم أن هذا سيكون سؤالك لكن تأكد أنه لم يكن لدينا حل آخر وإلا هلكنا جميعًا، فقد نفذت ذخائرنا وانسحب قادتنا فلم نجد أمامنا سوى الفرار، بقائنا كان لن يجني شيء سوى موتنا، وبموتنا جميعًا لن نستطيع لم شملنا مرة أخرى، لكن هذا القرار جعلنا نشعر بتأنيب الضمير ونحن نرى ما يفعله هؤلاء الأنجاس في المدنيين أبناء وطننا.

تنهد لي يونج بحسرة ثم رمق الضابط وأجابه.

– نعم لقد رأيت بأم عيني أشياء بشعة لا يمكن تصديقها، فقد رأيتهم يقيمون مسابقة بين الضباط في تقطيع رؤوس الأسرى من المدنيين بوحشية.

– أنت لم تر شيئًا، كل ما شاهدته من حرق أو تقطيع رؤوس كان مغلفًا بطبقاتٍ من الرحمة والإنسانية، أنا لم أر في حياتي مثل هذه الوحشية التي يتعامل بها هؤلاء الأنجاس مع المدنيين والعسكريين، اغتصاب ،اغتصاب ،اغتصاب منذُ أن وطئت أقدامهم داخل المدينة، في الليلة الماضية



حاولوا اغتصاب أكثر من مائة فتاة عذراء من كلية جينلينج للبنات ولكن أنقذنا ما أمكن إنقاذه ، لم يقف ظلمهم عند هذا الحد بل كانوا يغتصبون البنات في الشوارع أمام عائلاتهم وأقاربهم، ومن يحاول التدخل ينكلون به أشد التنكيل ليصبح عبرة لغيره، هؤلاء لم يأتوا هنا ليحتلوا نانجينغ فقط، هؤلاء جاءوا خصيصًا من أجل اغتصاب العاصمة بسكانها، أنا لا أعرف متى سينتهي هذا، النساء تبكي كل صباح وبعد الظهر وفي المساء.

أثر الكلام بدا واضحًا وضوح الشمس على وجه لي يونج، تذكر زوجته وأمه العجوز وأطفاله فبدأ يتنفس تنفسًا بطيئًا ضجرًا والضابط يتأمله بعيونه الضيقة قبل أن يطرح عليه سؤاله.

– لماذا كان هؤلاء الأنجاس يركضون خلفك؟؟!!

– كيف علمت ذلك؟؟

– استمعت أنا وفرقتي إلى صوت طلقات نارية وزمجرة كلاب وصفافير فصعدت أعلى المبنى وتواريت خلف الجدران ورأيتك عبر نظارتي المعظمة وأنت تركض وهم خلفك وحينما اقتربت من هنا وتوقفت بالقرب من المكان الذي نختبئ فيه خرجت لأجلبك إلى هنا حتى لا تسوقهم إلينا من دون قصد.



هز لي يونج رأسه في تفهم فأتاه سؤال الضابط التالي.

– أنت لم تُجبني، لماذا كانوا يركضون خلفك؟؟!!

– لا أعرف، هم يركضون خلفي منذ ُأن رأوني دون أن يصدر مني أي شيء.

– هذه هي عادة كل الجيوش التي تحتل المدن، يُحاولون إرهاب أهلها وقتل المدنيين بصور بشعة ليرتعد الآخرين ويخشوا فعل أي شيء أحمق، لكن اليابان تحاول أن تعاقب هذه المدينة تحديداً.

– لماذا؟؟

– أولاً لأننا العاصمة ثانيًا لأننا أكثر المدن تعداداً علاوة على أننا قاومناهم حتى نفذت ذخائرنا ولولا ذلك لما كانوا دخلوا إلى المدينة.

هز لي يونج رأسه فأردف الضابط.

– نحن لا نختبئ خوفًا منهم، ولا نهرب لأننا نخشاهم، نحن في حالة ضعف وإن أمسكوا بنا ستكون نهايتنا في غاية البشاعة وهذا لا يشغل بالنا، لكننا نحاول بقدر الإمكان الحفاظ على حياتنا

حتى يستعيد الجيش عافيته وقواه ونتمكن من الانتقام من هؤلاء الأنجاس.

– هل نفذت ذخائركم بالكامل؟؟!!

– كان لدينا القليل حتى البارحة.

– وما الذي حدث بالبارحة؟؟!!

– لقد أخبرتك أنهم حاولوا اغتصاب أكثر من مائة فتاة من الجامعة !!

* * *

كانت أعدادهم أكثر من ذلك حينما استمعوا بالأمس إلى صراخ فتيات يأتي من مسافة قريبة منهم، فهرعوا جميعًا تجاه الصوت فإذا بهم يجدون مجموعة من البنات عرفوا من خلال بعض الشارات التي يحملنها أنهن ينتمين إلى جامعة جينلينج الخاصة بالبنات في مدينة نانجينغ، كن حوالي مئة فتاة يحاولن الهروب إلى أي مكانٍ آمن بعدما قصف قوات العدو مبنى الجامعة ولكن وقعوا في طريق عدد من أفراد الجيش الياباني الذين كانوا يسيرون بصحبة مجنزرة ومدرعات لحمايتهم، بدأوا بالاقتراب من الفتيات ومن دون إنذار بدأوا باغتصابهن وتجريدهن من ملابسهن



عنوة وسط صراخ شديد، لم يستطع المشرفون والمشرفات حمايتهن من أيدي الجنود بل ولقوا حتفهم جميعًا، الصراخ يتعالى والدماء تغلي في عروق الضابط وفرقته، تبادلوا النظرات قبل أن يُخبرهم الضابط الصيني أنهم عليهم حمايتهم فراح كل جندي يتفقد الذخيرة التي بحوزته من رصاص وقنابل يدوية فلم يجدوا الكثير لكنهم في الوقت نفسه لم يتنازلوا عن الفكرة ولو للحظة واحدة، شرعوا في الانتشار وتوزيع أنفسهم على أماكن متفرقة حولهم مستغلين المباني التي ذهبت معالمها وقاطنوها، انتشروا بحيث يحيطون جنود العدو من كل جانب، باستخدام النظارة المُعظمة التي بحوزة الضابط الصيني بدأ يتابعهم حتى تمركزوا بأحسن شكل ممكن، صوبوا بنادقهم تجاههم ثم انتظروا حتى أعطاهم الضابط إشارة البدء ففتحوا النار عليهم فبدأوا يتساقطون واحد تلو الآخر قبل أن يتركوا الفتيات ويفزعوا لأسلحتهم، أصابوا وقتلوا منهم الكثير، لكن تفوقهم العددي جعلهم يلمون شتات أمرهم سريعًا، بدأت المجنزرة تطلق الطلقات الضخمة تجاه الرصاص الذي يأتيهم من رجال جيش المقاومة دون أن يروهم فيسقطون المبنى بهم في الوقت الذي بدأ فيه جنود العدو بإطلاق النيران.



ظل تبادل النيران بينهم مستمر حتى نفذت ذخائرهم ورصاصهم، والعدو يحصرهم خلف ذلك الحائط الكبير، بهدوء شديد بدأ الضابط الصيني يتطلع عبر نظارته المُعظمة ويطل بها على باقي جنوده فوجدهم كلهم قد قُتلوا ولم يتبق سوى تلك المجموعة التي بحوزته، نظر إليهم وهو يشعر أن الأمر أصبح أكبر منهم بكثير، فوجد أحد جنوده يُخبره أن ذخائرهم قد نفدت في الوقت الذي يرشق فيه رصاص العدو في كل جانب حولهم، يتخذون مواقعهم وأجسادهم تتلوى على بعضهم البعض حتى لا يظهر أي جزء منها، عبر النظارة المُعظمة نظر الضابط تجاه جنود العدو فاكتشف أن المُجنزرة توجه فتحة القذائف الخاصة بها تجاههم.

– أي حركة سيعرفون مكاننا وسيطلقون علينا القذيفة ونموت جميعًا.

قالها الضابط فأجابه أحد الجنود.

– لا أريد أن أموت قبل أن أنتقم من هؤلاء جميعًا.

– الآن يجب أن نفكر في فكرة نُعطل بها المجنزرة.

استرق جندي النظر ورمق جنود العدو والمجنزرة وما يحيط بها فوجد مبنى يقع بالقرب منها يمكن



الوصول إليه عبر ذلك المبنى القابعين فيه فنظر إلى الضابط وأخبره بصوتٍ خافت عن عدد القنابل التي بحوزتهم، تطلع الضابط والجنود إليها ثم أخبره أنها لا تتعدى السبعة قنابل يدوية.

– أنا لدي خطة.

قالها الجندي فسأله الضابط.

– وما هي؟؟!!

– سأذهب إلى أقرب منطقة للمجنزرة وسألقي هذه القنابل عليها من أعلى.

– وأين هي هذه المنطقة.

– هناك.

أشار بيديه تجاه المنطقة فتطلع إليها الضابط عبر نظارته المعظمة.

– وكيف ستصل إلى هناك؟؟

– عبر البناية التي نحن فيها فهناك رواق يصل بي إلى هناك ولكن أريد أن يأتي معي أحد للمساعدة.

– أنا سوف آتي معك.



قالها أحد زملائه فأجابه الضابط.

– نحن سنحاول أن نحمي ظهوركم ولو أننا لا نملك ذخيرة.

– سنحاول فعل كل ما لدينا.

بدأ الجندي بصحبة زميله الزحف على بطونهم حتى وصلا إلى الرواق ومنه إلى تلك المنطقة وجنود الأعداء يُمطرون المبنى بالرصاص الحي لكنهم لا يستطيعون تحديد أماكنهم فصار مجرد رصاص عشوائي بهدف القتل، وصلوا إلى المنطقة الأقرب إلى المجنزرة، اختلس الجندي النظر فوجدها تتحرك فتحدث إلى زميله الذي تبرع بمساعدته.

– جيد، المجنزرة تتحرك.

– وماذا يعني ذلك.

– يعني أنها ستكون أسفلنا مباشرةً بعد دقائق، علينا تجهيز القنابل.

أخرج الجنديان القنابل وبدأوا يربطوها حول بعضها في حزمة واحدة بحبال والجندي يتطلع إلى المجنزرة على فترات متقاربة حتى باتت قريبة منهم فنظر إلى زميله الذي تبرع بمساعدته.

– سأقوم بالعد حتى عشرة وسأقف وألقى بالقنابل عليها.

– هل تتوقع نجاح ذلك.

– أنا لا أتوقع أنا فقط أتمنى .

بدأ الجندي العد حتى وصل إلى الرقم عشرة ثم فك تيل الأمان الذي يمهد القنبلة للانفجار، نزعه للسبعة قنابل قبل أن ينتصب جسده وهم بإلقائها على المجنزرة فوقعت عين جندي ياباني عليه فصاح بصوتٍ عالٍ قبل أن يطلق النار عليه فأصابه في كتفه بطلقٍ ناري فسقط على الأرض وهو يصرخ من الألم، سقطت القنابل بجانبه وهي على وشك الانفجار، وقعت عين زميله عليها فأدرك أنها ستنفجر ويموت هو وزميله، ولكن المشكلة لم تكمن في ذلك بل في أن باقي زملائه لا يمتلكون ما يدافعون به عن أنفسهم، نظر تجاه الضابط الذي يشاهدهم من خلال النظارة المُعظمة ثم أعطى له التحية العسكرية، اقترب من القنابل ووابل من الرصاص ينهال عليهما من كل جانب، أخذ القنابل بسرعة وزميله الذي أصيب بطلق ناري في صدره يسأله ماذا تفعل.

– يبدو أن نجاح هذه المهمة يتوقف على دور المساعد فيها.



ابتسم له ثم انتصب جسده وسط ذهول الضابط الصيني الذي يتابعهم عبر نظارته المُعظمة فوجد جسد ذلك الجندي وهو يُرشق فيه رصاص العدو فيتراقص لا إراديًا، توقف الطلق الناري حينما أدركوا أنهم أصابوه، خرجت الدماء من فمه وهمس بصوتٍ واهن إلى زميله المُصاب في كتفه.

– من أجل الصين.

سقط من أعلى على المجنزرة مباشرةً في اللحظة التي انفجرت فيها القنابل فعطلت المجنزرة وصنعت دخانًا كبير مكنهم من الفرار بعدما أخذوا الجندي المُصاب، الضابط ظل ينظر على المجنزرة من أعلى حتى ظهرت خوذة الجندي الذي ضحى بنفسه فأعطى له التحية العسكرية قبل أن يهم مع زملائه بالهرب.

* * *

لي يونج يستمع إلى كلام الضابط وقد أدرك الآن سبب إصابة الجندي الذي رآه مُصابًا في كتفه فور دخوله إلى المبنى، يستمع إلى الضابط وقد تأثر كثيرًا بما تتناوله أذناه، أردف الضابط الصيني كلامه والألم الشديد يتضح بين ثناياه.



– فررنا هاربين ولكن شعرنا أننا فعلنا عمل عظيم فقد منعناهم من التمادي في إيذاء الفتيات، لم يتبق معنا أي ذخيرة، فقط هذه الرصاصة.

أخرج الضابط رصاصة من جيب سترته وأشهرها في وجه لي يونج.

– فقط رصاصة واحدة أُتركها لحدثٍ عظيم.

هز لي يونج رأسه متفهماً ثم تحدث معه بكلماتٍ صُبغت باليأس الشديد.

– كلامك يوحي إلي بأنك ستقضي أنت وما تبقى من فريقك باقي عمركم في الهروب.

– بالتأكيد لا، سنهرب حتى يتمكن الجيش من جمع قواه كما أخبرتك من قبل.

– أتمنى لكم التوفيق، لكنني لا يمكنني المكوث معكم، فهناك مهمة في غاية الصعوبة تنتظرني.

– وما هي؟؟

– علي أن أجد عائلتي حتى تعود روحي إلى جسدي ويعم قلبي الدفء، رؤيتهم ستسكب علي السلوان.

– هل تعرف مكانهم؟؟

– تركتهم أسفل هدم صغير في شارع متفرع من شارع نانجينغ الرئيسي وقد قمت بردمه حتى لا يُكشف أمرهم.

– وهل تتوقع أنهم داخل هذا الردم المُغلق طوال فترة فقدانك للوعي بلا طعام أو شراب؟؟

تخلل الضباب عقله وانتابته لمحات من التفكير قبل أن يستأنف الضابط كلامه.

– بالتأكيد لا فقد أخبرتك أنك فقدت الوعي لثلاثة أيام على أقل تقدير وهذا يعني أنهم غادروا مكانهم لا محالة.

– زوجتي بصحبتها أطفالي وأمي وهذا يُعد حمل ثقيل لن تستطيع التحرك لمسافات بعيدة بالتأكيد سأجدها بالقرب من شارع نانجينغ الرئيسي.

– هذا شارع كبير يمتد على مسافة أربعة كيلو متر تقريبًا وهذا سيحتاج منك مجهودًا جبارًا.

– لا يهم، كل ما أريد هو أن تعود الرأس إلى جسد الأسرة.

ابتسم الضابط بهدوء حينما استمع إلى ذلك الكلام وهو يخرج من فم الأب الملتاع.

– نتمنى لك التوفيق.

– ولكم أيضًا.

ابتسم لي يونج قبل أن يهم بالذهاب لكن شيئًا ما استوقفه فجأة، نظر إلى الضابط باستحياء شديد.

– أشتد بي الجوع وهَصَر معدتي، هل أجد معكم ما يُعينني على استكمال مهمتي.

أشار بيده إلى بقايا لحم مُلقى على الأرض، هيئته المقززة لا تُشجع على تناوله، علاوة على رائحتِه النتنة، بالإضافة إلى أنه غير مطهو تقريبًا، رمقه لي يونج باشمئزاز قبل أن يتحدث إلى الضابط بدهشة بعدما رفع اللحم المجهول بالنسبة إليه وما يحتويه من عظام صغيرة سهلة الكسر.

– ما هذه اللحم.

– لحم قط كبير.

نظر إليه لي يونج قبل أن ينظر للحم ويُحركه تجاه فمه، أتاه صوت الضابط مرة أخرى.

– وجدناه ميتًا بالقرب من هنا.

توقف لي يونج وبدأ يرمقه بدهشة.

– لحم جيفة، هذا اللحم جيفة.

– أنت لست في مطعم لتناول الكونغ باو، نحن تحت حصار وحرب ولا نعرف متى سينتهي هذا الكابوس، ليس أمامك سوى هذه الجيفة، إمَّا أن تأكلها وأنت صامت وإمَّا أن ترحل لتموت جوعًا.

لي يونج لا يملك أي خيار سوى الأكل ليستطيع مواصلة البحث عن أسرته المجهول مصيرها بالنسبة له، جلس القرفصاء ببطء لا يخلو من التردد، انبعجت قسماته على أثر رائحة اللحم الكريهة التي تخرج منها، مد يده المتمردة وبدأ يقطع قطعة صغيرة يكسوها الدم الجاف، يغمض عينيه بقوة وهو يقترب أكثر بيده، فكرة جنونية قد تسوقه إلى تسمم أو مرض عُضال، سحب كمية كبيرة من الأكسجين قبل أن يتحدث إلى نفسه مُحفزًا إياها.

– فقط من أجل عائلتي.

قبل أن يقضمها استعموا إلى صوت وقع أقدام بالقرب منهم، ثمة حركة تبدو كحركة إستنفار



القوات في الخارج، انتبه الجميع وتبادلوا النظرات التي يتجسد بها الفزع، صاح الضابط في الجميع بصوتٍ خافت.

– اهدأوا علينا أن نختبئ جميعًا، يجب أن تتواروا خلف أي حائط ولا تسمحوا لأي جزء منكم بالظهور.

تفرقوا جميعًا ووزعوا أنفسهم على الجدران والأعمدة الموجودة داخل المبنى، جاء مكان لي يونج بجوار الضابط الصيني الذي جمع الأسلحة والمتعلقات الخاصة بهم حتى لا يلفت أنظار أحد لوجودهم، وقع الأقدام يتعاظم حتى بدأوا يقتربون من باب المبنى، استرق الضابط النظر من خلف العمود فرأى أفراد الجيش الياباني وهم يمرون من أمام المبنى، أعدادهم كانت تزيد عن ثمانية جنود مدججين بالأسلحة، انتظروا حتى مروا جميعًا من أمام المبنى ثم بدأ بعض الجنود الصينيين بالتحرك في اللحظة التي قرر فيها أحد الجنود اليابانيين بالعودة ليلقي نظرة بداخل المبنى، أراد ألا يمر الأمر مرور الكرام كما مر على أصدقاءه، عاد إلى المبنى في الوقت الذي بدأ الضابط يُشير فيه للجندي للعودة إلى مخبئه، الجندي لا يراه مما دفعه ليُزيد من حركته حتى رآه في الوقت الذي وصل فيه الجندي الياباني إلى باب المبنى.

– ماذا تفعل عندك؟؟

سأل جندي ياباني زميله الذي يطل بعينيه داخل المبنى فأجابه.

– أتفقد المبنى من الداخل.

– لا يوجد أحد هنا، عد لنُكمل بحثنا.

ألقى نظرة أخيرة قبل أن يتحرك الجندي ليعود لينضم إلى باقي الجنود ليستكملوا رحلتهم، لكن لسوء حظ جنود جيش المقاومة سقط سلاح ناري من تلك الأسلحة الفارغة التي أخذها الجندي الصيني ليخفيها، عددها الكبير جعل واحدة منها تسقط على الأرض فأصدرت صوتًا تسلل إلى أذن الجندي الياباني فاتسعت عيناه عن آخرها ثم عاد إلى باب المبنى مرة أخرى وهو يُخبر أصحابه بأنه يسمع صوتًا بالداخل، فارتفعت خطواتهم جميعًا فأدرك الجميع أنهم قادمون، الجندي الذي سقط منه السلاح يشعر بتأنيب الضمير في الوقت الذي بدأ فيه الضابط الصيني بتحريك قبضة يده في الهواء غضبًا مما حدث، تجمع جنود العدو أمام باب المبنى يتسائلون عن الصوت فيخبرهم زميلهم أن هناك صوتًا سمعه يأتي من الدخل، أشهروا أسلحتهم في وضع الاستعداد وبدأوا بالدخول إلى المبنى وسط أنظار الضابط والجنود، ارتفعت نوبات التوتر والقلق لدى الجميع، ارتطمت في رأس أحد الجنود فكرة أنارت له الطريق فأشار بيده إلى



الضابط فلفت انتباهه وانتباه لي يونج الذي يقف بجانبه، أشار إليه وجنود العدو يتقدمون في زحفهم البطيء جداً والحريص في الوقت ذاته، أشار إليهم إشارة معناها أنني كنت في غاية السعادة طوال فترة خدمتي بجانبكم، كنت أتمنى أن أظل معكم حتى ننتصر ولكن دوري الآن يتلخص في إنقاذكم جميعًا، أدّى إليه التحية العسكرية، انحنى على الأرض وأمسك بحجر وسط نظرات الضابط وعينيه التي اتسعتا عن آخرهما، ألقى الجندي الحجر بعيداً فجعل جنود العدو يلتفتون إليه ويفتحون النار عليه من دون أن يعلموا أنه مجرد حجر، استغل الجندي هذا التشتت وهجم على الجنود وهو يصرخ، انقض عليهم وأسقطهم جميعًا على الأرض وهو يصرخ «أهربوا، لا تُضيعوا قتلي هباءً، أهربوا».

ركض الجميع ومن بينهم لي يونج والضابط في الوقت الذي فتحوا فيه النيران على هذا الجندي الفدائي الذي ألقى بجسده عليهم وأسقطهم جميعًا.

خرج الجميع إلى خارج المبنى، جاء موقع لي يونج في نهاية المجموعة فوجد الضابط يقف وينظر بحسرة إلى الجندي الذي ضحى بنفسِه من أجلهم، ينظر إليه بعين شبه دامعة والدماء تغلي في عروقه، دون تفكير دفعه لي يونج بقوة ليبعده عن



موقعه السهل بالنسبة إليهم. تيبس الضابط الصيني في البداية ولي يونج يدفعه بقوة حتى يهرب معهم، زعق الضابط في وجهه وطلب منه أن يتركه وينصرف فهو يشعر بالخزي الشديد كونه يترك الجندي يُقتل أمام عينيه ويفر هاربًا، لكن جاءه رد لي يونج السريع وهو يصرخ فيه ويخبره بأن الخزي الحقيقي هو أن يسلم نفسه للموت بسهولة دون أن يقاوم من أجل الانتقام من هؤلاء، أمطرهم جنود العدو بوابل من الرصاص الحي في الوقت الذي تعالت فيه صافرات الإنذار التي أعتاد لي يونج على سماعها كلما لمحه أحد جنود العدو مما دفعه لسحب الضابط الصيني بالقوة والركض بصحبته وسط الرصاص الحي الذي ينهال عليهما بكل قسوة مُصدرًا صوت ارتطامه بالجدران والمباني التي تحوط بهم.

تحول الشارع الهادئ إلى سباق مراثوني يركض فيه جنود العدو خلف مجموعة الجنود والضابط ولي يونج مُحاولين قتل أو إصابة أيًا منهم، استمرت المراوغة عدة دقائق حتى وجد لي يونج نفسه بصحبة الضابط وجندي من جنوده في شارع جانبي، يركضون بسرعة كبيرة دون أن يعلموا إلى أين يذهبون، فقط الركض من أجل البقاء على قيد الحياة، الجندي كان أسرعهم فكان يسبقهم بعدة خطوات في الوقت الذي كان يجاهد فيه لي يونج



والضابط ليلحقوا به، لكن لسوء حظه حينما وصل إلى أحد التقاطعات التي تقطع الشارع الجانبي الذي يركض فيه فوجئ بجندي ياباني أطلق عليه النار فأصيب في قدمِه برصاصة جعلته يسقط على الأرض ويتدحرج بوضعٍ غير مُتزن لعدة أمتار، ارتفعت آهاته قبل أن يركض الجندي الياباني تجاهه، موقع لي يونج والضابط الصيني الذي جاء في الخلف جعل الجندي الياباني لا يراهم بل بل تفاجأ بهم وهم ينقضون عليه قبل أن يقتل الجندي الصيني الذي أصاب قدمه برصاصِه، تكاتلوا عليه وضربوه قبل أن يسحب الضابط الصيني حجر وينهال على رأسه به فيهشمها تهشيماً في الوقت الذي بدأ فيه باقي جنود العدو بالاقتراب من خلفهم.

– علينا أن نسرع قبل أن يلحقوا بنا.

قالها لي يونج للضابط الذي نظر إلى الجندي المُصاب الذي أخبرهم بكلماتٍ يتخللها آهات الألم أنَ يتركوه فهم لن يستطيعوا النجاة بصحبته، هرع الضابط إلى جثة الجندي الياباني وأخذ منه سلاحه ثم نظر إلى لي يونج وطلب منه أن يساعده في النهوض ثم يجعله يتكئ على كتفِه ليهربوا سوياً، قال الضابط كلماته بطريقة حاسمة ثم نظر إلى الجندي المُصاب.

– حينما تنتهي الحرب تأكد أنك ستعاقب وسأشرف على عقابك بنفسي لأنك رغم طول خدمتك معي لا تعلم أنني لم أعتد على ترك جريح خلفي.

أنهى كلماته ثم بدأ يطلق الرصاص على جنود العدو الذين لحقوا بهم فشتتهم وجعلهم يلجئون إلى الحوائط ليحتموا بها في الوقت الذي ساعد فيه لي يونج الجندي المُصاب على النهوض، بدأوا يركضون بسرعة رجل عجوز يحاول التريض حول ملعب لكرة القدم، الضابط الصيني يطلق النيران على الجنود اليابانيين ليمنعهم من الاقتراب، تحامل الجندي المُصاب على نفسه وبدا يُزيد من سرعته شيئًا فشيئا حتى خارت قواه وسقط على الأرض، انضم الضابط إلى لي يونج بغرض المساعدة فسحباه من ملابسِه على الأرض، لي يونج يمسكه بيديه الاثنتين أمَّا الضابط فيسحبه معه بيدٍ واحدة أمَّا الأخرى فيمسك بها السلاح الناري ويطلق النيران على جنود العدو، إصابته جعلت وزنه ثقيلًا بالحد الذي دفعهم لبذل مجهود إضافي لسحبِه وهو يصرخ ألمًا بسبب موضع الجرح الذي صنعته الرصاصة في فخذِه من الخلف مما جعله عرضةً للاحتكاك بالأرض الترابية التي تحتوي في أحشائها الطوب الصغير والحصى، المُصاب يصرخ والضابط يُحاول إبعاد اليابانيين



حتى نفذت ذخيرة السلاح الناري الذي أخذه من الجندي الياباني ولا يزال يُجاهد بسحب المُصاب بصحبة لي يونج حتى تواروا جميعًا خلف حائط مبنى صغير.

– أقتلني، أقتلني قبل أن يلقوا القبض علينا.

قالها المُصاب للضابط؛ فرمقه بشده ثم أحتد عليه.

– أخبرتك قبل ذلك أنك ستعاقب على كلامٍ يُشبه ذلك.

– أرجوك، هذا سيكون أفضل بكثير، إن وقعت في أيديهم سيتمتعون بتعذيبي وقتلي بطريقة غير رحيمة.

يتحدثون إلى بعضهم البعض ورصاص العدو يرشق الحائط الذي يتوارون خلفه.

– أنت لا تفهم، أنا لا أستطيع أن أقتلك.

– هل تكره لي الرحمة.

– القطط تعشق السمك لكن تخشى أن تبتل أظافرها يا أخي .

– اقتلني ولا تجعلني صيداً سهلًا لهم.



نظر الضابط إلى لي يونج فوجده يُخبره بلهجة واثقة.

– الصواب هو ما يريده، أنت تدرك جيداً أننا لن نتمكن من الهرب وهو معنا.

– سمعت، أقتلني، أرجوك اقتلني.

رددها المُصاب باستعطاف شديد فنهض الضابط وعيناه مليئة بالحزن، أخرج الرصاصة من جيبه، وضعها في سلاحه الناري أغمض عينيه بعدما صوبه إلى رأسه قائلاً بصوتٍ مرتفع للغاية «من أجل الحدث العظيم»، أطلق الرصاصة على رأس زميله فأسقطه قتيلاً، لي يونج يتابع الضابط بعين شبه دامعة على ما يحدث حوله من أحداث في الوقت الذي ارتفع فيه وقع أقدام الجنود وازداد رصاصهم في إصابة الجدار.

– هل تنتظر أن يلقوا القبض علينا؟؟!!

قالها الضابط قبل أن يشرع في الركض، تبعه لي يونج وبدأ يركض هو الآخر محاولين التخفي عن أعين جنود العدو، راوغاهم قدر المستطاع حتى انتهى بهم المطاف داخل طريق ضيق غير نافذ، ضيق لدرجة أنهم التفا على أنفسهما كالقواقع، يتابعان من مكانهما الضيق أقدام الجنود وهي



تركض أمامهما بسرعة فائقة، انتظرا حتى مروا جميعاً، خرجا ببطء من ذلك الحيز الضيق وركضا في الاتجاه المعاكس لاتجاه ركض الجنود، تسللا بحرص شديد حتى وصلا مكاناً آمناً يقع بعيداً عن حركة الجنود، جلسا على الأرض بإرهاق شديد، أراحا مؤخرتيهما وبدءآ يلتقطا أنفاسهما بهدوء قبل أن يرتفع صوت لي يونج كالأنين، الدموع تتساقط بغزارة رغماً عنه، دس يده في جيبه وأخرج صورة تجمعه مع أسرته، نظر إلى الصورة وبكاءه يتصاعد حتى بلغ أقصاه.

– اهدأ يا رجل.

– لا أستطيع أنا فقدت عائلتي.

– أنت فقدت عائلتك وأنا فقدت فريقي للتو.

قالها الضابط ثم لاحظ أن عين لي يونج تتحرك بطريقة غريبة جعلته يرتاب في الأمر.

– ماذا بك؟؟

سأله الضابط فأجابه لي يونج بصوتٍ ضعيف.

– أشعر بدوار يكتنف رأسي.



قال جملته ثم فقد الوعي وسقط على كتف الضابط مغشياً عليه، حاول الضابط إفاقته لكن دون فائدة، ارتفع وقع أقدام بالقرب منهما، نظر الضابط بحذر، فوجد الجنود اليابانيون باتوا قريبين جداً منهم و لي يونج فاقد الوعي تماماً، ما أثار دهشته أنه وجدهم قد ألقوا القبض على الجندي صاحب الكتف المُصاب ولكن وجهه قد تغير وملامحه تبدلت على أثر الضرب الذي تعرض له، يسحبونه من ملابسه بعدما قيدوا يديه خلف ظهره ويقتربون من موقع الضابط ولي يونج الذي فقد الوعي.



– ٧ –

ظلت الزوجة أسفل العمود الأسمنتي المائل الذي يتجمع فوقه الطوب والردم داخل تلك الكَوْمَة الباقية من المبنى المنهار تنتظر عودة زوجها لي يونج بابنتها الوسطى التي انفطر قلبها من أجل غيابها، طال الوقت وهي ولا تدري أنه لن يعود في الوقت الحالي فالقذيفة التي سقطت بالقرب منه سلبته وعيه وحولته لجثة هامد لا تفعل شيئًا سوى التقاط الأنفاس، تحولت الزوجة إلى الوجبة الوحيدة التي يتغذى عليها القلق كلما مرَّ عليها الوقت، يرتفع أنين طفلها الرضيع في الوقت الذي بدأت تشعر فيه بالارتباك بسبب مرور عدة ساعات ولم يأتِ زوجها فيزداد الموقف توترًا، تهم بأرجحة رضيعها في محاولة يائسة منها لإسكاته في الوقت الذي طال فيه الاضطراب كل فرد من أفراد الأسرة مهما كان عمره، حتى العجوز والدة لي يونج التي لا تزال تتكوم في السَبَت الخوص لم تنج من دوامات الهم التي تجتاح كل شيء، الظلام الشديد والجو الخانق الذي بدأ يعيق التنفس بشكلٍ طبيعي حول تلك الكَوْمَة التي يختبئون فيها إلى قبر موحش يضم في أحشائه أفراد العائلة كاملة، لم يتنازل هذا القبر عن أي حق من حقوقه في الظلمة والوحدة والخوف، حتى العذاب أراد أن ينقله كاملاً إلى جميع أفراد العائلة، كسر صوت أنين



الرضيع وبكاء الطفل الذي يكبره صوت مجنزرات على مسافة ليست ببعيدة عنهم، شعرت الزوجة بأن الأرض بدأت تهتز أسفلها في الوقت الذي بدأت تستمع فيه إلى أصوات وقع أقدام وصيحات تتعاظم مع تصاعد هزة الأرض مما دفعها لتتوقف عن هز ابنها الرضيع ووضعه على الأرض لتزحف متطلعة لتُدرك ما يحدث في الخارج، نظرت عبر الفتحة الوحيدة التي صنعها لهم لي يونج لتكون مصدرًا للتهوية وفي الوقت ذاته هي الفتحة الوحيدة التي تربط الداخل بالخارج، نظرت الزوجة فلم تر سوى ألمًا يضاف إلى الألم الذي تحتفظ به من الأساس، وجدت مجموعة عسكرية كبيرة من جيش العدو يزحفون داخل أراضي العاصمة، مجنزرات رهيبة المنظر تهيجُ بسببها التوقعات السوداء، يترجل حولها عدد كبير من جنود المشاة الذين يحملون بنادقهم الطويلة المُثبت عليها من الأمام علم الإمبراطورية اليابانية، يتلفتون بأعينهم في كل مكان كأنهم يتوقعون الهجوم من أي زاوية حولهم، يفترش الأرض عدد كبير جدًا من جثث النساء والأطفال والشيوخ، يدهسونهم بأرجلهم وبجنازير المجنزرات دون احترام، تطوع جزء منهم وراح يضرب بالسكاكين المثبتة على فوهة البندقية الجثث المُلقاة على الأرض لعل من بينهم أحياء، الشارع شبه خاوي، الكل إما قد مات أو مختبئًا أو لاذ بالفرار.



اليابانيون ينتشرون بكثافة في شارع نانجينغ الرئيسي، يبحثون في كل ركن عن الأحياء، بعدما أمرهم قائدهم بذلك لتبدأ بعدها عملية رفس الجثث والبحث بجوار وخلف الأبنية والحوائط عن أحياء، حتى أن بعض الجنود تطوعوا وأخذوا يضربون الرصاص العشوائي على مجموعات الجثث والأكوام اللدنة التي تسمح بالاختباء بداخلها، كلهم مستنفرون بأسلحتهم يعمهون في ظلماتهم يبحثون عن أي شخص يصلح للتسلية فيلعبون به كما يلعب الطفل السادي بدميته بعدما سمح لهم القائد ضيق الأكتاف بفعل أي شيء مع أي شخص يحمل الجنسية الصينية مهما كان عمره أو ظروفه.

تجمد الزمن في ذهن الزوجة وهي تشاهد بعينيها كل هذه الآلام التي تظهر من خلال فتحة التهوية الصغيرة، تسأل ربها بإلحاح عن النجاة وهي تُمَنّي النفس بألا تزداد هذه الفتحة اتساعًا حتى لا يتسع معها الألم، عليها العودة إلى الدخل لتُطمئن أطفالها وتحاول أن تشعرهم بالأمان، لكن قبل أن تشرع في فعل ذلك وقعت عيناها على شيء غير متوقع جعلها تتيبس مكانها، هناك شيء يتحرك وسط الجثث حركة بسيطة جدًا، ارتابت في بداية الأمر وظنت أنها تتوهم ذلك على أثر الإرهاق الذي تشعر به مما دفعها لفرك عينيها بشدة وتعاود

النظر بدقة من جديد فلم تجد شيء يتحرك، تأكدت أنه الإرهاق كما كانت تظن، أغمضت عينيها وزفرت بقوة قبل أن تعاود النظر مرة أخرى لتكتشف أن الشيء نفسه عاود الحركة، لكن هذه المرة كانت أكثر وضوحًا فاستبان الأمر، إنها فتاة صغيرة في بداية عقدها الأول، لم تلق حتفها، فقط أُصيبت إصابات خفيفة لم ترتق إلى نزع روحها، جسدها مُلقى وسط الجثث تحديداً بجوار جثة والدتها، تشعر بالرعب الشديد لما يحدث حولها من أحداث فاصطنعت الموت وتتحرك كل فترة لتهز جثة أمها لعلها تستيقظ وتحميها من دوامات الرعب التي تفتك بها، انفطر قلب الزوجة وشعرت بأن قلبها يؤلمها وهي تتابع تلك المسكينة التي تبكي دون صوت وتحرك جثة أمها في الوقت الذي بدأ فيه جنود العدو يقتربون منها، وهي لا تزال تهز جثة أمها، الزوجة تتلفت حولها بهستريا لا تجد ما تفعله من أجلها حتى كُشف الأمر، سقطت تلك الصغيرة في أيدي هؤلاء الجبابرة اللذين بدأوا يقذفونها بينهم وهي خائفة تصرخ ألمًا وهي تنادي على أمها، كانت تنتاب الزوجة حالة فزع ورعب شديدة وهي تشاهدهم يسقطون هذه الفتاة على الأرض ويلتفوا حولها كالضباع التي تهم بأكل شاة صغيرة، دموعها تنساب منها رغمًا عنها وهي تشاهد تلك الفتاة وهم يجردونها من ملابسها في العراء فصارت تدعو اللّه دعاءاً حاراً



وصوت الصراخ يأتي إليها من بعيد وهي مولولة تبصر بعينيها ما يحدث.

جردوها تمامًا من ملابسها فصارت كما ولدتها أمها ثم صنعوا دائرة تتكون من سبع جنود كانت هي مركزها ثم هموا يقتربون منها فتضيق عليها المساحة التي تتحرك فيها وهي لم تتوقف لحظة عن الصراخ والخوف الشديد حتى بدأ الجنود بملامسة جسدها بأيديهم وبأسلحتهم البيضاء فيصنعون جروحًا خفيفة في أماكن متفرقة من جسدها وهي تصرخ وترتعش كأنها تُسلخ حية، لم تجد أمامها منفذاً للهروب إلا تلك الزاوية التي تصنعها أقدام الجندي الذي يقف أمامها فجلست على أربع وركضت على أيديها وأرجلها حتى خرجت من بينهم ثم نهضت وركضت والجنود يركضون خلفها ويصيحون بها كي تتوقف، ركضت بعشوائية حتى وصلت إلى الكومة التي تختبئ الزوجة بداخلها فالتقت عيناهما ببعضهما البعض حينما تعثرت قدماها وكادت تسقط لولا أنها اقتربت من الكومة واستندت عليها فالتقت عيناها بعيني الزوجة عبر فتحة التهوية الصغيرة فتيبست مكانها مما جعل أمر القبض عليها في غاية السهولة.

تراجعت الزوجة وهرعت إلى الرضيع الذي هز سواكنه ذلك الصراخ والضحك القميء الذي بات



قريبًا جدًا منهم، حاولت الأم تهدئته قدر المستطاع، أخذته في أحضانها وبدأت تربت بحنان بالغ على ظهره حتى يكف عن البكاء الذي تعاظم على أثر الصراخ والضحك الموجود بالخارج، اتسعت عينا الجندي القريب من تلك الكومة والأم تجاهد لتحد من صوت الرضيع في الوقت الذي بدأ فيه الابن الأكبر لها بالبكاء هو الآخر، يُخبر أمه بأنه خائف، الوضع يزداد سوءًا والأم لا تعرف ماذا تفعل، حاولت كتم أنفاس الرضيع فازداد صِراخه الذي تلاه صِراخ الجندي الياباني وهو يُخبر زملائه بأن هناك صوت يأتي من خلف تلك الكومة الترابية فتوقف الجنود عن العبث بتلك الفتاة العارية وتركوها في يد زميل لهم وتبادلوا النظرات قبل أن يتبرع أحدهم ويغرس سلاحه في وسط الكومة فاخترق «السونكي» الجدار الرقيق وانتهى النصل أمام رأس الابن الأكبر الذي انكمش وصرخ هو وأمه على إثر ما حدث مما دفع الجميع للضحك قبل أن يُخبرهم قائدهم أنهم على موعد جديد من اللهو.

انقضوا جميعًا على الردم كالكلاب الشرسة التي وجدت جيفة مدفونة داخل الرمال، يزيلون الطوب والحجارة بالشكل الذي يسمح لهم بالدخول، المشهد كان أشبه بالدخول إلى أُفْحُوص قطة تحتضن أطفالها وتحرص على ألا يظهرون للعامة، الزوجة تحتضن أطفالها مما دفع الجنود للضحك



الهستيري وكذلك القائد ضيق الأكتاف الذي يستمتع بمشاهدة الخوف المتجسد على أي صيني.

ازداد بكاء الأم حتى أنها باتت لا تستطيع الحركة بسبب خدر أطرافها من شدة الخوف المسيطر عليها، حاول جندي غشوم نزعها من فوق أطفالها بالقوة فتشبثت بهم أكثر فانضم إليه زميله ورفعها من الخلف وهي تحاول أن تهدئ من روع أطفالها الذين يصرخون بلا هوادة، نزع ثالث الغطاء الذي يغطي رأسها ثم جدلها من شعرها بأصابعه القابضة عليه بقوة، صرخت بصوتٍ عالٍ وهي تقاومه لترتمي على أطفالها بما استطاعت تحريكه في جسدها، رفعها الثلاثة جنود معاً بغيظٍ من تحت إبطها بعدما غرزوا مخالبهم في لحمها حتى أخرجت قطرات من الدماء وأبعدوها عن أطفالها الصغار، فرضوا سيطرتهم الكاملة عليها فأبقوها في تلك الوضعية التي تُشبه القرفصاء بعيداً عن أطفالها، فقط تشاهدهم بعين حمراء امتلأت عن آخرها بالدموع، بدأ ينضم إليهم بعض الجنود الحريصين على اللهو والمتعة فوقعت عين أحدهم على السَبت الخوص الذي يحتضن والدة لي يونج العجوز، اقترب منه وألقى عينيه بداخله فوجدها تلتف حول نفسها بداخله في استسلام تام، ارتفع صوته وأشار إلى بعض زملائه فأتوه



مسرعين، رفع اثنين منهم السَبت وبدأوا يُؤرجحوه في الهواء ذهابًا وإيابًا وهم يضحكون بهستريا غريبة ثم أفلتوه على غفلة فتدحرجت العجوز وخرجت كحبة البرتقال السارحة على الأرض فتعالت الضحكات أكثر والعجوز تصرخ من الألم الشديد الذي انتاب عظامها الهشة على أثر ما حدث لها، أحفادها لا يزالوا يصرخون من الخوف، انشق قلب الزوجة حينما شاهدت ابنها الأكبر وهو يحتضن أخيه الرضيع ويصرخان سويًا لكن لم يغير ذلك من الأمر في شيء، اقترب من العجوز جندي يحمل عظام وجه بارزة تُزيد من استفزازك حينما تقع عينك عليها، ظل يرمق العجوز وهي تتحرك ببطء شديد على الأرض كالسلحفاة المُعمرة، لم يشفع لها سنها الكبير أو عظامها الواهنة النخرة، اقترب منها وأمسك بقدميها التي يستحيل أن تفردها عن آخرها بسبب عظامها التي شاخت، سحبها منها بقوة فسحلها على الأرض غير الممهدة فتركت بروزها الصخرية آثارها على ظهرها المتقوس، سحبها مسافة كبيرة بصحبة زميله من أطرافها الأربعة، بدأوا يُؤرجحونها في الهواء كما كانوا يفعلون سلفًا لكن هذه المرة من أطرافها ثم أفلتوها بقوة فارتفعت في الهواء قبل أن تهوى بكل قوة على الأرض فأطلقت صرخة تعتبر هي الأقوى منذُ ولادتها، حتى صراخها وقت ولادة ابنها الوحيد لم تكن بتلك القوة، قهقه الجنود بسادية

وسط صراخ الزوجة التي تقاوم الجنود اللذين يقيدون حركتها لكنها كلها كانت مقاومة لم تأتِ سوى بالفشل، ترجل إليها الجندي صاحب عظام الوجه البارزة، فعظامها التي كُسرت أغلبها لم تروي عطشه الشديد، قبض على ما تبقى في رأسها من شعر وسحبها بقوة أدت إلى خروج معظمه في أصابعه وهي لم تتوقف لحظة عن الصراخ، اقترب منها أكثر حتى بات وجهه مقابل تماماً لوجهها الذي يتجسد عليه الألم بصورة وحشية، ينفخ زفيره الدفيء المتصاعد من داخل كلكال الحمم البركانية التي تغلي بداخله كلما رأى شخصاً صينياً، راقت هيئتها الضعيفة التي يتجسد فيها الألم لقائدهم الذي تقدم إليها فأعطى له الجندي المجال فجلس أمامها القرفصاء وهو يبتسم ابتسامة صفراء، يشاهد وجهها المنكمش على أثر الشعور بالألم.

– إنكِ مجرد عجوز بالية لا تصلحي لأي متعة، لو كان بإمكاننا اغتصابك لما تركناكِ لحظة واحدة.

العجوز تتألم بشدة والزوجة تتابعهم وعيناها تتسعان ذهولاً على أثر ما تتوقعه من أحداث، سأل أحد الجنود القائد ساخراً.

– هل ستأمر بقتلها؟؟



نظر إليه وابتسم ابتسامة استفزازية.

– وهل ترى أنني الرب لأرحمها.

صاح الجنود على إثر كلامه، مد يده إلى أحد الجنود طالبًا السونكي الخاص به فأعطاه إياه ثم طلب من الجندي صاحب عظام الوجه البارزة أن يشد شعرها أكثر إلى الأعلى وفي الوقت نفسه يضغط بقدميه على ملابسها فيجعل جلد عنقها مشدودًا عن آخره ففعل ما أمره به، حرك نصل السلاح الأبيض الحاد في الضوء فتلاعب انعكاسه بعين العجوز قبل أن يحركه على جلد رقبتها فتنفجر الدماء بغزارة، لم يشفِ غليله سوى أن الرأس انفصلت تمامًا عن الجسد، ارتفع صِراخ الزوجة وهي توبخهم بأقذر الألفاظ بعدما تحولت ملامحها إلى ملامح شرسة لا تنذر بخير وهي تقاوم للنهوض، لاحظ ذلك الجندي الذي يحمل رأس والدة لي يونج فترجل إليها وظل يُحرك الرأس أمام عينيها وهي تصرخ بجنون وسط ضحكات الجنود القميئة التي ملأت المكان، بصقت الزوجة على وجه الجندي الذي يحمل الرأس مما دفعه لإلقائها بعيدًا ثم صفعها على وجهها صفعة قوية صَفَّرت على أثرها أذنها عقابًا لها على ما بدر منها لكنه وجد منها ردة فعل لم يتوقعه فقد استجمعت قواها وبصقت على وجهه مرة أخرى مما دفع وجهه للاحتقان وزملاءه يسخرون منه فانهال على وجهها بالصفعات القوية حتى



أفقدها قدرتها على المقاومة بالكامل في الوقت الذي عم الهدوء فيه أرجاء المكان فلا يرتفع سوى صوت بكاء وصِراخ أطفالها الخائفين، بدأت بعض الرؤوس تظهر من خلف الحوائط والأبنية القريبة من الحدث، بعضهم كانت الدماء تغلي في عروقهم وهم يتابعون الأحداث من بدايتها وكانوا على وشك الخروج للدفاع عن تلك الفتاة المسكينة التي جردوها من ملابسها لكنهم في النهاية ابتلعوا غضبهم رغمًا عنهم بناءًا على رغبة من حولهم فإذا انكشف أمرهم هلكوا جميعًا ومن بينهم أطفال ونساء، اكتفوا بالمشاهدة والتطلع من خلف الجدران وهم يعضون على الأنامل من الغيظ في الوقت الذي رأى فيه القائد أنه لا يزال هناك مزيد من المتعة مادام أطفالها أحياء.

نظر إلى الطفلين الخائفين المنكمشين على بعضهم البعض كأنهما كيان واحد، الطفل الصغير يحتضن الرضيع الذي لم يتوقف للحظة عن الصِراخ وهو يدب الأرض بأقدامه الضعيفة، يُمني النفس بأن يستدعي جبريل ليُخلصه ويُنقذه كما أنقذ إسماعيل من قبل لكن هيهات لما تمنى، الأرض لن تنشق وتبتلع هؤلاء الظالمين، ترجل جندي منهم غطت الخوذة رأسه بشكل يوحي إليك أنه منزوع الجبهة، وسوس في أذن القائد بكلمات ما جعلته يبتسم كالضبع الماكر ثم أمره

بصوتٍ جهوري أن ينفذ ذلك فهرع إليهم، نزع أخيه من فوقِه ثم رفعه بين يديه كأنه يحمل جريدة يتصفحها بين يديه، هاجت الزوجة ولفتها حالة من الانهيار والبكاء، لململت شمل طاقتها وبدأت في المقاومة مرة أخرى، حمل الجندي الرضيع وأعطاه للقائد الذي نظر إلى وجهه الصارخ وهو بين يديه، يتأمل جسده المفزوع وهو يتحرك بعشوائية كأنه يريد الخلاص، نظر إلى جنوده وإلى الأم التي تصرخ وتستغيث بربها ليُنجيه، رفع جسد الطفل إلى أعلى فهاجت الأجواء قبل أن يشرع في أرجحته ببطء في البداية، صرخت الأم وحاولت هذه المرة أن تنتفض لكن صفعها أحد الضباط الحاضرين هذا المشهد البائس، صفعها عدة صفعات على وجهها لكنها لم تعر لذلك أي اهتمام، فقط ظلت ترمق رضيعها الذي يلهو به قائد جيش العدو.

اقترب ذلك الجندي من القائد مرة أخرى ووسوس له في أذنه ثانيةً بكلماتٍ كالفحيح والجنود يتابعون في اشتياق ما ستسفر عنه الدقائق القادمة، أنهى كلماته ثم عاد إلى الخلف في الوقت الذي شرع فيه القائد بتحريك الرضيع ذهابًا وإيابًا، ظلت الأرجحة تتصاعد حتى وصلت إلى أقصى إزاحة ممكنة والجندي الذي وسوس له يقف متأهبًا بسلاحه الناري يستمع إلى صِراخ الأم الذي هدأ قليلاً ولكنه كان لا يزال موجوداً حتى أفلت القائد عند أقصى

إزاحة استطاع أن يصل إليها فارتفع الرضيع إلى أعلى نقطة رأسية وجسده يتحرك في فزع ورعب بعشوائية مُحاولاً التعبير عن رفضه لما يحدث له، الكل في حالة انتباه يشاهدون ما سيحدث، قلب الأم يتمزق وهي تصرخ صِراخًا مرعبًا وعيناها تتسع بشكلٍ كنا نحسبه أنه لا يجوز فيزيائيًا وهي في حالة ذهول من العسير أن توصف، خلت الأصوات بالكامل من حولها فأصبحت لا تسمع سوى بكاء صغيرها المختلط بأصوات أنفاسها السريعة المتتالية التي تخرج بقوة، تحرك الجندي الذي وسوس للقائد لحظة سقوط الرضيع ثم شرع في استقباله بسلاحِه الأبيض المثبت على مقدمة بندقيته ذات القاذف الطويل فاخترق «السونكي» ظهر الطفل وخرج من بطنه بعدما توغل في أحشائِه الصغيرة في مشهد مُهيب، خرج السلاح الأبيض بعدما صُبغ باللون الأحمر القاتم، لانت أطراف الرضيع وانبسطت عضلاته، أراح رأسه إلى الخلف ناظرًا إلى السماء يُشهد اللّه على ما حدث له ويسأله بأي ذنب قُتِل، اختلطت صرخات الأم الهستيرية مع ضحكات وصيحات الجنود في الوقت الذي بدأ فيه صاحب الخوذة الواسعة يلوح بسلاحِه الأبيض باستهزاء حاملاً عليه جثة الطفل متفاخرًا كأنه حصل على صيدٍ سمين، نتأت بعض رؤوس المتوارين خلف الجدران في الجهة المقابلة من الحدث، وجوههم منقبضة من فرط الهول،



تشملهم حالة من الارتباك والتوتر تُذكيها أصوات البكاء والعويل المكتوم الذي يخرج من أكثر من فمٍ ملتاع، لكنهم كانوا يؤثرون السِلم في النهاية، فقط يتابعون بعيونهم الضيقة الجندي الياباني وهو يضع الرضيع على الأرض ويدهسه بقدمِه ثم يسحب سلاحه الأبيض من أحشائه، حمل جثته بيديه قبل أن يقذفها بقدمِه كأنه يركل كرة فطارت في الهواء مبتعدة عنه.

شمل الأم حالة من الصِراخ والبكاء الهستيري وهي تُجاهد للإفلات منهم قدر المستطاع لكنها لم تستطع، اصطدمت عين جندي ياباني برؤوس المتابعين التي خرجت من خلف الجدران فصرخ في زملائِه وهو يُشير إليهم ببنانه يُخبرهم بوجودهم فوقفوا تباعًا كأنهم موتى يخرجون من قبورهم، سادت بين المتوارين حالة من الهرج وهم يشاهدون الجنود يركضون تجاههم كالصرعى، تفرقوا وأخذ كل منهم اتجاه في الفرار، منهم من يحمل أطفاله على كتفِه ومنهم من يحمل والدته ومنهم من فضل أن ينتظر ليدافع عن عائلته حتى الموت، كان من بينهم أيضًا شخص يبكي بحرقه وهو يتخيل أن ما حدث لهذا الرضيع ليس بمنأى عن أولاده حال القبض عليهم، جسده الهزيل لن يُعينه على الهروب والمراوغة لفترة طويلة، جلس وعيناه باكية يشكو بها حاله، يرمق أطفاله بهدوء

وهم يرتعشون من الخوف، نظر بطرف عينيه فوجد اليابانيين يهرولون تجاهه فنظر إلى أولاده وابتسم ابتسامة مصطنعة.

– والدكم يحتاج إلى عناق.

قالها الأب وهو يجاهد ليضحك في وجه أولاده وعيناه لا تكف عن الدموع، تبادل الطفلان النظرات المبهمة قبل أن يهموا بإلقاء أنفسهم في أحضان أبيهم الذي سرعان ما بدأ يصرخ من الحالة التي وصل إليها، دون أن يشعر أيًا منهم سحب سلاحًا أبيض يطمره في ملابسه، رمقه أحدهم فصرخ وحاول أن يبعد عنه لكن أبقاه والده تحت سيطرته ثم حرك نصل السلاح الحاد وذبحه في الوقت الذي شاهد فيه أخيه ما حدث فصرخ من هول المنظر، سحبه والده تجاهه وعيناه غارقة في الدموع، يصرخ على ما قدمت يداه، وضع يده على فمه وكتم أنفاسه، همس في أذنه والنشيج يتسلل بين كلماته غير الواضحة.

– سامحني يا بني، أقسم لك أنني لم أفعل ذلك إلا خوفًا عليكما مما ستلاقيانه مع هؤلاء الملاعين.

سحب نصل السكين المصطبغ بلون دماء أبنه الأول فسقط الثاني قتيلًا على الأرض، المشهد كان عظيمًا لدرجة أن الأب احتضن جثة أطفاله وظل



يصرخ بجنون حتى اقترب منه أحد الجنود فانقض عليه وشرع يضربه بالسلاح الأبيض وهو يصرخ فأمطره باقي الجنود برصاصهم فأسقطوه قتيلاً.

حالة من الهياج أصابت الجنود اليابانيين فصاروا يضربون المدنيين بذوائب السكاكين يغرزُونها في أجسادهم فتنفجر منها الدماء، يتعمدون حصد أرواح الرجال الذين يحاولون مقاومتهم أمّا الضعفاء والنساء والأطفال فحملوا بعضهم على المحافِ وألقوهم في منتصف الشارع ثم التفوا حولهم على شكل دائرة كبيرة، يحوطونهم من كل جانب، يفرضون عليهم الصمت التام بصحبة الرعب تحت تهديد السلاح إلى أن انتهى الجنود من القبض على كل الموجودين بعدما قتلوا منهم نسبة كبيرة، الكل يجلس في حالة صمت والجنود يحيطونهم من كل جانب، يسددون فوهات الأسلحة النارية في وجوههم ليحافظوا على الهدوء المأمورين به، رد الأمر يعني الموت الحتمي أو العذاب المهين.

أعدادهم في تزايد مستمر فالجنود اليابانيون لا يزالوا يهرعون خلفهم فيأتوا بما يستطيعون ثم يعودون بسرعة لاصطياد غيرهم، يتعالى صوت النشيج المختلط بصوت البكاء المكتوم وغير المكتوم، الأطفال والنساء في حالة ذعر والرجال لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً.



ترك الجنود زوجة لي يونج وهرعوا يلقون القبض على المدنيين المختبئين حينما انكشف أمرهم مما سمح لها بالحركة، رمقت جثة رضيعها وابنها الأكبر وهو يجلس بالقرب منها يبكي في حالة هستيريا فبدأت تزحف على بطنها بما تبقى لها من طاقة وقوة واهنة، تُجاهد متحدية حالة الخذلان التي ترافقها إلى أن وصلت إلى ابنها الذي يبكي بلا هوادة، جاهدت وجلست نصف جلسة ثم قبلت رأسه بجنون في محاولة منها لتخفف عنه لكنه أصيب بانهيار وارتمى في أحضانها وظل يبكي ويصرخ كالمجنون فبكت هي الأخرى وصرخت قبل أن ترى جثة الرضيع أمامها فانفطر قلبها وواصلت الزحف وهي تبكي بصوتٍ جهوري مسموع إلى أن وصلت إلى جثة الرضيع التي ألقوا بها بعيداً، أخذته في أحضانها وهي تصرخ من الألم الذي يخترق صدرها بلا هوادة، الألم الذي تشعر به الآن يفوق الألم المصاحب لأبشع أنواع العذاب، فما هو العذاب بجانب تلك النيران التي اشتعلت في صدرها على فقدانها لرضيعها الصغير، وقعت عين القائد عليها فكان من الطبيعي أن تتوهج في ذاته تلك الجذوة الشيطانية المدمرة فتكلم إلى أحد جنوده، يأمره أن يأتي بها إلى هنا، انطلق الجندي الذي أمره القائد بذلك، اقترب منها، دهس ظهرها بقدمِه وبقوة أعاقت أنفاسها للحظات، انحنى وأخذ جثة الرضيع وألقى بها بعيداً، سحبها من شعرها في



الوقت الذي هرع فيه ابنها الأكبر تجاهها فرفسه الجندي بقدمِه في صدرِه فأسقطه على الأرض وسط صراخ الأم العالي، تحاول أن تتخلص منه وتضربه لتنتقم منه لكن صفعة قوية كانت كافية لتُسكتها، رمق ابنها الذي يبكي ويُحرك يده على بطنه مكان الرفسة التي سددها له الجندي الذي اقترب منه وجلس القرفصاء بجوارِه وهو يصفعه على مؤخرة رأسِه، لم يدم الأمر طويلاً حتى وجد زوجة لي يونج تنقض عليه وتُسقطه أرضًا، مد يده ليلتقط سلاحه لكن اكتشف أن طول ذراعه ليس كافيًا ليلتقطه، عليه تحريك جسده وهذا ما لم تسمح به الزوجة التي أصبحت تقف على جسدِه كما تقف اللبؤة على فريستها تزأر في وجهه وأمارات الجنون تتضح عليها بقوة مما جعل الجندي يرتعد، صاح القائد في باقي الجنود فهرعوا إليها لينقذوا زميلهم من بين فكيها في الوقت الذي أنقضت عليه ونهشت لحم وجهه بأسنانها الحادة وهو يصرخ ويتحرك تحتها دون أن تفلته، انهال عليها الجنود بالضرب لكن دون جدوى فلو أطلق عليها الرصاص في هذه اللحظة لما شعرت، بدأت تهدأ تدريجيًا مع استمرار الضرب حتى أنها تركت وجنة الجندي التي نزعت لحمه بأسنانها التي اصطبغت باللون الأحمر القاتم، ابنها لا يزال في حالة ذعر وخوف وصراخ التحم مع صِراخ الجندي الذي نُزِع لحم وجهه، يصرخ كامرأة سُرقت منها حقيبتها



في سوقٍ عام، يستنجد بزملائه الذين انهالوا عليها بالضرب حتى كادت أن تفقد وعيها، طفلها يحاول الوصول إليها لكن منعه الجنود وحملوه إلى حيث لا يعلم، رفعت يدها ببطء وحاولت أن تمنعهم لكن قواها التي خارت لم تُعنها على ذلك، حملوها من تحت إبطها بغيظ شديد وذهبوا بها إلى المكان الذي يضم كل من ألقوا القبض عليهم، ألقوا بها على الأرض فبقيت على تلك الشاكلة التي سقطت عليها والدماء تسيل من أماكن متفرقة من جسدها ثم تقدم إليهم القائد بثقة زائدة وبدأ يتحدث إليهم بلهجة متعجرفة لا تخلو من الإحساس بالعظمة الشديدة، وقف على تلك الأشياء المتكومة فوق بعضها فارتفع قليلاً عن الأرض، نظر إلى علم اليابان المطاطي الملفوف على ذراعِه، اكتشف أنه مائل فعَدَّل وضعه ثم نظر إليهم وبدأ يتحدث إليهم بلغتهم التي يُجيدها بشدة.

– مرحبًا، أنا قائد في الجيش الإمبراطوري العظيم، أتمنى أن يحافظ الجميع على هدوئه وإلا انتزعنا روحه بكل سهولة، الكلمة العليا في بلدكم أصبحت لجيشنا العظيم وقياداته منذُ أن وطئت أقدامنا أرض العاصمة.

تجول بعينيه في الجميع ثم أردف على نفس الشاكلة.



- أنا أتوقع السؤال الذي يدور في عقولكم جميعًا دون توقف، لماذا لم نقتلكم؟؟ نحن لن نأتي إلى هنا فقط من أجل سفك الدماء، هناك أمور أكثر أهمية وخدمات يجب أن تؤدونها للإمبراطورية اليابانية شئتم أم أبيتم، لكن قبل أن أعرض عليكم أي شيء أريد أن أطلعكم على مسألة هامة، راحة جنودي النفسية هي أهم شيء بالنسبة لي، وهم الآن في حاجة ماسة للجنس لذلك سنقسم النساء إلى جزئين، بعضهن سيتم اغتصابهن الآن، أمّا الباقيات منهن سيذهبن إلى معسكرات المتعة لإمتاع باقي جنودنا العظماء، أمّا الرجال والأطفال فهناك معسكرات أخرى تحتاج إليهم، معسكرات سيتمنون لو كنا قتلناهم ألف مرة بدلاً عن ذلك المصير الأسود الذي ينتظرهم هناك، شكرًا على حسن استماعكم وأتمنى أن تحافظوا على هدوئكم حتى النهاية.

أنهى كلماته بابتسامة صفراء مماثلة تمامًا للون وجهه ثم نظر إلى جنوده وأمرهم بلغة حاسمة أن يفرزوا السيدات ويقسمونهن إلى قسمين ويفصلوا الرجال والأطفال أمّا كبار السن يضعوهم في جانب خاص بهم ليس رفقًا بهم بل ليتخلصوا منهم.

تحولت الساحة الواسعة إلى بؤرة حقيقية من الجنون بعدما بدأ الجنود بتنفيذ أوامر القائد،



يفرزون الأسرى ويفصلون النساء عن الأطفال وسط صرخات استغاثة وعويل، صفعات وركلات شبيهة بالقنابل لبشاعتها وقوتها تلقاها الأطفال أثناء فصلهم عن أمهاتهم، ضربات مميتة معظمها كانت تسدد إلى الرجال بكعوب الأسلحة النارية وهم يسوقونهم بعيداً عن البؤرة التي بدأوا يختارون فيها النساء، أمرهم القائد أن يبتعدوا عن المراهقات العذارى لأنهن سيكن من نصيب الجنرالات والقادة في معسكرات المتعة، فافترشوا الأرض بما تبقى لهم من نساء أمام أزواجهن دون أن يستطيع أيّاً منهم التدخل وإلا كان مصيره كهؤلاء اللذين تلقوا رصاصاً حيّاً في رؤوسهم.

بدأت الشهوة تتسلل إلى أحد الجنود القائمين على حراسة باقي الأسرى ومنعهم من الحركة، سال لعابه، بدأ يُبلل شفته السفلى بلسانِه، يلهث كذكور الخنازير في موسم التزاوج، ارتفع منسوب التستيرون لديه حتى أنه أصبح غير قادر على الانتظار حتى يأتي دوره، أخذ يتجول بعينيه في الأسرى الذين تفوح منهم رائحة الخوف والقلق، هناك امرأة ثلاثينية تفترش الأرض بوضعٍ جعل لحم فخذها يظهر من ملابسها الممزقة على أثر الجلوس بتلك الشاكلة التي أجبرتها عليها بطنها المنتفخة التي تحمل فيها جنينها الأول بعد عدة سنوات من الزواج، تلاعب لحمها العاري بذلك



الجندي الهائج فانجذب ناحيتها كالمغناطيس، ألقى بسلاحه على الأرض وأنفصل عن زملائه المستقرين بأسلحتهم حول الأسرى، صم أذنيه على نداءهم له بالحفاظ على الوضع فلا يتركون ثغرة لهروب أحد الأسرى أو للاعتداء عليهم بغتة، في الوقت نفسه هذه الحامل تقع في المجموعة التي ستذهب لمعسكرات المتعة، لكن لم يتمكن أيًا منهم من وأد ما وصل إليه، انطلق تجاه تلك المرأة الحامل، أنهضها بعنف ثم سحبها من يدها بقوة على الأرض، سحبها بعنفٍ زائد وهي تقاومه وتصرخ مُحاولة أن تتشبث في الأرض بقدميها وتأبى السير معه، تضاعفت قوة الجندي وهو يسحبها فتصدر أقدامها أصواتًا كأنها تتحرك بزلاجة على أرضٍ خشنة، تحاول أن تملص نفسها من قبضة يده ولكن هيهات لتلك العصفورة الهروب من مخالب الصقر الجارح، كاد أن يخلع ذراعها وهو يسحبها كالنعجة لساحة الذبح صبيحة العيد، الدماء تغلي في عروق زوجها الذي يشاهد بسكون ما يحدث، قلبه ملتاع ويلفه وجوم ثقيل، يتجرع ألمًا وقهرًا وهو يستمع إلى صرخات الفزع والألم التي تطلقها زوجته علاوة على خوفِه الشديد أن يُصيب مكروه ابنه الذي ينتظره منذُ عدة سنوات، أرغمه صراخها المتتالي والمستغيث على النهوض السريع والركض تجاهها، سرعة ردة فعله غير المتوقعة جعلت جميع الجنود في حالة



تيبس فلم يطلق منهم أي طلقة تجاهه بالإضافة إلى أنه انتظر حتى أصبح الجندي في أقرب نقطة منه وهو يسحبها ليغتصبها، سحبه من ملابسه حتى استدار ناحيته وولى له وجهه، نطحه بجبهته في وجهِه فانفجرت الدماء من أنفه وراح الجندي يصرخ كامرأة منعمة تتعرض للتحرش، هاجت الأجواء وتشتت الوضع، هرع بعض الجنود إليه لمساعدته حتى أن بعضهم ترك السيدة التي بحوزته وذهب إليه عاريًا فالوقت لم يسعفه في ارتداء ملابسه، بعضهم هم يتفقد زميلهم أمَّا الباقون فانشغلوا في ضربه بقوة حتى أسقطوه على الأرض ثم انهالوا عليه بكعوب أسلحتهم حتى انفجرت الدماء من معظم جسده ورأسِه وسط صرخات زوجته وعويلها، ضربوه حتى فقد الرشد في الوقت الذي استعاد فيه الجندي الذي كان يشرع في اغتصاب زوجته عافيته، انهضه زملائه وجففوا له دماءه السائلة فهرع تجاهه وهو يتوعده بالموت بعدما ضربه الجنود فجددوا له ثقته التي كانت ضلت طريقها إليه حينما كان وحيداً في مواجهة زوج المرأة الحامل، ركله عدة ركلات بقدمِه وهو مُلقى على الأرض مسلوب الإرادة، ما حدث أمام الجميع جعلهم يقلعون عن فكرة الهروب أو المقاومة حتى لا يصبح مصيرهم مثل ذلك المسكين الذي يتجرع ألمًا تحت أقدامهم، انطلقت رصاصة من سلاح القائد فهدأ الجميع بعدما نظر



تجاهه، لا صوت سوى بكاء السيدة الحامل زوجة الرجل المسكين ثم نالت من الصفعات ما جعلها تلتزم الصمت فلا يسمعون منها سوى صوت نشيج مكتوم، شرع القائد في الترجل تجاه زوج السيدة وحشرجة الحصى تبدو واضحة تحت حذاءه العسكري، تطلع إلى وجه الجندي الغارق في الدماء ثم انتقل بعينيه الضيقة بين المرأة الحامل وزوجها الذي يفترش الأرض والدماء تسرح على وجهه فتكسوه، أمر جنوده أن ينهضوه ففعلوا ما أُمِرُو به في الوقت الذي نفرت فيه عروق وجهه غضبًا، رمقه بثبات، يشاهد الدماء السارحة على وجهِه وعيناه الناعسة تُجسد كل ما حصده من ألم.

– هل أبدو إليك شخص فاشل؟؟

سأله القائد فلم يجب عليه، ضربه على مؤخرة رأسه بقوة ثم أعاد السؤال مرة أخرى فكانت الإجابة نفسها لا شيء على الإطلاق، هو لا يملك قوة تُعينه حتى على الرد، مما دفع القائد ليبتسم.

– سأجيب أنا عنك، نعم أنا شخص فاشل لأن بحوزتي جنديان مصابان من دون الدخول في معركة، يبدو أنني أخطأت حينما تركت تلك المرأة التي أكلت وجه الجندي منذُ قليل، مما دفع جرذ آخر ليتجرأ وينطح جندي من جنودي في وجهه، فأصبح لدي في جعبتي مصابين دون عِراك، لكن سيكون



هناك عقاب رادع من الآن، لن يمر ما حدث مرور الكرام، الاعتداء على جندي واحد بمثابة الاعتداء على الإمبراطورية بأكملها، هكذا أخبرنا قادتنا قبل بدء الحرب.

أنهى القائد كلامه ثم نظر إلى جنوده وأخبرهم شيئًا ما بلغته اليابانية فهرع ثلاثة منهم تجاه المرأة الحامل وسط نظرات زوجها الناعسة وهو لا يُدرك ما سيحدث لها، فقط بدأ ينادي عليها بصوتٍ ضعيف وهو يستمع إلى صراخها وهم يفترشون الأرض بجسدها، اثنان منهما شدوا يديها إلى خلف ظهرها وأحكموها بحيث تصبح غير قادرة على تحريكهما أمّا الثالث فقد تولى أمر قدميها، تقدم القائد ببطء حتى وصل إلى أحد الجنود الواقفين بالقرب من الحدث، مدّ يده وسحب سيف ساموراي حاد كان بحوزته، أعطاه للجندي الذي نطحه زوج المرأة الحامل سلفًا ثم أخبره بلغتهم بعض الكلمات التي جعلته يبتسم بوحشية، حمل السيف وبدأ يتقدم ناحيتها والخوف يتصاعد بغزارة من كيانها الضعيف، تصرخ وتحاول التخلص من الجنود اللذين يحكمون حركتها بشكلٍ جعلها ثابتة كالصخرة، بدأ الإرسال يعود إلى زوجها الذي يشاهد بعينيه الشبه ناعسة ما يحدث، بدأ يصرخ بكل ما يملك من قوة، يهز جسده قدر المستطاع مُحاولاً التخلص من الجنود اللذين يقيدون حركته



بالكامل، يتوسل إلى القائد الذي امتلأ غرورًا وشرع في الضحك والاستهزاء وهو يستمع إلى استعطاف الزوج وتضرعه لكن دون جدوى، اقترب الجندي من المرأة الحامل ووضع نصل السيف على بطنها ونظر إليه وابتسم فجن جنون الزوج وأخذ يزيد من استرحام القائد ويُخبره بأنه حلم بذلك الطفل الصغير منذُ أن تزوج منذ أكثر من خمس سنوات لكن دون جدوى، فكان مثله كمثل من يحرث في بحر، صكّ القائد أذنيه عن كل الكلام وأمر الجندي بإنجاز المهمة التي أمره بها، حاول الزوج التخلص من الجنود الذين يقيدونه لكن كانت النتيجة مماثلة لتلك النتائج التي أسفرت عنها جميع توسلاته للملازم، غرز الجندي السيف في بطن المرأة وشقها وسط صراخ كان يرج المكان رجًا، الدماء تكسوها والسيف لا يزال ينغمس وسط أحشائها ليخرج في النهاية حاملاً كتلة لحم تشبه جنين لم يكتمل تكوينه، خرج مُعلقًا على سيفه تكسوه الدماء، الزوج يصرخ بعدما أصابته حالة من الانهيار العصبي أمّا الأم فتصرخ صراخًا مزدوجًا يجمع بين الألم الجسدي والنفسي خاصةً حينما شاهدته وهو يخرج من بطنها وهو لا يزال يتشبث بها عن طريق الحبل السري الذي لم ينقطع، ألقاه الجندي على الأرض فبدا وكأنه قطعة لحم سقطت من جسد شخصٍ ما في حادث عارض، دموع الأب تنهال على وجنتيه بغزارة وهو يصرخ صراخًا هستيريًا فصله

تماماً عن العالم، تركه الجنود بعدما أمرهم القائد بذلك فركض مسرعاً وألقى بنفسه على الجنين غير المكتمل، يمسكه بيديه وهو يصرخ كالمجنون يأبى عقله تصديق ذلك، نظر إلى زوجته ثم إلى القائد جامد القسمات، تبادلا النظرات قبل أن يُسدد تجاهه فوهة سلاحه الناري ثم تنطلق منه قذيفة تستقر في رأس الزوج فيسقط على الأرض جثة هامدة، نظر القائد إلى جنوده وأمرهم أن يتركوا المرأة التي بقروا بطنها هكذا حتى تموت ببطء وهدوء وسط ألمها الذي لا يوصف، اقترب القائد من زوجة لي يونج الملقاة على الأرض مسلوبة القوة، جلس القرفصاء بجوارها، تبادل معها النظرات وهو يبتسم بخبث شديد.

– من حسن حظكِ أنكِ نجوتِ بفعلتك، لكني لن أترك الأمر يمر هكذا، سوف أرسلك لمعسكر من معسكرات المتعة نطلق عليه فيما بيننا معسكر الجحيم.

* * *

فصل الجنود بأمر من القائد النساء عن الأطفال وعن الرجال، قيدوا أطرافهن بالأشرطة البلاستيكية وجعلوها مُحكمة ومشدودة بحيث تسبب الألم وتترك الآثار والعلامات على الرسغين، أمر جنوده بصفهم بجوار سور باق بحيث يجثين على ركبهن



ووجوههن مولّاة للحائط كأسرى الحرب، كانت من بينهن زوجة لي يونج وهي لا تزال تحت تأثير الصدمة النفسية والبدنية لما حدث لها، أمَّا الرجال والأطفال فجمعوهم وقيدوهم على نفس الشاكلة وبدأوا يضعوهم في عربات وشاحنات كبيرة، يضرب أحد الجنود على ظهر الشاحنة التي امتلأت عن آخرها بالأطفال الصرعى، فيرمق السائق عبر مرآة السيارة الجانبية زميله يُشير له بالتحرك، يدير الشاحنة وينطلق بها حاملاً الأطفال إلى حيث لا يعلمون، استرقت الزوجة نظرة سريعة إلى الشاحنة بنصف وعي فرمقت جندي غاشم يصفع ابنها بقوة على وجهه فسقط على الأرض وسط صراخ باقي الأطفال.

سكون تام أصبح يغلف المكان الذي يملؤه الخوف المميت بعدما ابتعد الأطفال عن الساحة، يتحرك القائد خلف النساء ذهابًا وإيابًا كالنمر في القفص، يتجول بعينيه في النساء اللاتي يبكين على ما حل بهن وبأطفالهن.

– أرى أن الفضول يأكل منكن بشراهة وأنتن تفكرن في مصير أزواجكن وأطفالكن الذين ذهبوا منذُ قليل في شاحناتنا أليس كذلك؟؟

لم يُجبن على سؤاله فأردف.

– أنهم بخير، لكن أتمنى أن يدوم هذا الخير إلى وقتٍ طويل، هم في طريقهم الآن إلى أحد معسكراتنا في مدينة هاربين.

ازداد بكاء بعض النساء على أثر تلك الجملة الموجعة، اقتحم حديثهم جندي يُخبر القائد بأنهم انتهوا من تجميع العجائز وكبار السن.

– هذا شيء عظيم، نحن على موعد جديد من المتعة.

ابتسم الجندي مجاملاً حينما أنهى القائد كلامه فأمره بأن يبقى هنا مع زملائه في حراسة النساء أمَّا هو فسيذهب ليتخلص من هؤلاء العجائز عديمي الفائدة.

* * *

لم يفلح الظهر المحني والعظام البالية في الشفاعة لأصحابها، لم يستطع الجلد المشقق والشعر المشتعل شيبًا أن ينتزع الرحمة من قلب القائد الياباني وجنوده تجاههم، يتحرك العجائز ببطء شديد يبدو كبطء الجنائز، أيديهم مصفدة خلف ظهورهم، يسيرون بانتظام شديد دون توقف، إذا سقط أحدهم أو أصابه إعياء يُكَسرون عظامه بكعوب أسلحتهم النارية دون رحمة ثم

يتركونه غارقًا في آلامه العاتية وينصرفون ويتركونه في عذاب مهين بصحبة عظامه المهشمة فيصطحبه ألم لا يوصف قد يستمر لأيام حتى تخرج روحه إلى بارئها , يتحرك العجائز ببطء حتى وصلوا إلى منطقة بها الكثير من التراب، هناك فتحة كبيرة مجهزة لاستيعاب العدد كاملاً، وقف الجميع ينظرون إلى الحفرة وإلى القائد الذي يقف على الجهة الأخرى من الحفرة.

– أنا أشفق عليكم جداً لأنكم تقدمتم في السن في بلدٍ ضعيف كالصين، بلدكم وجيشكم وأقاربكم لن يستطيعوا حمايتكم على الرغم من أنكم أفنيتم عمركم في خدمة وطنكم الضعيف.

العجائز ينظرون إليه بوجوه باردة تخلو من أي تعبير، أردف القائد الحاقد.

– لكن مازال أمامكم فرصة للنجاة، كل ما عليكم هو أن تنحنوا لعلم الإمبراطورية اليابانية، ومن يفعل ذلك فله مني جزاء كريم.

مد يده إلى أحد الجنود وأخذ منه العلم، بتعالٍ شديد وثقة زائدة بالنفس رفعه إلى أعلى فلم يتحرك أحد منهم، لم يركع أحد بل ابتعدوا بوجوههم بعيداً عن شطر العلم من الأساس فجاءت الصاخة وبدأ الجد في الظهور، احتقن وجه

القائد وارتفع اللحن الجنائزي وهو يصرخ في جنوده الذين بدأوا يسوقونهم إلى الحفرة الكبيرة فيتساقطون فيها واحد تلو الآخر، يتراكمون على بعضهم البعض بعشوائية شديدة خالية من أي نوع من الإنسانية، تفاقم الوضع وبدأت تتعالى أصوات الصرخات والحفرة تبتلعهم على دفعات حتى أصبحوا جميعًا بداخلها، يتحركون على بعضهم البعض كأسراب النمل المتجمعة في حيز ضيق، اقترب منهم القائد وهو يبتسم بشماتة شديدة وهو يرمق وجوههم الخائفة والمنقبضة، يشاهد أطرافهم التي ترتعش دون هوادة وجلودهم التي تفرز العرق بشكلٍ واضح على وجوههم التي شَحبت واصفر لونها، يهز رأسه مُظهرًا الانتصار الذي حققه قبل أن يأمر جنوده بصوتٍ ينزُّ احتقارًا بدفنهم أحياءً فتقاذفت حفنات الرمال على وجوههم وأجسادهم حتى غطتها بالكامل، ظل منسوب الرمال يرتفع في الحفرة حتى غطتها وابتلعت كل العجائز، وقف القائد في منتصف الردم وهو يشعر بحركة بعضهم أسفل قدميه في باطن الرمال ثم غرز العلم الياباني الذي أبوا أن ينحنوا له قبل موتهم، وتركهم وشرع في العودة إلى النساء اللاتي يقفن عند السور في انتظار وصول الشاحنات.

* * *



صوت إنذار الشاحنة يدوي وهي تعود ببطء إلى الخلف حيث النساء المقيدات بسلاسل حديدية من أيديهن وأرجلهن، لا تزال زوجة لي يونج التي فقدت عائلتها بالكامل في ساعات قليلة تحت تأثير الصدمات النفسية والجسدية، لا تفعل شيئًا سوى البكاء بلا هوادة كلما تذكرت ما حدث لرضيعها والمصير المجهول الذي ينتظر ولدها الذي انفصل عنها ذاهبًا بصحبة الرجال والأطفال إلى الوحدة التي تحدث عنها القائد، قلبها ملتاع لا تعرف المجهول الذي ابتلع زوجها وابنتها التائهة، ترى بعينيها صورتها تتجلى بحزنٍ شديد على مرآة السيارة الجانبية الثالثة وهي تقترب منها حتى توقفت أمامهم، راح الجنود يرفسون السبايا وهم يزعقون، ينخسون ظهورهن بأسلحتهم ليصعدوا على الشاحنة، استمر الأمر المهين على تلك الشاكلة حتى امتلأت الشاحنة ولم يعد بها مكانًا لقدمٍ واحدة، بدأت تتحرك ببطء شديد وهي تتلوى على الطرق غير الممهدة، النساء يتمايلن يمينًا ويسارًا كلما اهتزت الشاحنة وهي تتابع مسيرتها في الطرق التي تناثر على جانبيها الأنقاض، النساء ينكمشن على أنفسهن والجوع والخوف ينهش أجسادهن بلا هوادة.

استمرت السيارات في السير لمسافة سبعة أيام متتالية وكانوا كل ساعات طويلة تسمح نفوسهم



القاسية بإطعام السبايا شيئًا مجهولًا لدن يُخرس جوعهن وفي الوقت ذاته يُخفضون نداء الطبيعة فلا يزعجنهم بطلب قضاء الحاجة إلا بعد وقت طويل فتتوقف الشاحنات وتتحرك السبايا بعد قعود يكون قد استطال لقضاء الحاجة بسرعة فائقة قبل أن يعدن إلى أماكنهن بالصرخات واللسعات لتستكمل الشاحنات الرحلة إلى حيث لا يعلمن.

ظلت الشاحنات تسير بهم لمدة تزيد عن ساعتين داخل المدينة حتى ظهر من بعيد معسكر كئيب بجدران حجرية باهتة وبوابة سوداء كبيرة تتحدى الحرية والإنسانية والإرادة، لا تعلم الزوجة لماذا انقبض قلبها حينما رأت هذا المعسكر للمرة الأولى، وجدت شفتيها تتحرك تلقائيًا بالدعاء وتدعو اللّه بالنجاة من هذا الهلاك الذي تشعر به، ارتفعت ضحكات ذلك الجندي الذي كان يرشق الكلمات الساخرة سلفًا قبل أن يبدأ بالتلاعب بأعصاب الفتيات والسيدات.

– إذا سقطت علينا قذيفة بالخطأ وهلكنا جميعًا فسيكون حظكم جيد جداً، الهلاك هو السبيل الوحيد للنجاة مما ستشاهدن بعد قليل فخلف باب هذا المعسكر ينتظركن عذاب مُهين.



أنهى كلماته ثم ضحك ملء شدقيه فأطلقت كل منهن العنان لخيالها تُحاول أن تتوقع أسوأ الأشياء التي قد تحدث داخل ذلك المعسكر، على عكس الزوجة التي بدأت تُصلي وتدعو اللّه أكثر ليكون عونًا لها، شفتاها تهمهمان بدعاءٍ حار لم يتوقف.

وصلوا إلى المعسكر وهناك جاء مكانها في زنزانة صغيرة بصحبة الفتاة الكورية التي قصت عليها قصتها واستمرت الساعات إلى أن جاء لها الجندي الياباني وعرض عليها المساعدة من خلف القضبان ثم اختفى وهي لا تدري أي مساعدة كان يقصدها هذا الجندي، فجلست في الزنزانة تتقلب على سنابك الأفكار وهي تستمع إلى غناء زميلتها الكورية التي تُعاني من صدمة عصبية شديدة.

– ٨ –

لي يونج فاقد الوعي تماماً، تحول إلى جثة هامدة بجوار الضابط الصيني، يعلو صدره ويهبط وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة، الجنود اليابانيون يقتربون منهما وبحوزتهم الجندي الأسير المُصاب بطلق ناري في كتفِه، الضابط الصيني في حالة تشتت لا يدري ماذا يفعل، هل يهم لإنقاذ الجندي الأسير أم يحاول إفاقة لي يونج قبل أن يصلوا إليهم، نظر بعينيه تجاه الجندي الأسير فوجد أن عدد جنود العدو الذين يحيطون به يزيدون عن خمسة جنود مدججين بالسلاح علاوة على أن أحدهم بحوزته كلب شرس يحاول الهجوم على الأسير لولا تحكم صاحبه فيه، أكتشف الضابط الصيني أن الموقف في غاية الصعوبة خاصةً أنه لا يمتلك سلاح ليدافع به عنه، نظر إلى لي يونج وحاول أن يرد إليه وعيه فضربه على وجهه بقوة عدة مرات لكن دون استجابة، بدأ يرتاب في أمرِه وشعر أنه فارق الحياة فوضع أذنه على صدرِه والأذن الأخرى تلتقط وقع أقدام جنود العدو وهم يتحركون تجاههما، قلبه لا يزال ينبض باستحياء شديد فأدرك أنه فاقد للوعي لكنه لا يزال حيًا، التقطت أذنه الأخرى سؤال يوجهه أحد جنود العدو إلى الأسير.

– أين باقي رفقائك أيها الحقير؟؟



سأله بلغته فلم ينل منه أي إجابة أو ردة فعل تُذكر فاستشاط غضبًا وتطوع بضربه على مؤخرة رأسه بقوة كادت أن تسقطه على وجهِه.

– سألتك أين باقي زملائك أيها الحقير، هل أصبت بالصمم؟؟!!

أجابه بصوتٍ خافت ينُمُ عن تلك الحالة التي قد وصل إليها من إعياء وإرهاق.

– لا أعلم.

– لا تحاول خداعنا.

صمت الأسير وطأطأ رأسه مما أثار استفزاز أحدهم فشرع يخلع سلاحه الأبيض المُثبت على مقدمة بندقيته وسددها إلى وجه الأسير بعدما دفعه ناحية حائط فاصطدم ظهره بقوة جعلت ملامح وجهه تنقبض دلالة على شدة الألم الذي شعر به، نظر في عينيه وابتسم له تلك الابتسامة الاستفزازية قبل أن يشرع في شج رأسه من أعلى بالسلاح الأبيض فبرز اللون الأحمر بين الشعر القاتم وسط صراخٍ عالٍ دفع الضابط الصيني إلى أن يمد بصره من جانب الجدار الذي يتوارى خلفه فشاهد ما يحدث مع الجندي الأسير الذي أجابهم بكلماتٍ تخرج وسط صراخه العالي.



– أنا لا أكذب، أنا أضعتهم جميعاً، تركوني فصرت وحيداً، لا أعلم أين ذهبوا.

ضحك جنود العدو حينما ترجم لهم زميلهم ما قاله الأسير قبل أن يُخرج تلك السلسة التي كان يرتديها ونزعوها منه بالقوة، لوح بها أمام عينيه وهو يبتسم باستفزاز شديد قبل أن يُجيبه.

– تركوك كما تركوا المدينة تسقط في أيدينا، أنتم مجموعة من الحمقى ولا ثقل لكم.

الضابط الصيني يتابعهم من خلف الجدار وهو يفكر كثيراً في طريقة لينقذ بها الجندي الأسير، لكن لا يزال عددهم الكبير وذخائرهم تحول بينه وبين ذلك، استأنف الجنود حديثهم حول هذا الأسير الذي لا يزال يتألم على أثر جرح رأسه.

– هذا الغبي لا فائدة منه، لن يُخبرنا بشيء.

قالها جندي آخر قبل أن يُجيبه الجندي الذي يتحدث إلى الأسير من البداية.

– سيصدع للأمر إذا أذقناه بعضاً من العلقم الذي نجيد طهيه.

تبادلوا النظرات بينهم قبل أن يشرع الجندي في خلع الرباط الذي يربط به الأسير كتفه المصاب فدفعه ناطحاً إياه برأسه بمجرد أن اقترب منه لأن يده مقيدة خلف ظهره مما دفع الجندي للابتسامة بسخرية شديدة في وجهه قبل أن يطلب من زملائه تثبيته فصدعوا جميعاً للأمر وقيدوه وجعلوه تحت سيطرتهم دون حراك، سدد له ابتسامة مستفزة قبل أن يشرع في خلع الرباط ببطء شديد حتى ظهر الجرح أمامه فنظر فيه بإمعان شديد.

– إنها رصاصة، وتم كي الجرح لكنه لم يلتئم بعد وهذا شيء عظيم، هل ستخبرنا بمكان أصحابك أم نعبث بهذا الجرح قليلاً.

– أخبرتكم أنني لا أعلم مكانهم فقد تفرقنا.

زفر الجندي في ملل.

– عناد شديد سوف يكلفك الكثير.

– أخبرتك بكل ما أعرف.

– لكنه لم يفي بالغرض.

أنهى جملته ثم بدأ بغرز نصل السكين الحاد في جرح كتفه مما دفعه للصراخ والحركة بشكلٍ

هستيري ولكن باقي الجنود استطاعوا أن يحافظوا على ثباته الشديد وزميلهم ينخر الجرح بنصل السلاح الأبيض الحاد، الضابط الصيني يتابعهم من مرقدِه وقد سالت الدموع من عينيه وهو يفكر ماذا يفعل من أجل هذا الجندي المسكين الذي يعاني من بطشٍ يابانيٍ غاشم، صراخه الذي يرج المكان يثير القشعريرة في قلبِه ويزيد من دموعِه التي تجسد الحالة المزرية التي وصل إليها.

ابتعد ببصره عما يحدث وأسند ظهره إلى الجدار وهو لا يزال يبكي بحرقة شديدة، الدماء تغلي في عروقِه وتنقبض يده على ما يحدث كرهًا لكن في النهاية اكتشف أنه لا يملك له أي شيء، صراخ الجندي مستمر ويتصاعد بشكل كبير وبلا هوادة والجندي الياباني يجِد في إيذائه يشكلٍ مرعب، الصراخ يتعالى حتى بعد أن سحب الجندي الياباني السكين من داخل الجرح الذي أخرج كمية دماء كبيرة، خارت قوة الأسير وسقط على ركبتيه مع تصاعد الإعياء والشعور بالتعب واستنزاف القوة.

– من الواضح أن هذا الحقير لن يتكلم أو ربما لا يعرف شيئًا بالفعل.

قالها أحد الجنود فأجابه ذلك الجندي الذي يشرف على تعذيبه.



– وماذا علينا أن نفعل؟؟

– نتخلص منه.

– لماذا!! نحن بحاجة إلى الأسرى كما تعلم.

– هذا مُصاب لن يفيدنا بشيء، علاوة على أنه سيعيق بحثنا عن باقي أصدقاءه.

– لا بأس، سنذبحه ثم نُهين جثته بشكلٍ يتناسب مع حجمها الضئيل.

ابتسم الجندي ثم أومأ برأسِه قبل أن يطلب من ذلك الذي شج رأسه بأن يذبحه فهرع إليه، وقف خلف ظهره ثم سحبه بقوة من شعرِه إلى الخلف وهو يجثو على ركبتيه في استسلام شديد، سحب رأسه إلى الخلف قدر المستطاع حتى بات جلد رقبته مشدوداً عن آخره، وضع نصل السكين على رقبتِه قبل أن يزعق بصوتِه العالي الجهوري «يحيا الإمبراطور العظيم» وسط صوت الأسير وهو يرتفع بصوتٍ خافت «لا تردد أمام الواجب، تحيا الصين» سحب نصل السلاح الأبيض فانفجرت الدماء من حلق المُصاب وسط نظرات الضابط التي لم يكف عن البكاء وانسياب الدموع بشكل هستيري، ترك الأسير فسقط على وجهِه والدماء تخرج منه بسيولة عالية فتصبغ الرمال التي يرتمي عليها



وسط ضحكات الجنود العالية، لم يكتفوا بهذا بل بدأوا يركلون جثته بأقدامهم بلا رحمة، طلب الجندي من زملائه أن يقَطِّعوا أجزاء من لحمه ويطعموها للكلب الذي بحوزتهم والذي لم يتوقف عن النباح، شرع الجندي الذي ذبحه بقطع أجزاء من لحمه وألقاها للكلب فشرع في التهامها وسط نظرات الضابط الصيني الذي يملؤها الانتقام الشديد.

لملم شتات نفسِه وأعصابه قدر المستطاع ثم زحف ببطء حتى أدرك جسد لي يونج الذي لا يزال فاقداً للوعي، وضع يده عليه فشعر ببرودة جسده ولونه الأصفر الباهت، وضع أذنه على صدرِه فاستمع إلى نبضات قلبه الواهنة وهي تخبره أنه لا يزال حيًا، قطرات العرق تغزو وجهه بغزارة رغم برودة الجو فأدرك الضابط أنه يعاني من نقص شديد في مستوى السكر ناتج عن عدم تناوله للطعام منذُ أيام، جسده في حالة صدمة شديدة نتيجة ما يمر به من سوء تغذية، حاول الضابط إفاقته للمرة الأخيرة فلم يستطع، جسده يحتاج إلى سكر ليمنحه وعيه الذي سُلب منه، رمق الضابط جنود العدو من خلف الجدار فوجدهم لا يزالون يقطعون من زميله ويطعمون كلبهم المسعور، تسارعت أنفاسه وهو يتوعد له بالانتقام من كل هؤلاء في أقرب فرصة تتيح له ذلك، لي يونج بدأ يسترد جزء



من وعيه فارتفع صوته قليلاً بأسماء زوجته وأطفاله، ارتبك الضابط وشعر أنه بذلك الصوت سيكتشفون موقعهم، حاول الضابط تهدئة لي يونج ومنع صوته من الخروج لكنه فشل في ذلك مما جعل صوته يتسلل إلى أذن أحد الجنود، الذي لا يشغل باله بتقطيع الأسير لإطعام الكلب، كتم الضابط فم لي يونج لكن قد قدح الزناد وتسلل الصوت إلى أذن الجندي الذي طالب رفقاءه بالسكون، أخبرهم أنه سمع صوتًا يأتي من قريب فاقترح أحدهم أنه يعود إلى الجنود الذين فروا منهم، أخذوا أسلحتهم وتأهبوا في وضع الاستعداد وبدأوا الزحف تجاههما، بدأ الوضع يفلت من الضابط فلم يعد يستطع السيطرة عليه وعلى صوته الذي يتسلل إلى آذانهم فيجذبهم تجاههما، اضطر إلى لكمه بالقوة فسلب منه ما تبقى من وعي، حمله على كتفيه وبدأ يتحرك به ببطء شديد في وضع القرفصاء حتى لا يصدر صوتًا فيجذب أيًا منهم، يتحرك وهو يحمله على كتفه بهدوء، يحاول أن يجد طريقة للهروب، يسلك الطرق الجانبية والشوارع مُحاولاً الهرب منهم، ظل يسلك الطرق حتى وصل إلى مفترق طريق يفصل بينه وبين ساحة كبيرة يحوطها بعض المباني فتجعل الرؤية بداخلها صعبة، ظل الضابط يدرس الأمر بعينه حتى اكتشف أنه مكان مناسب ليختبئ فيه حتى تهدأ الأمور، لكن يحول بينه وبين الساحة جنديان



من جيش العدو يوليا ظهراهما له، ظل يرمقهما وأنفاسه تتصاعد ولي يونج على كتفه يغط في النوم، يخشى أن يستيقظ أو تُصبه نوبة من نوبات الفزع التي تشمله فجأة فيلفت انتباههم، ظل يفكر كثيراً حتى اكتشف أنه لا مجال لشيء سوى أن يمر من خلفهما بدون أن يصنع ضجيجاً عابراً إلى تلك الساحة، أغمض عينه وتنفس بعمق ثم بدأ يتحرك ببطء شديد وهو يتحسس خطواته.

يتقدم في العبور شيئاً فشيء حتى وصل إلى خلفهم مباشرةً فأصبح يبتعد عن أقدامهم مسافة صغيرة جداً، أي حركة عشوائية غير مدروسة بعناية ستكلفه الكثير، يتحرك ببطء شديد جداً ولي يونج على كتفِه، لسوء حظه الشديد سقطت قداحة أحدهما فشعر بها، فتش في جيوبه ثم انحنى ليدرك ما سقط منه، تيبس الضابط في مكانه وهو يحمل لي يونج على تلك الوضعية التي ستصرخ بسببها عضلات قدمه التي لن تتحمل هذا الوزن، يُمني النفس ألا ينظر خلفه حتى لا يراهما، انحنى الجندي وظل يبحث بجوار قدمه ولو رفع عينه لانتهى كل شيء، ضربات قلب الضابط تتسارع حتى وجد الجندي ضالته ولم ترتفع عيناه إلى أعلى، تنفس الضابط الصعداء واستكمل طريقه إلى أن وصل إلى الساحة فأنزل لي يونج وبدأ يلتقط أنفاسه لكن اصطدمت عيناه



بمشهد لم يتوقعه، فقد وجد عدد كبير من جثث المدنيين ملقاة بداخل تلك الساحة حتى أنها غطت أرضها بالكامل، عشرات من جثث الأطفال والنساء والرجال غير مقيدي الأطراف، لقوا حتفهم بصورةٍ بشعة لا رحمة فيها ولا شفقة، اتسعت عينا الضابط عن أخرها وهو يتجول بها في وجوه تلك الجثث التي ذاقت من الألم والعذاب ما جعل ملامحها تتشكل على هذه الأوضاع التي يتجسد فيها الفزع، أجسادهم تتلاحم بشكلٍ غير منتظم ينُمُ على أن القتل بالرصاص كان عشوائيًا وهمجيًا بحدٍ كبير، ما جعل قلبه يعتصر أنه شاهد جثة لأم تحتضن أطفالها في محاولة بائسة منها للدفاع عنهم حتى لا يصل إليهم الرصاص فانتُزعت أرواحهم جميعًا بعدما اخترق الرصاص أجسادهم جميعًا ولا يزالون يتلاحمون بهذا الشكل المأساوي، يتفقد الجثث بيده فوجدها متصلبة بالقدر الذي جعله يتأكد بأن هذه المجزرة قد مرت عليها ساعات، برودة الجو ساعدت الدماء التي سالت منهم على التجمد بشكلٍ سريع، بدأت الدموع تنساب من عينيه وهو يتجول بها في الجثث التي تملأ المكان حوله، تجمد الزمن في ذهنه حينما اصطدمت عيناه الدامعة بجندي من جنود العدو ظهر أمامه من العدم على حين غفلة فلم يشعر به ولم تلتقط أذنه وقع أقدامه، فقط وجده أمامه مباشرةً وجهًا لوجه، لا مجال للهروب ولا مجال



للحيل التي يلجأ إليها دائمًا فالوضع هذه المرة مختلف تمامًا فدفعهما إلى التيبس وتبادلا النظرات لثوانٍ معدودة قبل أن يشعر الضابط أن هذا الجندي يتأهب للصراخ ليستدعي زملاءه فلم يعط له المجال، بسرعة البرق انقض عليه وأسقطه أرضًا قبل أن يضع يده على فمِه ليحد من أي صوت أو نداء ينوي إخراجِه، اشتد العِراك بينهما والضابط حريص كل الحرص على ألا تبتعد يده عن فمه، الجندي يقاوم قدر المستطاع لكن وضع الضابط على جسده مكنه من التحكم في الأمر، شل حركته تمامًا وحد من فرط مقاومته حتى أن أوردة يده برزت بشكلٍ مرعب وهو يكتم أنفاسه، يد الجندي تحاول أن تدفعه بعيداً عنه، يُزيح رأسه بيده فوجه بصره من دون قصد إلى السلاح الأبيض الموجود على مقدمة البندقية الملقاة بجواره، الضابط عليه أن يُحرك يده ليلتقطها مما دفعه ليلقي بجسدِه عليه ليُعطي المجال ليدِه لتلتقط السلاح بهدوء، نزعه من مكانِه ثم غرزه بقوة في رقبتِه ويده الأخرى لا تزال على فمه حتى لا يصدر منه صوتٌ، ظل يرشقها بغلٍ وهو يستدعى في ذاكرته كل الأحداث المؤسفة التي وجدها منهم منذُ أَن وطئت أقدامهم داخل البلاد، استمر على هذا الوضع حتى همد الجندي تمامًا وفارق الحياة، رفع يده ببطء من على فمه وهو يتابعه بحرصٍ



شديد، لم ينتزع السكين من رقبتِه وتركها مرشوقة كما هي بعدما فارق الحياة.

رجع خطوتين إلى الخلف، أراح مؤخرته على الأرض وعقله يحاول استيعاب سرعة إيقاع الأحداث التي يمر بها، نظر حوله يتفقد الجثث والقتلى فاصطدمت برأسِه فكرة، لن يستطيع الاستمرار في الهروب وهو يرتدي زيه العسكري، فبدأ يبحث في الجثث التي حوله عن شخص يقارب جسده فيأخذ ملابسه، ظل يبحث حتى وجد ضالته لكن لسوء حظه وجد الزى تكسوه الدماء بالكامل، عليه إيجاد غيره فعاود البحث من جديد، يقلب بين الجثث حتى وقعت عيناه على جثة مناسبة، صاحبها يمتلك جسداً قريب منه ومناسب في الطول، يرتدي ملابس بها بقع دماء لكنها ليست كتلك التي تسبقها، بدأ الضابط ينزع ملابس الجثة بهدوء ثم شرع في نزع ملابسه وألقى بها بعيداً قبل أن يرتدي الملابس البديلة.

عليه أن يذهب إلى لي يونج ليأخذه بعيداً ويحاول أن يرد إليه وعيه المسلوب منه، بهدوء بدأ يعود من أجله لكن ما لبث أن وصل إليه حتى اكتشف أن هناك ثلاثة جنود يقتربون من الساحة التي هو فيها، هو يُدرك جيداً أنه لن يستطيع أن يقتل الثلاثة دون أن يصدر من أحدهم صوت يتنبه إليه أحد، بسرعة بدأ يسحب لي يونج إلى منتصف



الساحة ثم ألقاه على الأرض، وضع يده في دماء الجندي الذي قتله منذُ دقائق ثم لطخ بها وجهه وجزءً من ملابسه بعدما مزق جزءً منها ليبدو وكأنه جرح غائر، وضعه على الأرض ثم ألقى عليه عدد من الجثث كأنه يدفنه وسطهم فلم يظهر منه سوى وجهه ليلتقط أنفاسه، انبطح هو الآخر على الأرض على مسافة قريبة منه ثم ألقى على نفسِه جثة شخص كان بجوارِه وهو يُمني النفس بألا ينكشف أمره.

دقيقة واحدة مرت عليه ثم بدأت أذنه تلتقط وقع أقدامهم وتحركاتهم داخل الساحة، ينقبون في الجثث عن أي شيء ثمين فيأخذوه.

– كنت أتمنى أن يكون من بينهم شخصًا حيًا فنلهوا معه حتى نجعله يندم على بقائه حيًا.

قالها أحد الجنود فضحك زملائه قبل أن تسقط عين أحدهم على زميلهم فتبدلت ملامحه واحتدت قبل أن يهرع إليه وسط نظرات زملائه اللذين لا يعلمون شيئًا عما رأى، هرع إليه، جثا على ركبتيه، يشاهد بعينيه الضيقة السلاح الأبيض المرشوق في رقبتِه، تبادل النظرات مع زملائه قبل أن ترتفع صافرات النداء ليستدعوا كافة الجنود القريبين منهم، الضابط يستمع إلى آليات الاستغاثة وهو يبتعد عن أقدامهم خطوات معدودة، يتنفس



بهدوء ويمّني النفس بألا يسترد لي يونج نصف وعيه كما حدث سلفاً حتى لا يُفسد الأمر وينكشف أمرهما.

هاجت الأجواء وتفاقمت بإيقاع سريع جداً، حالة من الاستنفار صارت بين الجنود الذين يدبون الأرض بأقدامهم متجمعين حول جثة زميلهم الذي قتل بتلك الطريقة البشعة من وجهِة نظرهم، تعالت النجوى بينهم حتى وصل رتبة عالية في الجيش على أثر النداءات كان بالقرب من حالة الهرج والفوضى، دخل إلى الساحة والجميع يفسح له الطريق، لا يتحاشى جثث الأطفال والنساء المٌلقاة على الأرض بل تعمد دهسها بقدمِه حتى وصل إلى جثة الجندي المقتول، سدد إليه نظرة طويلة ثم احتقن وجهه على أثرها ثم نظر شزراً إلى باقي الجنود المنتشرين حوله قبل أن يجلس القرفصاء بجوارِه، وضع يده على جسدِه ووجهه لا يزال محتفظ بحالة الاحتقان التي يشعر بها، عاود النظر إلى الجنود وهو يتحدث إليهم بلهجة جامدة.

– جسده دافئ، هذا معناه أن الفاعل لم يملك الوقت ليبتعد عن هنا.

تبادلوا جميعاً النظرات ثم أردف القائد وجسده ينتصب تدريجياً.



– قبل بدء الحرب تلقينا تعليمات حاسمة من وزير الدفاع يخبرنا فيها بأن الاعتداء على جندي واحد يعد اعتداء على الجيش الإمبراطوري بأكمله، ومن اعتدى على الجيش بأكمله قريب من هنا أو ربما يختبئ وسط كومة الجثث هذه، عليكم البحث عنه في كل شبر.

صاح الجنود قبل أن ينتشروا في كل مكان حولهم، يبحثون عنه وسط الجثث والقتلى، يضربون النار بعشوائية في كومة الجثث ويغرزون أسلحتهم البيضاء المثبتة على مقدمة بنادقهم في الجثث بعشوائية أيضًا، بعضهم يملك الكلاب المفترسة الضارية ليسهل عليهم عملية البحث والتنقيب، انتشروا في كل مكان داخل الساحة، يخطون بأحذيتهم العسكرية من فوق الضابط الصيني الذي يحافظ على ثباتِه وهدوئه قدر المستطاع، يحاول أن يلتقط أنفاسه دون أن يعلو صدره أو يهبط، يجمد جسده وأطرافه حتى لا يتحرك أيٍ منهم حركة عشوائية لو دهسه أحدهم دون قصد، صاح أحد الجنود فجأة فجذب الأنظار تجاهه وهو يرفع ملابس الضابط الصيني العسكرية ويخبرهم أنه وجدها هنا فهاجت الأجواء وأتوا بها إلى القائد ليتفقدها، أخذها منهم وبدأ يقلبها بين يديه.

– هذه ملابس الفاعل، استبدلها ليستطيع الفرار، أقبضوا على كل شخص حي قريب من هنا.

أنهى كلامه ثم ألقى بالملابس على الأرض فعاود الجنود البحث بطريقة أشرس هذه المرة قبل أن يرتفع صوته مرة أخرى يطلب منهم أن يُجدوا في البحث أكثر.

اقترب جندي بصحبة كلبٍ أعجم لا يختلف كثيراً عن صاحبه من كومة الجثث التي تضم في أحشاءِها لي يونج، سدد الجندي نظرة قوية بعينيه قبل أن يسمح للكلب بالالتفاف حول كومة الجثث، الضابط الصيني فتح عينيه فتحة بسيطة جداً وأرسلها من أسفل الجثة التي يختبئ تحتها إلى كومة الجثث التي تضم لي يونج فوجد الكلبَ يُشمشم بها فأخذ يُمني النفس بألا يسترد جزءً من وعيه في تلك اللحظة في الوقت نفسه حاول الحفاظ على هدوءِه حتى لا تنبعث منه رائحة الأدرينالين فتلتقطها أنف الكلب، شعر بحركة غريبة بالقرب منه فأغمض عينيه سريعًا، شعر بزمجرة كلب آخر يقترب منه حتى بدأ يشعر بأن حركته صارت قريبة جداً، تيبس الضابط كالتمثال، حاول ألا يلتقط أنفاسه بالشكل الذي يجعل جسده يتحرك، الكلب يحوم حولهم حتى بدأ يقترب فجأة من وجهِه عبر تلك الفجوة التي تصنعها الجثة فوقه، اقترب الكلب حتى بات فمه أمام وجه الضابط الصيني



مباشرةً، فقط يبتعد عنه مليمترات قليلة، يشعر بدفء أنفاسه ورائحته الكريهة، لُعابه القذر يتساقط عليه وهو ثابت تماماً كالصخرة لا يتحرك حتى أنه كتم أنفاسه في تلك اللحظات حتى لا يترك أي مجال للأمر بالظهور، لُعاب الكلب لا يزال يتساقط على وجهه حتى انتقل الكلب إلى قدمِه وبدأ يداعبها بفمِه، الضابط الصيني يحاول الحفاظ على هدوئه حتى لا يصدر منه أي حركة عشوائية حتى ولو قضمها الكلب بفمِه، استمر البحث لدقائق لكن لم يسفر عن شيء، عاد الكلب إلى صاحبه الذي بدأت الدماء تغلي في عروقِه وهو ينظر إلى الجثث ويتذكر ما حدث لزميلهم فرفع بندقيته وغرز سلاحها الأبيض المدبب من الأمام في مؤخرة رأس الجثة التي يختبئ الضابط أسفلها فاخترقتها بكل قوة، أمّا النصل فقد انتهى به الأمر بالقرب من رقبة الضابط الذي شعر به لكنه لم يُغرز بالحد الذي يجرح جلده، حافظ على هدوءِه الشديد حتى سحب الجندي النصل فاستمع الضابط إليه وهو يخرج من لحم رأس الجثة مُصدراً ذلك الصوت المعروف، بصق الجندي على الجثث في حقارة ثم انصرف بصحبة كلبه الضار، استمع الضابط إلى وقع أقدامه وإلى زمجرة الكلب وهو يبتعد عنه فتنفس الصعداء.

استمر البحث لمدة ساعة كاملة حتى بدأ الجنود ينسحبون واحد تلو الآخر من تلك الساحة بعدما



أخبرهم قائدهم بالبحث خارجها فتحركوا جميعًا، هدأت الأجواء تمامًا والضابط الصيني يخشى أن يتحرك فينكشف أمره، ما دفعه للحركة هو صوت لي يونج الذي بدأ يتسلل إلى أذنه على استحياء شديد، صوت غير مفهوم هل هو يحاول أن يتكلم أم يُنازع من ألم ما لحق به، اختلس الضابط النظر فلم يجد في الساحة أيًا من جنود العدو سوى ذلك الذي يتبول عند الحائط، أرسل الضابط نظره في كل مكان فلم يجد سواه، صوت لي يونج الضعيف لم يصل إليه حتى الآن ولكن يجب عليه أن يسرع في اتخاذ قرار سريع قبل أن ينكشف الأمر، اعتدل الضابط في جلستِه وتسلل حتى وصل إلى الجندي الذي كان على شفا الانتهاء، انقض عليه وكسر له عنقه بتلك الحركة القتالية فسقط على الأرض، بحث في ملابسه فوجد بحوزته بعض الطعام الجاف والحلوى التي ستساعد لي يونج على أن يسترد عافيته، عاد إلى لي يونج الذي بدأ صوته يعلو وهو بوعيٍ غير كامل، ينادي على زوجته وأولاده، بدأ الضابط يضع فُتات من الحلوى على فمه من الخارج فبدأ لي يونج بامتصاصه سريعًا.

استمر الوضع طويلًا حتى بدأ يهز رأسه ويفتح عينيه فحفزه الضابط وبدأ يخبط على وجهِه لتكتمل عملية الإفاقة، استمر على هذه الحالة حتى انتبه لي يونج وبدأ يُدرك ما حوله، نظر إلى الضابط



فبدأ يتذكر كل شيء دفعة واحدة، بصوتٍ ضعيف سأله.

– ماذا حدث، هل أوقع بنا اليابانيون؟؟!!

فأجابه الضابط مبتسمًا.

– وهل لو أوقعوا بنا سيطعمونك الحلوى لتفيق!!

نظر إليه طويلاً ثم هز رأسه نافيًا، مد الضابط يده إليه وأنهضه فتفاجأ بعدد الجثث المنتشرة حوله في كل مكان، شملته حالة من الذهول وهو يسأل الضابط.

– هل قتل اليابانيون كل هؤلاء؟؟

– لا، قتلهم تفككنا وضعفنا.

طأطأ لي يونج رأسه حزنًا، وضع يده على وجهه وحركها بهدوء دليلًا على الحسرة التي يشعر بها، فوجد يديه عليها آثار دماء ففزع وانتفض يدعك وجهه فتزداد يده حمرة.

– ما هذه الدماء التي تكسو وجهي؟؟!!

– إنها طوق النجاة التي لولاها لكنت الآن جثة هامدة.



– أنت من وضعها على وجهي؟؟

– نعم ونجحت خطتي، وها هي روحك كما تركتها قبل غيبوبتك.

– ماذا حدث لي؟؟

– كنت فاقداً للوعي، جسدك كان في حالة صدمة وكان بحاجة ماسة للغذاء ليستعيد طاقته.

نظر لي يونج إلى بقايا الحلوى والطعام الجاف الذي بحوزة الضابط.

– هذه الحلوى البسيطة هي سبب إفاقتي.

– نعم وأنا غير مندهش من ذلك.

– ماذا تعني؟؟

– يبدو أن جسدك كان يقاوم ليفيق، كنت تُهرف على فترات وتنادي على أشخاص أعتقد بأنهم عائلتك، عقلك لم ينم وأنت غائب عن الوعي بل كان يُحفز جسدك للإفاقة، كل ما كان يحتاج إليه هو دفعة صغيرة تمثلت في قطعة الحلوى.

– نعم، أنا كنت مع أولادي طوال فترة ابتعاد الوعي عني.



– ستجدهم قريبًا.

هز لي يونج رأسه في تفهم.

– هل كنت بجواري طوال فترة فقداني للوعي؟؟

– لست وحدي، كان بجوارك جيش كامل من جنود العدو، لو ارتد إليك وعيك في لحظة واحدة لكان كل شيء قد انتهى.

ابتسم لي يونج مجاملاً قبل أن يسأل الضابط لماذا عليه كل هذه التضحية من أجل شخص لا يعلم عنه شيئًا فأجابه الضابط بجرعة زائدة من الود.

– لا توجد لقاءات عبثية في الحياة، كل إنسان تصادفه هو إمَّا اختبار أو عقوبة أو هدية من السماء، أنا هدية من السماء أرسلها الإله إليك لأحميك، لأنه ببساطه يُحبك.

ظهر التأثر على وجه لي يونج قبل أن يُخبره أنه يتمنى أن تُتاح له فرصة لرد هذا الدين الكبير.

– لا يوجد دين بيننا، نحن أخوة.

هز لي يونج رأسه قبل أن يستأنف الضابط حديثه.

– هيا بنا علينا أن نواصل الهرب.

– أنا لا أريد الهروب، أنا أريد الذهاب إلى شارع نانجينغ، لن يتحركوا بعيداً عنه.

– تريد رؤية أطفالك.

– بالتأكيد.

– رؤية أطفالك مرهونة بالنجاة، والنجاة تكمن في الهروب، والهروب يتوقف على عدد الجنود اللذين ينتشرون في الشوارع كالجراد، وأنت تريد البحث في شارع رئيسي يمتد على أكثر من أربعة كيلو متر.

– لا يهم سأبحث في كل شبر.

زفر الضابط في ملل.

وسأله لي يونج.

– ما هي خطتك، إلى أين تريد أن تذهب؟؟

– أريد البحث عن أي تجمعات أو كتائب باقية من جيش المقاومة لأنضم إليهم.

– وماذا عن أهلك؟!



– أنا لا أنتمي إلى نانجينغ، أنا أتيت إليها من أجل الخدمة في الجيش والدفاع عنها.

– لماذا لا تنضم إلى رحلتي؟؟

– لا أفهم ماذا تقصد؟

سنذهب سويًا إلى هناك، وفي خلال رحلتنا نحاول أن نجد ما تبحث عنه من كتائب أو أفراد جيش المقاومة وفي الوقت نفسه أبحث عن أسرتي.

صمت الضابط قليلاً قبل أن يستأنف لي يونج كلامه.

– أنت تريد الانتقام وأنا أريد أن أجد عائلتي.

بهذه الكلمات البسيطة أقنع لي يونج الضابط بفكرة الذهاب إلى شارع نانجينغ الذي يبتعد عنهم مسافة غير بعيدة، تابع الاثنان طريقهما في شوارع العاصمة التي تغيرت معالمها وتحولت إلى ظلالٍ قاتمة بعدما كانت شوارع نظيفة تعجُ بالحياة.

أسدل الليل عباءته السوداء عليهما فباتا يسيران في ظلمتِه بين أنقاض المنازل المدمرة، والأدخنة تتصاعد منها بغزارة شديدة فتنُمُ عن الخراب الذي وصلت إليه خاصةً تلك الأبنية التي لا تزال مشتعلة،



الصواريخ والقذائف كانت تنهال على رؤوس سكان هذه الشوارع طيلة الساعات الماضية فتسلب منها كل الاحتياجات الأساسية لبقاء السكان على قيد الحياة، فترك معظمهم المنازل وخرجوا إلى حيث لا يعلمون، أمّا من بقوا في منازلهم فمكثوا بصحبة الخوف والهلع والتوتر الشديد، يراودهم إحساس بعدم الطمأنينة، ويشعرون أنهم من الممكن أن يُقتلوا في أية لحظة، وفي بعض مناطق أخرى من المدينة تم حصار أهلها ثم استخدمت الكهرباء والمياه كوسيلة حرب فيتم قطعها عمداً، توهجت في نفس لي يونج وكذلك الضابط تلك الجذوة وهما يشاهدان الظلم يفرد ذراعيه في سماء المدينة دون ردع، أعينهم باكية ترمق بعض الجنود والمدنيين القتلى وهم مُقيدين على أعمدة وما تبقى من مباني في الشوارع التي يترجلون بداخلها، يشاهدونهم ورؤوسهم قد تدلت على صدورهم بعدما شحبت ملامحهم التي تحكي بطرق عديدة عن الطرق البشعة التي أُنتزعت بها أرواحهم، يستمعون إلى دوامات التعذيب التي كانت تعزف ألحانًا صارخة في هذه الشوارع قبل أن تتكدس بكل هؤلاء القتلى، عين الضابط الباكية وملامحه كانت تمقت كل شيء وهو في حالة بالغة من السوء، يشعر أن أجزاءً من نفسِه وجسده قد تمزقت وتحولت إلى هباء يضيع بين الدخان المتصاعد من الأبنية وهو يشاهد جنود جيشه في



هذه الحالة المزرية التي وصلوا إليها خاصةً أنه كان يعرف بعضًا منهم.

– جميع الطلقات التي أصابت المدنيين جاءت من الخلف.

قالها الضابط في أسى فنظر إليهم لي يونج دون تعقيب فأدرك أنه لم يفهم مقصده فأردف.

– هذا معناه أنهم قتلوهم وهم يفرون، أمَّا الجنود فهم أمامك مقيدين.

لي يونج يتابع المشهد ويستمع إلى الضابط دون كلام، فدفعه ليطرح عليه سؤاله.

– لماذا لا تُجيب، لماذا أنت صامت؟؟

بمجرد أن أنهى الضابط كلماته استمعا سويًا إلى صوت طلقات رصاص عشوائية تخرج من سلاح ناري آلي بشكلٍ مخيف، الصوت قريبٌ جدًا ومفاجئًا في الوقت ذاته فجعلهم يسقطون على الأرض ويتلفتون حولهم في كل مكان ليُدركوا من أين يأتي هذا الصوت الذي استمر لأكثر من دقيقة ونصف ثم هدأ تباعًا، فنظر لي يونج إلى الضابط وسأله عن ذلك الصوت فأجابه بنبرة مليئة بالحسرة



والأسى أنها بالتأكيد مجزرة جديدة يصنعها هؤلاء الملاعين بالقرب من هنا.

– لعنة اللّه عليهم، عقلي يأبى تصديق كل هذه الجرائم.

– هم الآن في حالة فرض سيطرة، يريدون بث الرعب في أرجاء المدينة، لذلك يقتلون ويغتصبون بهذه العشوائية المفرطة، على كل حال ستهدأ هذه الأفاعيل مع مرور الوقت، هذا كان حال كل المدن التي دخلوها سلفًا لكننا لن نتركهم، لن يمر الأمر مرور الكرام، سنجعلهم يدفعون ثمن هذا كله قريبًا.

هز لي يونج رأسه في تفهم.

– علينا أن نذهب إلى هناك.

– إلى أين؟؟

– إلى صوت هذا الرصاص، أريد أن أعلم بتلك المجزرة الجديدة التي اقترفوها للتو، بعد ذلك سنتابع طريقنا إلى شارع نانجينغ.

* * *



مر الوقت والاثنان يتابعان طريقهما بحذر شديد تجاه صوت الرصاص الذي سمعاه منذُ دقائق، إضاءة الشوارع تشح كلما اقتربا من مكان المجزرة حتى أصبح المكان دامساً، المنازل يعم عليها جو كئيب ومظلم وتخلو من أي شعاع ضوء، حتى المنازل التي لا تزال تحتفظ بقاطنيها، ضوء القمر الشحيح هو فقط من يُنير لهم الطرق على استحياء، حتى تعثرت قدم لي يونج الضارية في شيء ما غير معلوم يعيق حركتهما مما دفعه للانحناء ليكتشف الأمر، فكانت الصدمة شديدة بالنسبة له، إنها جثة جندي من جيش المقاومة وقد أحدثت رصاصات العدو ثقوب عديدة في جسدِه، لم يكتشف لي يونج كل هذه التفاصيل إلا حينما انحنى واقترب منه بالقدر الكافي الذي يُمكنه من الرؤية، نظر إليه الضابط فوجده يجلس القرفصاء على مسافة قريبة منه فأخبره بصوتٍ مرتفع إلى حد ما أنها جثة جندي قُتل بالرصاص فأخبره الضابط وهو لا ينظر تجاهه أن أسفل قدميه جثتين لجنديين قُتلا بنفس الطريقة فانتصب جسد لي يونج وهرع إليه يجلس القرفصاء بجوارِه فتعثرت قدماه في جثث أخرى فأذاع الخبر للضابط الذي تعرقل في جثة هو الآخر ليصبح الوضع أكثر سوءاً فكلما تقدما خطوة وجدا تحت أقدامهما جثث لجنود من جيش المقاومة.



– يبدو أن هذه هي المذبحة التي اقترفها جنود العدو.

قالها لي يونج للضابط، الذي انحنى وبدأ يضع يده على الجثث والضباب يتخلل عقله.

– نعم أجسامهم دافئة، رأيك صحيح، المجزرة كانت تصفية لعدد من الأسرى العسكريين.

طأطأ لي يونج رأسه قبل أن تأتيه كلمات الضابط كالصفعة.

– صوت الرصاص الذي سمعناه كان يعود إلى رشاش آلي يُثبت على الأرض، وأنا لا أرى أي رشاش قريب من هنا وهذا معناه أنه كان مثبتٌ على سيارة، وفي هذه الحالة يعود جنود مشاة بعد دقائق ليتأكدوا من أن الجميع قد قتل.

لم يُنه الضابط كلامه حتى التقطت آذانهم صوت لا تستطيع أن تميزه بأذنيك فقط، دفعه الضابط بيديه ليركض أمامه مع تصاعد ذلك الصوت المُخيف، يركضان وهما يقفزان كالكانجارو ليتحاشا الجثث المبعثرة على الأرض، الصوت يتعاظم وهما يواصلان الركض حتى انتهى بهم خلف سور صغير فاختبئا خلفه، جلسا القرفصاء في مُحاولة لالتقاط أنفاسهما مع تصاعد ذلك الصوت الغريب حتى



أصبح قريبًا جدًا، سأله لي يونج مستفسرًا ببعض الكلمات التي بالكاد تظهر وسط أصوات الضجيج التي بدأت تملأ المكان.

– هذا صوت مجنزرة يابانية تدعى «٨٩ أي – غو» أنا أعرفها جيدًا، صُنعت خصيصًا من أجل غزو البلدان في عام ١٩٢٨، إنها مجنزرة قوية وصلبة للغاية.

– كلامك يوحي إلي أننا لن نستطيع الهرب منها.

نظر إليه الضابط ثم أجابه.

– صوتها وحده قادر على قتلنا.

تبادلا النظرات التي يتجسد فيها الموقف كاملاً قبل أن تتوقف المجنزرات بالقرب منهم، أنوار سمجة تعود لكشافات كبيرة مثبتة على عربات لنقلها، بدأت تقتحم المكان بوقاحة شديدة ذهابًا وإيابًا في تلك المساحة التي تسمح بها الحركة لتُضيء بؤرة الضوء الذي يصنعها كل كشاف المكان فيستطيع الجنود الذين بدأوا يظهرون من كل جانب الكشف عن جثث الذين تم إعدامهم، بؤر الضوء تتحرك على الحائط الصغير الذي يختبئ خلفه كلٌ من لي يونج والضابط الصيني، تلتقط آذانهم وقع أقدام الجنود الذين يتحركون من المجنزرات إليهم، حرك الضابط رأسه حركة بسيطة



من خلف الجدار فرمق بعضًا من جنود المشاة وهم يستعدون للانتشار، ظهر الموقف بقوة على وجهه قبل أن ينظر إلى لي يونج بعين تملؤها الحسرة.

– الجنود يتحركون ناحيتنا علينا أن نعود من حيث أتينا، فلا مفر لنا غير هذا، خلفنا مبنى وعلى يميننا الجنود.

لي يونج لا ينظر له بل تتعلق عيناه بشيء خلف الضابط الذي بدأ يلاحظ ذلك، فسأله عما يتعلق به بصره فلم يُجبه فقط أشار له ببنانه، فحرك الضابط رأسه بزاوية إلى الخلف لتصطدم عيناه بعدد من جنود المشاة يتقدمون ناحيتهما من جهة اليسار يحملون في أيديهم بنادقهم، يرفسون الجثث التي تملأ المكان ويقلبونها لعلهم يجدوا من بينهم أحياء، عاود الضابط النظر إلى لي يونج فوجده يُخبره بأنهم يقتربون منهما وعليهما الفرار، لم يُجبه بل مد بصره ليرمق جنود المشاة الذين يأتون من يمينهِما فوجدهم يفعلون نفس الشيء مع الجثث ويقتربون منهما أيضًا.

– لا يوجد مفر، جنود العدو حاصرونا.

قالها الضابط لـ لي يونج الذي بدأ يتلفت حوله كالمخبول.

– لا يمكن، بالتأكيد هناك مفر.

– لا يوجد مفر، خلفنا المبنى وعلى يميننا ويسارنا جنود العدو، أي حركة سيشعرون بنا، لن نجني سوى التعجيل بموتنا.

لي يونج لا يزال يوزع نظراته حول المكان قبل أن يستأنف الضابط كلامه في أسى.

– يبدو أنني أخطأت حينما طلبت منك أن نأتي إلى هنا، سامحني يا أخي.

– هل هذه هي النهاية حقًا؟؟!!

قالها لي يونج بنبرة حزينة فأجابه الضابط.

– تبدو كذلك.

– لكنني لم أر أولادي!!

– وأنا لم أنتقم منهم، لا نملك أن نفعل أي شي على الإطلاق.

طأطأ لي يونج رأسه في حزن , هاجت بداخله عاصفة من المشاعر وهو يتذكر عائلته , لم يسلم في تلك اللحظة من رماح الذكرى وسكاكين الشوق التي راحت تبتر صدره دون رحمه , كادت أن



تظفر من عينه الدموع لولا أنه عالجها بالكتمان , الضابط كان يدرك كل هذا جيداً ويشعر بما يشعره به بمجرد أن نظر إلى ملامحه التي رسمت غابة من الصبابة , وضع يديه على رأسه في محاولة لتهدئة روع لي يونج وهو يتحدث إليه بصوتٍ خافت يتضح بين ثناياه الود الشديد.

– على الرغم من قلة الساعات التي قضيناها معاً فأنا أشعر أنك أخي فقد تجاوزنا معاً مواقف عديدة وأوقات صعبة فرضها علينا القدر، كنت بجانب جنودي فتفرقنا وأصبحت بجانبك ولن أنسى هذه الساعات التي تجاوزناها كساحة ألغام حتى في حياتي الأخرى، أنا فخور بأنني سأموت بجوارك، أحبك كثيراً يا أخي.

– هل سترفع الراية البيضاء !!

– لو كنت أمتلكها لدافعت عنك بها.

وضع الضابط جبهته على جبهة لي يونج وتنفس الصعداء استعداداً للموت, لكن حدث شيء غريب، فقد استمعا سوياً إلى صوت أهات ضعيفة جداً تأتي من مكان قريب جداً منهما، لكنه غير معلوم المصدر بالنسبة لهما، صوت ضعيف بالكاد يُسمع، انتبه إليه لي يونج والضابط مندمج تماماً في ودِه.



– هناك صوت آهات يأتي من قريب.

قالها لي يونج فأصغى الضابط إليه فاستمع لصوت الآهات.

– أعتقد إنه أحد الجرحى، اتبعني.

– ماذا ستفعل؟؟

– سنحاول مساعدته.

– إننا على وشك الموت.

– إذن سنجعله موتًا بطوليًا.

قالها الضابط ثم شرع يتبع الصوت حتى وصل به إلى كومة جثث تبعد عنه خطوات معدودة ويأتي الصوت من أسفلها، أشار الضابط لـ لي يونج إشارة بمعنى الصوت يأتي من هنا فشرعا في إزالة الجثث تباعًا حتى وصلا إلى جندي يئن من الألم الذي لحق به، بدا من الوهلة الأولى أنه مشوه الوجه فقد نزل عليه عذاب لا يمكن لبشر أن يتحمله قبل أن يُغربلوا جسده برصاصِهم، وقعت عين لي يونج على قدمه فوجدها مكسورةً كسرًا وحشيًا أدى إلى بروز عظامه خارج جلده، رأسه من الأعلى شُجت شجًا منكرًا فبدا لون الدم الأحمر الجاف يكسو رأسه



بالكامل فتشعر أن رأسه قد فلُقت بسيف، ملامح وجهه التي بالكاد تظهر وسط الانتفاخات والدماء تُجسد ما وصل إليه هذا المسكين من ألم قبل أن يقتلوه، اقترب الضابط من أذنه وهمس بها بصوتٍ كالفحيح.

– اهدأ أنا ضابط بجيش المقاومة، أنا لست من جنود العدو.

– أعلم ذلك فقد استمعت إلى حديثكما.

أجابه الجندي المُصاب وهو في حالة لا تُحتمل من الألم.

– هل كنت تنادينا عن قصد؟؟!!

– نعم، أدركت من حديثكما أن جنود العدو على وشك الوصول إليكما.

– هل تريد أن نأخذك بعيداً؟؟

– آلاف المسامير تنغرس في جسدي وهو يهتز على أثر التنفس، أنا لا استطيع حتى النهوض.

– أنا سأساعدك.



– لا، أنا ألفت انتباهكما لأساعدكما أنا، فقد تحاملت على نفسي وتحملت ألمي لكي أنتقم من هؤلاء، دعوت إلهي كثيرًا فاستجاب لي وأرسلكما إلي هنا.

– أنا لا أفهم مقصدك أيها الجندي.

تحامل على ألمه الشديد ومد يده ببطء وسحب قنبلة يدوية كان يدسها في ملابسه الداخلية، تتأرجح عين الضابط بين ما يستخرجه هذا الجندي وبين الجنود الذين يقتربون منهما، أتاه صوت الجندي المُصاب فانتبه له.

– سها الأغبياء عن هذه القنبلة وأنا أدسها في ملابسي لحظة القبض علي وهي الآن بحوزتي، إنها طوق النجاة الذي ستخرجان به.

– كيف؟؟

– كل ما عليكما هو الوصول إلى ذلك المبنى الذي يقع خلفكما.

نظر الضابط إلى ما يقصد فوجده المبنى الذي يقع خلفهم وهم جالسين خلف الحائط الصغير، وقعت عين الضابط أيضًا على بؤر الضوء التي لا تزال تتحرك ذهابًا وإيابًا من دون أن تصل إليهم بسبب



موقعهم الذي يبتعد عن المساحة التي تتحرك فيها البؤر، استأنف الجندي حديثه.

– ستدخلان المبنى عبر النافذة التي ترتفع عن الأرض مسافة ليست ببعيدة وستخرجان من الجهة الأخرى من المبنى إلى شارع جانبي، سيمكنكما من الهروب دون أن يراكما أحد، أمّا أنا فسأجذب انتباههم وسأقوم بتفجير القنبلة في نفسي لأقتل كل من يأتي إلى هنا.

ثغورهما مفتوحة وهما يستمعان إلى خطة ذلك الجندي.

– لا، أنا أفضل أن نهرب وأن تأتي معنا.

قالها الضابط فأجابه الجندي بصعوبة.

– لا، أنا سأقوم بتفجير نفسي لأقتلهم.

– أنا أرفض ذلك.

– وأنا لا أستطيع الكلام، اذهب أنت ورفيقك، نحن نحتاج إليكما حتى نستطيع الصعود من ذلك القاع الذي نسقط فيه.

تبادل لي يونج النظرات مع الضابط ثم رمق الجنود وهم يتقدمون أكثر تجاههم.



– جنود العدو يتقدمون.

قالها لي يونج للضابط فأمره أن ينتظر.

– لا وقت لذلك، عليكما الذهاب في الحال.

قالها الجندي المُصاب فأجابه الضابط.

– تعاهدت على ألا أترك جريحًا ومنذُ بداية الحرب أنا أترك جميع الجرحى خلفي.

– نحن لا نحتاج منك اصطحاب الجرحى، نحن نحتاج منك الانتقام من هؤلاء.

– الجنود قريبون جداً.

قالها لي يونج فانفجر الضابط في وجهه بصوتٍ مكتوم.

– أنا لن أترك جنديًا خلفي مرةً أخرى.

صوته الذي حرص فيه على أن يكون مكتومًا تسلل إلى الجنود اليابانيين فبدأوا ينتبهون إليه، ولولا الإضاءة الشحيحة لكُشف أمره سريعًا، أدرك لي يونج ذلك فأخبر الضابط قبل أن يبتسم له المُصاب ويخبرهما أن يذهبا من أجل سلامة الصين، ثم شرع يُنشد النشيد الوطني بصوتٍ عالٍ، أخبره لي يونج

أن يتحرك، الضابط في حالة توتر شديد ووقع أقدام الجنود يقترب منهم وهم يصيحون، دفعه لي يونج بالقوة تجاه المبنى في الوقت الذي تجمع فيه جنود العدو بالقرب من المُصاب الذي يُغني نشيده الوطني، جذب أنظارهم إليه وأعطى المجال لـ لي يونج والضابط للهروب في ظلمة المكان، جنود العدو يتابعون الجندي المُصاب وهو لا يزال يتغنى بالنشيد الوطني دون تدخل خشية أن يكون فخًا قد نصبوه لهم، يتابعون البحث وهم يقتربون منه، وقع ضوء كشاف إضاءة على الضابط الصيني وهو يقفز عبر النافذة ويمد يده إلى لي يونج ليساعده في الصعود، في الوقت الذي سحب فيه الجندي المُصاب صمام أمان القنبلة وهو يبتسم فانفجرت به وبمن حوله فأصابت عدداً لا بأس به وقتلت عدداً محدوداً جداً لكنها لم تلحق أي أذى بالجندي الذي رأى الضابط الصيني، فقط طرحته أرضًا.

هاجت الأجواء، وأطلقت الإنذارات في كل أرجاء المكان حالةً من الاستنفار، في الوقت الذي بدأ فيه الجندي الذي كشف أمر هروب الضابط ورفيقه بالصِراخ، يُحاول أن ينبههم إلى ما شاهده فانضم إليه عدد لا بأس به وبدأوا بعبور تلك النافذة في الوقت الذي يركض فيه الضابط ورفيقه دون الالتفاف للخلف، لكن هناك شيء سيء لم يأت في صالحهما، فالشارع الذي يقع خلف المبنى مُضاء،



وإنارة الشارع في حالة جيدة على عكس الشارع السابق مما سهل مهمة جنود العدو في رؤيتهما وهما يفران فأمطروهما برصاصِهم الغاشم وهما يتابعان الركض إلى حيث لا يعلمان، يواجهان مصيرهما المجهول بين هذه الطرقات القاسية التي تتلوى بهما يمينًا ويسارًا، استمرا في المراوغة قدر المستطاع ورصاص العدو وجنوده لا يتركونهما طرفة عين، حتى وجدا نفسيهما على بداية شارع عمومي يعُجّ بجنود العدو الذين استمعوا إلى صوت الرصاص فبدأوا بالركض تجاهه، مما جعل المساحة تضيق بشدة على الضابط ولي يونج، ألقى الضابط بصره إلى المكان وعقله شبه متوقف عن التفكير، يبحث وسط الحيل الشحيحة على فرصة في النجاة فوقعت عيناه على بالوعة صرف صحي غير مغطاة تبعد عنهم خطوات، سحب لي يونج من ملابسِه وركض به حتى أدركاها، تيبس الاثنان بجوارها، رمق الضابط لي يونج ثم أخبره بلهجة سريعة.

– هذه هي المرة الأولى التي يروق لي فيها الإهمال.

دفع الضابط لي يونج في الفتحة فسقط على الأرض التي تبعد عنها مسافة متران فسقط بطريقة غير متزنة وسط مياه غير نظيفة رائحتها عطنة وتضم فضلات آدمية وأشلاء، الضابط يستعد ليلقي بنفسه هو الآخر في الوقت الذي بات



الجنود اليابانيون قريبين منه، انهالت عليه طلقات الرصاص في الوقت الذي قفز فيه لكن حظِه التعس جعله يُصاب في قدمِه بطلقة غاشمة أتت من بندقية يحملها جندي أطلَسُ الهيئة والقلب، صرخ الضابط قبل أن يهوى بطريقة غير مُتزنة انتهت به على وجهِه منبطحًا، سقط في المياه المتسخة وهو يصرخ من الألم مما سهل تسلل جزء من المياه إلى فمه فسعل بشدة من لذعة طعمها البشع وهو لا يزال يصرخ صرخات ترج المكان المغلق ووقع أقدام الجنود تتعاظم وهي تقترب منه، لي يونج ينظر إليه متيبسًا والخوف يذيبه وهو يُفكر ماذا يفعل، الجنود تقترب بعدما تم تحديد مكانهم، صرخ الضابط في وجهه يحثه على الهرب، يُخبره بأن جنود العدو قادمون ولن يستطيعوا الهرب سويًا بعد إصابته، سيلقون القبض عليه ولن يتمكن من رؤية أطفاله مرة أخرى، جمدته تلك الكلمات لكن في الوقت نفسه لن يستطيع التخلص من تأنيب ضميره وهو يُذكره بما فعله الضابط من أجله سلفًا، الأجواء تتوتر والأدرينالين وصل إلى أقصاه، اندفع لي يونج كالقذيفة من دون تفكير، حمل الضابط من أسفل إبطه دون مقاومة منه ثم حمله على كتفِه كجرحى الحرب بحيث أصبح جسد الضابط بالكامل غير ملامس للأرض.



– لماذا تفعل ذلك؟؟

– أليس من العار أن أترك من لم يتخل عني.

– بهذه الطريقة أنت تضحي بنفسك!

– أنت أخبرتني من قبل أننا أصبحنا إخوة، والتضحية من أجل العائلة هو خلود في موتٍ رائع.

ظهرت آثار تلك الكلمات على وجه الضابط قبل أن يبدأ لي يونج بالركض الصعب داخل المياه المُتسخة وهو يحمل الضابط على كتفِه ويصرخ بشدة كأنه أُصيب بحالة انهيار عصبي شديدة، يصرخ بشدة كأنه يُسلخ حيًا وهو يركض كالوحش، قدمه تضرب المياه المتسخة الراكدة فتتطاير على جانبيه وهو لا يزال يصرخ ويركض بسرعة شديدة كأن التعب لم يصبه ولم يمس جسده من الأساس، يصرخ ويتحدث إلى نفسه بصوتٍ جهوري لا يخلو من نعرة الرجولة، يتوعد لهم بأن ينتقم منهم من أجل كل صيني قتلوه على أرض الوطن.

وصل الأعداء إلى الفتحة فتطوع أحدهم وقفز داخل الحفرة فانتابته حالة من السُعال وضيق الأنفاس نتيجة الرائحة العطنة التي تعبئ المكان، صرخ في زملائِه ليُخرجوه بعُجالة قبل أن يموت مخنوقًا فتكاتفوا جميعًا وأخرجوه، جلس القرفصاء وهو

يسعل بشدة، نظر الجندي إلى قائده ثم أخبره بنبرة يتخللها السُعال.

– الرائحة في الأسفل مميتة.

قالها الجندي والسُعال يتخلل كلماته بشكل رهيب يعيقه عن الكلام فظهرت آثاره على وجه قائد المجموعة الذي بدأ يزعق في وجه الجميع كي يتحركوا خلف هؤلاء ليعرفوا هل ينتمون إلى الجيش أم لا.

– أنا لم آتي من اليابان إلى هنا لأموت في ماسورة للصرف الصحي.

قالها الجندي الذي يشكو من الرائحة فأضمر القائد الحقد في نفسِه.

– هل تعصي أوامري؟؟!!

– لا ولكن الأمر كما أخبرتك.

اقترب منه القائد وضربه بقوة على مؤخرة رأسه فارتجت.

– أنت تفعل ذلك من أجل رضى الإمبراطور أيها المخبول، أنت تفعل ذلك من أجل الموت في سبيل «إلتينو».



نظر إلى الجميع واحتد صوته أكثر.

– من لم يذهب خلف هؤلاء سأقتله بنفسي وأعتبره مخالفًا للأوامر، سأغتصب جثته ثم ألقي بها بعيداً، ولن ينال شرف الموت في سبيل التينو.

قفز الجنود داخل الحفرة بمجرد أن انتهى القائد من كلماته وبدأوا يركضون خلف الضابط ولي يونج ليلحقوا بهما.

تتلاحق أنفاس لي يونج وهو يُجاهد هربًا حاملاً الضابط على كتفِه، قدمه بدأت تُؤلمه فيشعر بوخز في عضلات ساقيه بسبب السرعة المفرطة التي كان يركض بها، لكنه يُقاوم ويتحامل على نفسه، يصرخ وهو يركض مُحفزًا نفسه بالهروب من أجل النجاة.

استمر الوضع على هذه الحالة إلى أن وصل إلى فتحة أخرى تُشبه تلك الفتحة التي كان قد قفز منها، نظر لي يونج إليها ثم صفعته فكرة، بهدوء أنزل الضابط ثم حمله من قدميه وطلب منه أن يتشبث بالفتحة، تحامل الضابط على نفسه وتناسى الألم، ضغط على نفسه وجاهد حتى خرج منها، وقع أقدام جنود العدو تقترب منهم، قفز لي يونج وتشبث بالفتحة لكن الدماء التي سالت من جرح الطبيب جعلت يده تنزلق وكاد أن يسقط لكن



مد الضابط يده سريعًا وأمسك به قبل أن يسقط، نفرت عروقه وهو يُحاول منعه من السقوط، سحبه بقوة إلى الخارج وقدم لي يونج تتأرجح في الهواء ويُجاهد هو الآخر للخروج من الفتحة، بعد مُحاولات عديدة تمكن من الخروج في الوقت الذي وصل فيه الجنود اليابانيون إلى الحفرة، حمل لي يونج الضابط على كتفه مرة أخرى وبدأ يركض به إلى حيث لا يعلم.

لي يونج يركض بأقصى سرعة له في الوقت الذي خرج فيه الجنود من الحفرة وبدأوا يطلقون النار عليهما، راوغهم حاملاً الضابط حتى وصل إلى سور صغير يحيط بمنزل لم يتعرض أصحابه لأي مضايقات من قبل جيش العدو.

– سنعبر السور ونختبئ في حديقة المنزل.

قالها لي يونج فأجابه الضابط.

– جنود العدو يقتحمون أي منزل، لن ننجو.

انتاب لي يونج لمحات من التفكير قبل أن يشرع بالركض مرة أخرى، وقعت عينا الضابط على شيئ ما نتيجة زاوية الرؤية التي اختلفت حينما عدَّل لي يونج من موقعه، صاح فيه وهو يضرب على ظهره برفق.



– اعبر السور سريعًا قبل أن يأتي الجنود.

تعجب لي يونج في البداية لكنه كان لا يملك رفاهية الوقت للتعبير عن ذلك، ركض تجاه السور، أنزل الضابط ثم رفعه إلى أعلى حتى تمكن من العبور، ما يحدث الآن يتسبب له في ألم شديد بسبب الجرح الموجود في قدمِه لكنه ظل متحاملًا حتى عبر السور بصراخٍ مكتوم، جاء دور لي يونج، صعد على السور وعبره لكن لسوء حظه لمحه أحد جنود العدو فصرخ في المجموعة أنهما يتواجدون داخل ذلك المنزل، هرع الجميع إلى المنزل في الوقت الذي حمل فيه لي يونج الضابط على كتفه وهرع به حتى الباب الخلفي للمنزل، اختبئا خلف جدار المبنى، ومن خلفِه يمكنك مشاهدة الباب الرئيسي للحديقة على مرمى بصرك، وضع لي يونج الضابط وبدأ يتابع ما يحدث.

الجنود يتقدمون من باب الحديقة، يقتحمونه دون استئذان يتقدمون بحثًا عن الهاربين.

– أنا آسف كنت أتمنى أن أحميك أكثر من ذلك.

همس بها لي يونج إلى الضابط بهدوء فأجابه.

– ماذا حدث؟؟



– الجنود اقتحموا المكان وسيلقون القبض علينا لا محالة.

– لا تخف لن يستطيعوا ذلك مادام صاحب المنزل لم يرنا.

– أنا لا أفهم، من أين لك كل هذه الثقة.

– شاهد وستفهم كل شيء، أنا أشعر بألم فظيع لا أستطيع الكلام.

فُتح الباب وخرج شخص طويل أصلع يرتدي عوينات، هيئته تدل على أنه لا ينتمي إلى الجنس الأصفر الآسيوي، خرج من المنزل يركض تجاههم بمنامة بيتية ويرتدي فوقها «روب» مفتوح، استوقف جنود العدو بلهجة عنيفة أعجمية لم يفهمونها، تبادلوا النظرات وتعمد قائد المجموعة اليابانية أن تكون نظراته حادة قوية حتى يرهبه، زعق الرجل الأصلع أكثر ثم أشار بيده تجاه سطح المنزل حيث العلم النازي يرفرف خفاقًا، اتسعت عينا قائد المجموعة الياباني ورمق جنوده بغلٍ قبل أن يصفع الجندي الذي صرخ فيهم وهو يُخبرهم أن الهاربين دخلا إلى هنا، وبخه بقوة ثم اعتذر للرجل الأصلع وانسحبوا سريعًا خارج المنزل، لي يونج يُشاهد ذلك بعناية شديدة ثم تحدث إلى الضابط.



– إنـهم ينسحبون.

– نعم، لقد أخبرتك أنـهم لن يتمكنوا من الدخول، علم النازية هو ما جعلني أوافق على الدخول إلى هنا.

عاد الرجل الأصلع إلى منزله في الوقت الذي استأنف فيه لي يونج الحديث مع الضابط.

– لماذا يُعلق العلم أعلى المنزل.

– هكذا كانت الأوامر، حتى لا يتعرض لقصف الطيران أو للضرب، أي شيء تحت تلك الراية في حرمٍ آمن.

* * *

مرت نصف ساعة كاملة منذُ أن ترك الجنود اليابانيون المنزل وهرعوا يبحثون عنهما في أماكن أخرى، نصف ساعة مرت كسنوات طويلة على لي يونج وهو يجلس متكوم على نفسِه في حديقة المنزل بجوارِه الضابط الصيني الذي يئن بشدة من الألم الذي يتعاظم على أثر الرصاصة التي تستقر بين لحمه بسماجة، ينظر إلى لي يونج ثم ينظر إلى المنزل الذي يسكن فيه ذلك النازي طويل القامة، انحدر بصره إلى الجرح الذي إذا ترك هكذا سوف



يُصاب بالغنغرينا وسيضطران في النهاية إلى بتر قدمِه بالكامل.

– علينا تنظيف ذلك الجرح حتى لا يزداد الوضع سوءاً.

نظر إليه الضابط بعينيه التي يتضح فيها الألم.

– وكيف سنقوم بذلك.

نظر لي يونج إلى المنزل ثم أجابه بنبرة صوت غير واثقة.

– سأتسلل إلى الداخل وسأبحث لك عن مطهر وضمادة، لن أتركك هكذا.

– هذا مُحال، إن أمسك بك النازي لن يرحمك، سيقوم بتسليمك إلى هؤلاء الملاعين.

– وإن تركتك ستُبتر قدمك أو ربما تموت، وأنا لن أتركك تموت.

– أنا لا أملك الطاقة الكافية للنقاش.

– لا يوجد نقاش في أمور مثل هذه، أنت في مأزق وأنا علي أن أنقذك وإلا ما فائدتي.



– لكني خائف مما يمكن أن يحدث لك.

– نحن في حرب، والحرب لا تعرف الخوف، لأن الخوف سيكون ضعفنا الوحيد، أنا ذاهب إلى الداخل وسأعود بما يكفي لعلاجك.

هز الضابط رأسه قبل أن يتحدث إلى لي يونج.

– المكان في الداخل ضيق ولن يسمح لك بالمناورة، حاول أن تختبئ قدر الإمكان.

– لا تقلق، فهذه ليست المرة الأولى التي أتسلل فيها منذ بداية الحرب.

– لن أنسى لك كل ما فعلته من أجلي.

– لولا ما فعلته أنت من أجلي لكنت وحيداً الآن.

أنهى لي يونج كلماته ثم انطلق يبحث عن مدخل يعبر من خلاله إلى داخل المنزل، بدأ يبحث بهدوء وتخفٍ حتى وجد الباب الخلفي للمنزل غير مُحكم الغلق، بهدوء شديد وضع يده على المقبض وأداره، حرص على ألا يصدر صوتًا أثناء فتحه، المنزل من الداخل مُضاء، مما دفعه للتفكير بشكل أعمق في التخفي، بوضع القرفصاء عبر من الباب ثم أغلقه بهدوء حتى لا يلفت الأنظار، بدأ يتحرك داخل



المطبخ بنفس الوضعية، يتجول بعينيه في كل مكان، يفتح الأدراج والضلف لكنه في النهاية لم يجد ضالته فشرع في التحرك بحرص شديد حتى وصل إلى باب المطبخ الذي يطل على ردهة طويلة في نهايتها سلم خشبي يقوده إلى الطابق العلوي، طراز المنزل مختلف تمامًا عن الطراز الصيني الذي اعتاد عليه، أرسل بصره إلى الخارج فلم يجد سوى الهدوء التام، تجول ببصره وقلبه ينبض بسرعة رهيبة خشية أن يرمقه أحد علاوة على أنه لا يعرف عدد الأشخاص داخل ذلك المنزل، بدأ يتحرك بحرصٍ شديد داخل الردهة حتى أدرك بابًا خشبيًا مكون من مجموعة من رقائق خشبية رفيعة بينهما فراغات صغيرة جدًا، يقع الباب بالقرب من السُلم، وضع يده على مقبضِه وهو يتلفت حوله، أداره وبدأ يتفقد داخله، إنها خزانة خاصة تُوضع بداخلها الأشياء القديمة التي لا يستخدمونها، فتش سريعًا بداخلها فلم يجد ما يبحث عنه، أغلق الباب واستمر في التقدم بجوار الحائط، وقعت عيناه على صندوق خشبي مُعلق على الحائط في نهاية الردهة، صندوق خشبي يحمل علامة الصليب الأحمر، وجد ضالته أخيرًا التي يبحث عنها، همَ تجاهه لكن ظهر على الأرض أمامه خيال كبير يأتي من صالة المنزل التي تقع أيضًا في نهاية الردهة تحديدًا أمام الحائط الذي مُعلقة عليه علبة الإسعافات، عزز الخيال صوت وقع أقدام



يتعاظم ويقترب منه، ارتبك لي يونج وبدأ يتلفت حوله، لا يوجد سوى الخزانة، عليه العودة للاختباء بها، همَّ بالعودة في الوقت الذي ارتفع فيه صوت صاحب الخيال يتحدث بلسانٍ أعجمي فأدرك لي يونج أنها أنثى وأدرك أيضًا أن المنزل لا يحتوى على الرجل النازي فقط، دلف إلى باب الخزانة وأختبأ بها في الوقت المناسب قبل أن تراه السيدة صاحبة الصوت، جسده يرتجف ويُحاول أن يُلملم شمل أعصابه التي توترت على أثر ما حدث، صوت وقع الأقدام لا يزال في تصاعد والصوت بدا أعلى حتى ظهرت أمامه فنظر إليها عبر رقائق الخشب المُكون منها الباب، إنها سيدة ألمانية شقراء تتحدث بصوتٍ مرتفع إلى الرجل النازي الذي ظهر بالقرب منها فتبادلا الحديث سويًا قبل أن يذهبا سويًا إلى المطبخ.

انتظر لي يونج ربع ساعة كاملة داخل الخزانة يُفكر فيما عليه فعله حتى بدأت تصطدم بأذنه أصوات ارتطام الملاعق بالأطباق فأدرك أنها كانت تستدعيه لتناول العشاء، الرؤية من خلال رقائق الباب لن تُظهر المطبخ من الداخل، عليه فتح الباب والنظر إلى هناك، بهدوء بدأ يفتح الباب ويخرج من الخزانة بوضع القرفصاء، يتحرك ببطء شديد حتى ظهرت له زاوية مناسبة للرؤية، أرسل بصره فوجد الرجل النازي يجلس بجوار السيدة في المطبخ يتناولان



العشاء في جو كئيب جداً، تأكد أن المنزل لا يحتوي إلا على الرجل وتلك المرأة التي يبدو إليه أنها زوجته، ولو كان هناك شخص آخر لكان يجلس بجوارِهما يأكل، هكذا طمأن نفسه قبل أن يهم بالذهاب إلى الصندوق ليأتي منه بكل ما يحتاجه، بدأ يتسحب ببطء وبهدوء مضاعف وهو يُمني النفس بألا ينكشف الأمر، يتلفت حوله كاللص حتى وصل إلى مبتغاه، بحرص شديد بدأ يفتح ضلفة الصندوق الخشبي فوجد بداخلِه كافة أنواع المُطهرات والأدوية والأدوات الطبية التي قد يحتاجها، ظهر ذلك على وجهه قبل أن يأخذ منه ما يستطيع حمله في الوقت الذي ارتفع فيه رنين هاتف المنزل، والذي سيجذب دون شك الرجل تجاهه، الهاتف يقع على بعض أمتار قليلة من الصندوق مما دفعه لأخذ باقي الأدوات سريعاً ولكن سقطت زجاجة بلاستيكية مليئة بالمطهر على الأرض، لم تُصدر صوتاً ولكن انسكب من محتواها بالقدر الذي صنع بقعة بلونٍ داكن على الأرض، لي يونج أخذها وأغلق الدلفه لكن لم يُحكم غلقها بسبب تصاعد وقع أقدام الرجل وهو يأتي للرد على الهاتف، لن يستطيع العودة إلى الخزانة فركض سريعاً واختبأ خلف كرسي وثير يقع في صالة المنزل.



وصل النازي إلى الهاتف، رفع السماعة وبدأ يتحدث إلى رئيس شركة «سيمنز» الألمانية، يطلب منه العودة إلى بلدِه بعدما توقف عمل الشركة منذُ بداية الحرب، ارتفع صوت الألماني وبدأ ينفعل وهو يخبره أن الشركة لازالت تعمل بربع طاقتها علاوة على أنه لن يترك العمل في الصين بعدما قضى أكثر من عشرين عاماً هنا، ارتفعت حدة الحوار ولي يونج في حالة توتر قصوى يُمني النفس بأن لا ينكشف أمره، لكن تأتي الرياح دوماً بما لا تشتهي السفن، فقد أتت زوجة هذا النازي وجلست على الكرسي الذي يختبئ لي يونج خلفه مما دفعه للتوتر الشديد والقلق الذي يُدعمه صوت الرجل النازي الذي صار عالياً جداً، الوقت يمر ببطء شديد على الصيني المسكين والتوتر يأكل منه كيفا شاء حتى صمت النازي تماماً ولم يعد يتحدث أو ينفعل، فقط صوت من يتحدث معه في الهاتف هو ما يصل إلى أذن لي يونج على استحياء مما دفعه للنظر من خلف الكرسي التي يتوارى خلفه فاكتشف أن عين النازي وقعت على تلك البقعة التي صنعتها زجاجة المُطهر فصمت عن الحديث ووضع السماعة بجوار الهاتف وترجل إلى هناك، جلس القرفصاء بجوارها، وضع أصابعه عليها فاكتشف أنها لا تزال رطبة، نظر إلى زوجته وصاح بلغته الأعجمية التي لا يفهمها لي يونج بأن هناك لص داخل المنزل وعليه قتله.



هرع الرجل النازي إلى داخل المنزل بعدما أنهى كلامه العنيف فهرعت زوجته خلفه، لي يونج لا يفهم ما قاله النازي لكنه على يقين بأنه كشف الأمر، الصالة فارغة وهي فرصة جيدة للهرب، هكذا سولت له نفسه فتلفت حوله قبل أن يهم بالخروج من خلف الكرسي الوثير يتحرك بحذر شديد في وضع القرفصاء حتى وصل إلى صندوق الإسعافات ومنه إلى باب الخزانة ثم المطبخ، بدأت الفرحة في الظهور على وجهه وهو يكاد يصل إلى باب المطبخ الخلفي الذي دخل منه، لكن أتاه صوت الرجل النازي زاعقًا فتيبس مكانه وهو يولي له ظهره، أذنه تلتقط كلمات ألمانية قوية لا شُبهة للمزاح فيها، أغمض لي يونج عينيه في أسى وأذنه لم تتوقف لحظة عن الاستماع إلى لغة الرجل الخشنة التي لا تحتاج إلى مجهود كبير في حالة الغضب، زعق فيه فالتف لينظر إليه فوجده يُصوب نحو رأسه فوهة سلاحه الناري، عيناه الملونة تتسع عن آخرها من خلف عويناته، ذراعه ينتصب وفي نهايته السلاح الناري الذي يصوبه تجاه رأس لي يونج، سأله النازي عن اسمه بالألمانية فلم يتلق منه أي إجابة، ملامحه توحي إليه بأنه لا يفهم كلامه، أدرك ذلك النازي فبدأ يتحدث إليه بلغته.

– هل أنت صيني؟؟

أماء لي يونج رأسه.

– ما اسمك؟؟

– لي يونج.

– وماذا تفعل في منزلي يا لي يونج؟؟ هل تسرقني؟؟

نظر له نظرة طويلة بعينه التي تحمل الكثير من الألم.

* * *

الضابط الصيني يفرد جسده على الأريكة الموجودة في غرفة نوم الرجل النازي في إعياء شديد وحوله كل من لي يونج وذلك الشخص النازي، الطبيب ينحني على قدم الضابط ويقوم بحياكة الجرح بعدما أخرج منه الرصاصة وسط ألم شديد، تساعده في ذلك تلك السيدة التي كانت تتناول العشاء مع الرجل النازي، تعطي له الأدوات الطبية اللازمة، لي يونج ينظر إلى الضابط وعيناه يملؤها الأسى الشديد، يشعر بذلك الألم الذي يشعر به، انتهى الطبيب من عمله وأخبر بذلك الرجل النازي فطلب من الجميع ترك المُصاب ليرتاح قليلاً فخرجوا جميعًا خارج الغرفة.



جلسوا جميعًا عدا المرأة التي كانت تساعد الطبيب في صالة المنزل يحط عليهم الاكتئاب الشديد، يتبادلون النظرات الصامتة التي لا تحتاج إلى تفسير لتعرف ماذا تعني، لي يونج بدأ يتحدث إلى الرجل النازي بصوتٍ يتضح بين ثناياه الابتئاس الشديد.

– أنا أتأسف لك عن تلك الطريقة الوقحة التي دخلت بها إلى منزلك.

– هذا المنزل يقع في بلدكم التي أعيش بها منذ سنوات، علاوة على أننا في حالة حرب فلا داعي للاعتذار أنا لو كنت مكانك سأفعل ما فعلته أنت.

– أرى أنك تتحدث الصينية كأهلها.

ابتسم الرجل ثم نهض وهم يصب لنفسه كأسًا من النبيذ، سأل لي يونج هل يريد الشراب معه فاعتذر عن ذلك، أخذ الرجل كأسه وعاد إلى مكانه وهو يحمل الكأس ليُجيب على تساؤل لي يونج.

– اسمي هو «جون رابي» أعيش في الصين منذ أكثر من عشرين عامًا، أعمل مدير لشركة «سيمنس» الألمانية في مدينة نانجينغ لذلك أعرف الصين أكثر من أي أحد آخر وهذا سيكون إجابة سؤالك التالي الذي ستطرحه علي الآن.



– أي سؤال؟؟

– لماذا لم أسافر إلى ألمانيا منذُ بداية القصف.

ابتسم لي يونج فتأكد جون أنه يتحرك على الطريق السليم فأردف قائلا.

– قضيت سنوات طويلة هنا وسط أناس أعلم جيداً نقاء قلوبهم، لذلك علي تقديم المساعدة لأرد الدين.

– أي دين؟؟

– الصينيون وقفوا بجوارنا وساندونا حينما جئنا إلى نانجينغ لنفتتح شركتنا، وعلينا الآن رد هذا الدين لهم، لذلك أنا لم أسافر إلي بلدي، من اجل المساعدة.

اقتحمت السيدة التي كانت تساعد الطبيب صالة المنزل وفي يدها تحمل صينية عليها طعام، لي يونج ينظر إلى الطعام بشغف فهو يشعر بضراوة الجوع منذُ ساعات طويلة، وضعت الصينية أمامه ثم طلب منه جون الأكل فانقض على الطعام بشغفٍ شديد وبدأ يلتهمه بسرعة وعشوائية تتناسبُ تماماً مع الجوع الذي يشعر به.

– لا تنسي إطعام صديقه المُصاب.

قالها جون للسيدة فأجابته.

– سأقوم بذلك لا تقلق.

قالت جملتها وذهبت من حيث أتت.

– شكرًا لك يا سيد جون وشكرًا لزوجتك على كل شيء.

قالها لي يونج والطعام يملأ فمه فابتسم الرجل النازي وتجرع ما تبقى من كأس النبيذ الذي بحوزتِه.

– هذه ليست زوجتي، هذه مارجريت ضمن طاقم العمل لدي وصديقتي، وأيضًا صاحبة فكرة المنطقة الآمنة التي أقمناها ونسعى لتدعيمها بأوراق رسمية، أمَّا زوجتي فقد قتلها اليابانيون.

توقف لي يونج عن الأكل ونظر إلى جون رابي بدهشة عارمة ثم تحدث إليه والطعام يملأ فهمه.

– كيف؟؟

– كنت أمتلك تذكرتين لآخر سفينة ستغادر ميناء نانجينغ بعدما قررت الإدارة غلق الشركة هنا، زوجتي كانت متحمسة للعودة إلى الوطن أمَّا أنا



فقد فضلت البقاء من أجل مساعدة العمال والشعب الذي أعيش معه منذُ سنوات، لكني لم أخبر زوجتي بنيتي هذه، وذهبت معها إلى الميناء وبعدما ركبنا السفينة استأذنت منها بحجة قضاء حاجتي لكنها فوجئت بي وأنا ألوح لها من على الرصيف وقت رحيل السفينة، أجبرتها على أن أبقى، ولم أترك لها أي فرصةً للاختيار بحيث لا يُصيبني أي أذى نفسي إن تعرضَت هي للموت، سالت دموعي وخلعت قبعتي ولوحت لها بها وعيني تدمع، ولا أعرف لماذا كانت الدموع تنساب من عيني، لكني أدركت أنها كانت على علم بمشيئة الإله، كانت تخبرني بدموعها التي تسيل منها دون سبب بأنها لن تنجو، وأنني سلمتها للموت دون أن أعلم، فوجئت بطيران ياباني غاشم قصف السفينة وأغرقها وهي على مرمى أعيننا.

خلع جون عويناته وأخذ يدعك عينيه الدامعة على أثر ذلك الكلام.

– أنا علمت أنهم لا يقتلون الألمان ولا يصيبونهم بأي أذى.

– نعم يعتبرونهم حلفاء حرب، لكن السفينة كانت تضم كل الأجناس حتى الصينيين.

– وهل ستصمت ألمانيا.

– كل ما سأحصل عليه هو اعتذار رسمي وهذا لن يعيد زوجتي إلى الحياة.

– ماذا ستفعل؟؟

– لا شيء، سأستمر في الدفاع عن هذا الشعب المسكين، أرسل رسائل نصية إلى هتلر أطالبه بالتدخل ليتوقف ذلك الجنون الذي يتحرك في شوارع العاصمة دون مقاومة، ما يفعله الجيش الياباني في نانجينغ لم يفعله جيش على مر التاريخ.

– وهل سيستجيب لك؟؟

– لا أعلم لكني أحاول، نحن أيضًا بصدد إقامة منطقة آمنة منزوعة السلاح، وأنا ذاهب في الصباح إلى السفارة اليابانية لمقابلة سمو الأمير «أساكا» لنأخذ الموافقة الأمنية على ذلك ونضمن وصول الغذاء إليهم، تستطيع أن تأتي معنا أنت وصديقك بمجرد أن نحصل على الموافقة.

– بالتأكيد.

عاود لي يونج تناول الطعام، فأتاه سؤال كالصاعقة من جون رابي.



– صديقك المُصاب هل هو ضمن أفراد الجيش الصيني.

تيبس لي يونج واتسعت عيناه وارتبك قليلاً قبل أن يُنكر ذلك فأومأ جون برأسِه قبل أن يسأله لي يونج عن سبب هذا السؤال.

– الشروط التي قدمناها للجيش الياباني في بداية إقامة المنطقة الآمنة كانت تتضمن شرطًا هامًا شددوا عليه، ألا نقوم بالتستر على جندي من الجيش ولا نقدم لهم المعالجة، وجود شخص واحد داخل المنطقة سيتسبب في هلاك الجميع.

ابتلع لي يونج ريقه بصعوبة وهو يُخبر جون بألا يقلق فصديقه نجار مثله ولا علاقة له بالجيش، تكلم الطبيب الذي عالج الضابط الصيني للمرة الأولى منذُ أن جلسوا في صالة المنزل.

– يوم الهجوم على نانجينغ كانت المستشفى مليئة بالمُصابين المدنيين وكانت المستشفى لا تستوعب هذا العدد الهائل فاضطر المرضى والمصابون للنوم على الأرض، كانت الإسعافات الطبية والمواد اللازمة للعلاج شحيحة ولا تكفي كل هذه الأعداد، حتى المُسكنات كنا نقسم الجرعة التي تكفي لشخص على أربع أشخاص، وكان بجواري دائمًا مساعد صيني شهم، يتفانى في



إنقاذ الجميع ويعمل كما لو كان عشرة أشخاص معًا، كنت أتمنى أن أفعل أي شيء لأرد جزء من خدماتِه.

أمسك زجاجة النبيذ وصب منها في كأس وبدأ يتجرع وهو يُكمل حديثه المصبوغ بكآبة شديدة.

– فجأة استمعت إلى صوته وأنا أقف وسط المُصابين، يصرخ ويترجاني لأَذهب معه، وحينما صدعت للأمر ذهب بي إلى غرفة الاستراحة فوجدت بها جندي مُصاب بعدة طلقات ويلفظ أنفاسه الأخيرة، طلب مني مساعدته فصرخت في وجهه وأخبرته أن موقفًا كهذا من الممكن أن يُطيح بالمستشفى لكنه أخبرني أنه ولده.

وضع الكأس على المنضدة بعدما تجرع كل محتواه وهو يضحك.

– وضعني في موقفٍ صعب هذا الرجل، فما كان مني إلا الموافقة، لكن بمجرد أن انتقل إلى غرفة العمليات وقبل أن أبدأ في إسعافه وجدت باب الغرفة ينفتح بالقوة ووجدت عدداً من الجنود اليابانيين الذي يمرون على المستشفيات، هاجت الأجواء بمجرد رؤية الجندي، قتلوا جميع من بالغرفة بعدما قتلوا الجندي برصاصهِم، قتلوا طاقم التمريض كاملاً بما فيهم مساعدي والد الجندي،



ولولا أنني ألماني لكانوا قتلوني أنا الآخر، لم ينقذني منهم سوى شارة النازية التي كنت أضعها على كتفي.

صب كأسًا آخر من النبيذ وهو يستأنف حديثه.

– أعلم أنني ربما أصبتكم بالصداع بسبب كثرة كلامي لكن ما يحدث في الخارج هو جنون بكل المقاييس، قتل واغتصاب وحرق للجميع، الحجة هي البحث عن الجنود، لكن الحقيقة أنهم يريدون إرهاب الشعب.

– نعم اتفق معك تمامًا فقد قطعوا رأس السائق الخاص بي وهو صيني بحجة أنه لم يُنفذ أوامر أحد الضباط، والحقيقة أنه لا يعرف كيف يتحدث باليابانية، ما يحدث هنا هو جنون بكل المقاييس كما أخبرك الطبيب يا لي يونج.

– هل الطبيب صديقك يا سيد جون.

– نعم وكان معي في احتفال شركة سيمنس بدعوة خاصة مني ليلة اغتصاب نانجينغ، سأحكي لك ما حدث معنا في تلك الليلة البهماء.

* * *



قبل الهجوم على نانجينغ بيومٍ واحد.

جون رابي يجلس على مكتبه الخشبي الضخم يسند رأسه على كفِه ويداعب بيده قطع الشطرنج المرصوصة أمامه بطريقة عشوائية، يُحرك القطعة من مكانها إلى مكان آخر دون الاهتمام بقواعد اللعبة، صوت طرق على الباب يتبعه صوت صريره وهو يُفتح، إنها زوجة جون رابي، دخلت إلى الغرفة وهي تتحدث إليه معاتبةً.

– كنت أعلم أنك ستكون هنا وحيداً.

نظر إليها من فوق عويناته ثم تابع مداعبة قطع الشطرنج.

– وهل هناك شيء آخر كي أفعله.

سارت بهدوء حتى وصلت إلى مكتبه.

– أعلم أنك مستاء لأنك ستترك نانجينغ بعد فترة كبيرة دامت لسنوات.

– السنيين ليست وحدها ما يؤلمني، أنا كنت مشرفًا على بناء هذه الشركة، والآن يريدون أن يغلقوها بكل سهولة، فقط مكالمة هاتف واحدة تريد أن تهدم شقاء سنوات عديدة.



– أنت هنا مدير وحينما سنعود إلى ألمانيا سنعود وأنت مدير أيضاً.

خلع عويناته ووضعها على سطح المكتب.

– أنا لا أنظر إلى مثل هذه الأمور، هذه الحوائط وهذا المصنع الضخم هو عمري، لا يمكن أن أتركه وأرحل.

– هل سنعود مرة أخرى إلى هذا النقاش العقيم.

– لا أعلم ولكن لا أريد الذهاب.

– نانجينغ على وشك السقوط والشركة الأم أرسلت إلينا مبعوثًا خصيصًا ومعه تذاكر السفن وأوامر بغلق المصنع، وخلال ساعة واحدة سيكون هناك احتفال بختام العمل في العاصمة الصينية.

– لكنني غير مقتنع.

– هذا ليس وقتٌ مناسب لمثل هذا الكلام، الحفل سيبدأ قريبًا ويجب أن تكون مستعداً.

أنهت حديثها وخرجت من الغرفة مما دفعه غيظه الشديد وانفعاله بأن يضرب قطع الشطرنج ويلقيها على الأرض.

* * *



حفل شركة سيمنس لختام الأعمال في العاصمة.

المكان صاخب وممتلئ عن آخره بالحضور، أنغام الموسيقى ترتفع في تلك القاعة الكبيرة، الكل يرقص ويلهو في انسجام تام، على منضدة بعيدة عن بؤرة الأحداث يجلس مبعوث الشركة بوجهِه الحاد وملامحه القوية الجامدة، يتابع كل ما يحدث بعينيِه الجاحظة وفي يده كأس من الويسكي يتجرعه على فترات متباعدة، جون رابي يدخل بصحبة زوجته مرتديًا ملابسه الرسمية ويترجل تجاه الحضور، يصافح معظم الناس الواقفين في طريقِه حتى وصل إلى تلك المنضدة الذي يجلس عليها المبعوث حاد الملامح، صافحه جون فوجد منه فتورًا وتعالي غير مُبرر، لم يأخذه في الاعتبار، اعتبره أمرًا عابرًا وجلس بصحبة زوجته على المنضدة في هدوء، المبعوث يتابعه بعينيه وهو يتجرع شرابه ببطء يثير الأعصاب.

– أرى أنك حزين يا جون.

نظر له من فوق عويناته ثم أجابه.

– إلى حد ما.

– ولما الحزن من الأساس.

– حينما تملك عملًا أو إنجازًا عظيمًا ستعرف إجابة هذا السؤال.

احتقن وجه المبعوث واحتدت نظراته أكثر.

– أنا أنتمي لكيان عظيم ولحزب عظيم أيضًا، وهذا في حد ذاته إنجاز.

– أنا أقصد إنجازًا ذاتيًا حققته بنفسك.

ابتسم المبعوث ابتسامة صفراء.

– هناك أقوال تتردد أمامنا دائمًا بأنك تكره الحزب النازي.

– وكيف أكره حزبًا أنتمي إليه؟؟

– أنت تنتمي إلينا كما ينتمي اللص إلى الكنيسة التي يصلي بها، ظاهره مؤمن بتعاليمها وباطنه عكس ذلك.

– تقصد من باللص، من بنى تاريخ المكان أم من يريد هدمه؟؟

– حديثك يحمل إهانة كبيرة لمجلس الإدارة.

– أنت من اختار التشبيه، أنا مجرد رد.



– سيكون هناك حساب عسير في ألمانيا.

– هذا يتوقف على قبولي للأمر.

اتسعت عين المبعوث عن آخرها.

– ماذا تقصد؟؟

– قريبًا ستفهم كل شيء.

– لا، أريد أن أفهم الآن.

قالها بانفعال شديد جذب أنظار بعض الأشخاص القريبين منهم، لم يُنهِ كلامه حتى استمعوا إلى صوت طائرات حربية تحلق على مسافة قريبة جداً منهم فارتعدت فرائصهم وتسلل الخوف إلى الجميع، حتى المبعوث الذي كان يتحدث بعصبية انكمش على نفسه مما دفع جون للسخرية.

– لا داعي للذعر، هذه غارات يقوم بها الجيش الياباني منذُ أن حاصر المدينة، لكنه لم يضرب صاروخاً واحداً، اطمئن أيها الصغير.

لم ينهِ كلامه حتى سقطت قذيفة بالقرب من المبنى فأصدرت صوتًا جهوريًا عاليًا وأطاحت بالزجاج وسقطت النجفة الكبيرة العالية التي كانت تُنير القاعة فصرخ الجميع وانتابتهم حالة من الهلع



والخوف، الكل يركض خارج القاعة، بدأ جون يبحث عن زوجته التي اختفت عن أنظاره مع تصاعد حالة العشوائية في المكان، ينادي عليها في الظلام حتى وجدها، كان الرعب يتمكن منها تماماً، أخذها في أحضانِه وخرج معها سريعًا إلى الخارج، الكل يركض بعشوائية مع تصاعد أصوات الطائرات الحربية في الخارج، ظل جون يحمي زوجته ويحافظ عليها حتى خرج خارج المبنى تماماً، أصبح في شارع داخل المصنع المقام فيه الحفل، نظر إلى السماء فوجد الطائرات تحلق على مسافة قصيرة منهم، تقترب من رؤوسهم فتصنع ذلك الصوت المرعب الذي يصرخ على أثره الجميع، هناك طائرة حربية تقترب منهم بسرعة كبيرة وعلى مسافة قريبة جداً من رؤوسهم، صرخ جون في الجميع وأمرهم أن ينبطحوا فصدعوا للأمر والطائرات تمر من فوقهم على مسافة قريبة جداً وسط صراخ شديد، استقام جسده بعد مرور الطائرات فوقعت عيناه على كرات اللهب التي تضيء ظلمة الليل على مسافة بعيدة، زوجته تشاركه نفس المشهد وهي تبكي وتنظر إليه.

– ماذا يحدث يا جون.

– يبدو أن اليابانيون أرادوا أن تكون الغارة مؤثرة هذه المرة.

– علينا أن نفعل شيئًا.

تذكر جون أن هناك علم كبير يحمل الشعار النازي في مكتبه الذي يقع في مبنى مجاور للمبنى الموجودة بداخله قاعة الاحتفالات.

– علي أن أذهب إلى مكتبي.

– لماذا؟؟؟

– يوجد بها طوق النجاة الوحيد.

– كيف؟؟

– هؤلاء لا يدركون أن هذا المبنى تابع للحزب النازي، سأحضر العلم وأشهره أمامهم فيبتعدوا.

– سأذهب معك.

فكر سريعًا ثم أخبرها بلهجة سريعة بأن تبقى هنا فرفضت بشدة فوافق على طلبها لأنه لا يملك الوقت للنقاش، شدها من يدها وهرع وهي بصحبتِه وسط الحشد الكبير الذي يملأ ساحة المصنع، يخترقهم ويعبر من خلالهم وفي يده زوجته، أصوات الطائرات لا تزال ترتفع فوق رؤوسهم تصحبها الصرخات التي يطلقها معظم من يتواجد داخل الساحة، جون لا يهتم بشيء سوى



الوصول إلى غرفتِه، انفجار مفاجئ رج أركان المكان جاء على أثر قذيفة اطلقتها طائرة حربية يابانية أدت إلى سقوط بعض من أجزاء أحد المباني داخل ساحة المصنع الكبيرة، انخفض الجميع وانحنى وارتفع الصراخ لكن جون استمر كما هو كأنه لا يستمع إلى شيء، ظل يركض بصحبة زوجته حتى وصل إلى مدخل المبنى.

– هيا، هيا علينا أن نسرع إلى مكتبي.

قالها جون وهو يصعد درجات السلم بسرعة رهيبة لم يعتد عليها وهي تُجاهد بشدة لتصل إلى سرعتِه، استمرا في الركض حتى وصلا إلى الطابق الثالث الذي يوجد فيه مكتبه، ركضا سوياً في الردهة الطويلة وصوت الطائرات في الخارج مرعب، وصلا إلى الغرفة، فتح الباب ودلف إليها بسرعة، وصل إلى الكومود، فتحه وأخرج منه علماً كبيراً أحمر اللون ثم أخذ زوجته وشرع بالخروج، يركض وهو يمسك يد زوجته، لكن تأتي الرياح دائماً .... هزة كبيرة على أثر انفجار قريب رج المبنى بالكامل مما أدى إلى سقوطهم على الأرض، صرخت زوجة جون بشدة أمَّا هو فقد قاوم قدر المستطاع، احتضن العلم حتى لا يفقده، إضاءة المكان ارتعشت ثم عادت بقوة مرة أخرى، لف ذراع زوجته حول رقبتِه والعلم يحتضنه بيده الأخرى وشرع يركض بتلك الوضعية الصعبة، الطائرات لا تزال تحلق فوق



المبنى، جون يتابع الركض حتى وصل إلى السلالم، نظر إلى زوجته فوجدها خائفة، جسدها يرتعش ودموعها لا تتوقف، لا حل سوى ذلك الحل الذي يراود عقله، حملها على ذراعيه بعدما وضع العلم تحت إبطه وبدأ يهبط السلالم وهي تتعلق به وبرقبتِه كالطفلة الصغيرة، هبط درجات السلم إلى أن خرج من المبنى وهو يحملها، يركض تجاه الساحة التي يصيبها الجنون، وقع عيناه على باب المصنع فوجد عدد كبير من عمال المصنع الصينيين يتجمعون حول الباب بصحبة أسرهم، يضربون علي الباب بأيديهم ويتوسلون إلى الأمن كي يفتح لهم الباب ويسمح لهم بالمرور، رجال الأمن الصينيون مثلهم يُطأطئون رؤوسهم خجلاً ولا يسمحون لأي منهم بالدخول، استفز هذا المنظر جون لدرجة أنه أنزل زوجته وطلب منها أن تختبئ في تلك البقعة التي رأي أنها آمنة وأنه سيذهب لحل هذا النزاع، زوجته كانت خائفة وترتعش، فقبل رأسها وطلب منها أن تهدأ ولا تنزعج وأن الأمر سيُحل في غضون دقائق، قبل رأسها مرة أخرى ثم هرع تجاه الباب، وقف أمامه ينظر بعينيه إلى وجوههم التي يتشكل عليها كل أنواع الألم.

– افتح الباب واجعل الجميع يمر.

قالها جون لرجل الأمن فأجابه.



– الأوامر جاءت بألا نجعلهم يعبرون يا سيدي.

– من الذي أعطى هذه الأوامر السخيفة.

قالها جون بعصبية فأتاه صوت المبعوث.

– هذه أوامري.

نظر إليه جون باشمئزاز شديد.

– لماذا أعطيت هذه الأوامر؟؟

– كي أحافظ على معدات ومقتنيات الشركة.

– تحافظ عليها!!! هؤلاء هم عمال الشركة، هؤلاء من بنوها وظلوا بجوارها لسنوات طويلة، والآن على الشركة حمايتهم هم وأسرهم.

– لا يعنيني كل هذا، أنا فقط أهتم بكل ما هو ألماني فقط.

– هذه التصرفات لا ترضي الرب.

– لكنها ترضيني وترضي إدارة الشركة.

احتقن وجه جون ونظر إلى وجوه العمال الصينيين الذين يظهرون خلف البوابة الحديدية فبدوا أمامه



كالسجناء الواقفين خلف القضبان، نظر إلى وجه المبعوث فوجده ينظر له باستفزاز شديد مما أدى إلى انفعال جون فسار بسرعة رهيبة وأزاح رجال الأمن بالقوة ثم فتح الباب على مصراعيه وسمح للعمال الصينيين بالدخول وسط نظرات المبعوث النارية، هرع إليه ومسك ملابسه بالقوة.

– أنت تتحدى قرارات الإدارة وستدفع ثمن ذلك.

– سأكون في غاية السعادة وأنا أدفع الثمن.

دفعه وهرع إلى زوجتِه التي تحمل العلم النازي وتجلس بجوار الحائط حيث تركها، أمر كل العمال أن يفردوا العلم ويرفعوه بطول أذرعهم إلى أعلى فظهر العلم النازي بوضوح شديد أمام أعين الطيارين اليابانيين فوجدوهم بدأوا يغيرون مسارهم ويبتعدون عن المبنى حينما أدركوا أنه تابع للحزب النازي، تعالت صيحات العمال بعدما أدركوا النجاة، احتقن وجه المبعوث وهو يرى العمال يقبلون جون ويشكرونه على ما قدمه لهم.

– شكرًا يا سيدي، لقد أنقذت حياتنا وحياة أسرنا.

قالها أحد العمال لجون فلم يتهلل وجهه ولم يبتسم.



– هذه مجرد مناورة، القادم سيكون آسوأ، نانجينغ باتت قريبة من أيدي العدو.

تبادل العمال النظرات المرتجفة مع بعضهم البعض قبل أن يستأنف جون كلامه.

– لا أحد منكم يغادر المكان، هذه هي المنطقة الآمنة الوحيدة كونها ألمانية، احتموا أسفل العلم واجعلوه دائمًا مرفوعًا أمام أعين العدو.

* * *

جون رابي يجلس مع لي يونج والطبيب والضابط الصيني الذي انضم إليهم وهو يروي قصته مع القصف الياباني الغاشم، الجميع يستمع إليه بتركيز وإمعان شديد عدا الطبيب الذي عاصر معه كل شيء، استأنف جون حديثه.

– في الصباح قام الجيش الياباني باقتحام العاصمة ليصنع أبشع مجزرة في التاريخ.

تبادل لي يونج النظرات مع الضابط المُصاب ثم أردف جون.

– في خلال الأيام القليلة الماضية رأيت جثث أطفال وجنود ومدنيين كلهم ماتوا بطرقٍ بشعة، حقًا أنا



أصبحت أكره اليابان وأصبحت أيضًا عدوًا لها.

– هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها مثل هذا الكلام من شخص ألماني ينتمي إلى الحزب النازي.

– أنا دائمًا مع الحق، لا أعير الأحزاب أو الانتماءات أي اهتمام، في الصباح سوف أذهب إلى السفارة اليابانية من أجل الحصول على موافقة رسمية على عدة أمور هامة خاصة بالمنطقة الآمنة، وبعد الانتهاء سنذهب سويًا إلى هناك لتصبحوا بأمان وليبحث لي يونج عن عائلته التي أعتقد أنها بنسبة كبيرة ستكون هناك.

نظر إليه الضابط الصيني واتسعت عيناه فابتسم جون وأخبره أنه قص عليه قصته بالكامل وقصة عائلته فهز الضابط رأسه متفهمًا قبل أن يصفعه جون بسؤالِه ويسأله عن عائلته هو فارتجف لي يونج وكذلك الضابط وظل يبحث سريعًا عن قصة يختلقها ليُجيب عن سؤال جون، تبادل النظرات مع لي يونج ثم ارتسمت إجابة في رأسِه فأخبره أن كل عائلته ماتت في القصف الياباني الغاشم، هز جون رأسه متفهمًا ثم طلب منهم الخلود إلى النوم لأن أمامهم في الغد أمور كثيرة.

* * *



الهدوء يعم أرجاء المنزل بالكامل بعدما أخلد الجميع إلى النوم، لا يكسر ذلك الهدوء سوى صوت المدرعات و المجنزرات وهي تمر بجوار المبنى على فترات متباعدة فيستمع إليها من يحتفظ بوعيه ولم يستسلم للنوم، إضاءة المكان خافتة جداً، لي يونج نائم على السرير الذي خصصه له جون، عيناه مفتوحة وينظر إلى سقف الغرفة، يسرح بعقله الباطن في أسرته ووالدته التي يُمني النفس بأن يلقاهم قريبًا، لا يزال الضابط أيضًا مستيقظًا، ينظر في سقف الغرفة هو الآخر قبل أن يتحدث إلى لي يونج.

– كنت أعلم أنك لن تستطيع النوم.

– هذا النازي أشعل الأمل في قلبي ورأسي مرة أخرى، كنت أعتقد بأنني لن ألقاهم ثانيةً.

– أخشى أن يكون هذا النازي يتلاعب بنا، فهؤلاء جميعهم قوم يمتلكون نفس الصفات الخبيثة.

– لا أعتقد، فقد استدعى الطبيب لِيداويك، كان من الأحرى أن يُسلمنا لقوات العدو المنتشرين في كل مكان.

– أتمنى ألا يكون ينوي تسليم الطعام مطهو.



– لا أعتقد ذلك، سيكون كل شيء على ما يرام بمشيئة اللّه.

– سوف نرى.

– هل ستأتي معي إلي المنطقة الآمنة أم سترحل.

– إذا رحلت سيرتاب النازي في الأمر، علاوة على أنني أريد أن أتفقد تلك المنطقة الآمنة، فكما أخبرتني أن هذا النازي يُسلم كل الجنود الذين يذهبون إلى هناك بأمر من الجيش الياباني، هذا معناه أن لا أحد يعلم ما يحدث في الداخل، رؤيتي للمكان ربما تفيدنا في وقتٍ ما.

– بمشيئة اللّه لن يُصيبك أذى لأنك رجل صالح، تُضحي من أجل شخص لا يربطك به أي شيء.

ابتسم الضابط في رضا.

– والدي عاصر حروبًا عديدة وكان دائمًا يُخبرني بأن أقوى العلاقات هي التي نشأت وتكونت في الحروب، وأنا كنت لا أصدق هذا الكلام حتى وجدتك، هناك شيء لا أعلمه أصبح يربط بيني وبينك في رباطٍ مقدس، العلاقة بيني وبينك باتت كالزواج الكاثوليكي الذي لا طلاق فيه، أصبحت أشعر أنك أخي الذي لم تلده أمي، أنا لا أعلم سر هذا الارتباط



لكني لست مستاءً، سنذهب معًا للمنطقة الآمنة وسنبحث سويًا عن أسرتك.

– ولكني أشعر بالقلق تجاهك، أخشى ان ينكشف أمرك.

– لا داعي للقلق فقد وصلنا للقاع ولا يوجد أسوأ من ذلك سوى الموت والموت يعتبر نجاة لما نجده حولنا، والآن أخلد للنوم فأمامنا يوم طويل كما أخبرنا النازي من قبل.

ابتسم لي يونج وشعر بسعادة عارمة، وضع رأسه على السرير بأريحية شديدة ولا يعلم أن زوجته المسكينة تقضي ليلتها وهي تتقلب على سنابك القلق والظنون في زنزانتها منتظرة البشرى التي وعدها بها الجندي الياباني الذي أعطاها الماء هي ومن معها قبل أن يتركها وينصرف.

– ٩ –

قضت الزوجة ليلتها مُسهدة، لم يغفل جفنها لحظة واحدة بعدما زرع الجندي الياباني تلك التي جعلتها تتقلب مع الظنون، لا تُدرك هل هذا الجندي لا يزال يمتلك ضميرًا حيًا يتنفس بداخلِه أم أنه فخ نصبه لها، رحلة شاقة من التفكير ظلت تلتهم الساعات بصحبة غناء رفيقة الزنزانة الذي يحطم أعصابها ويصيبها بالتوتر، لكن ابتلعت غضبها بعدما أخبرها الجندي أنها تحت تأثير صدمة عصبية شديدة بسبب الضغوط التي تحملها وبدأت تنوء بحملها، مع مرور الساعات بدأ غناءها يتضاءل تدريجيًا حتى أنه بات لا يُسمع، التقطت أذنا الزوجة وقع أقدام تتعاظم خارج الزنزانة، إنهم الجنود في حالة استنفار شديدة، يحملون العصي اللدنة ويقتربون من أبواب الزنازين بوجوههم الواجمة الجامدة، الإضاءة بدأت تنير المكان على استحياء مع انتشار الجنود فأدركت أن الصبح بدأ يتنفس ذلك التنفس البطيء الكئيب الذي اعتادت عليه منذُ أن دخلت إلى ذلك المكان، الضوء الطفيف الذي بدأ يتسلل إلى الزنازين مكنها من رؤية تلك الفتاة التي سقتها الماء البارحة فوجدتها تحطُ على الأرض دون حِراك، هناك مفتاح يولج في باب الزنزانة ليصدر بعدها صريره الكئيب وهو يُفتح ليقتحم الجنود الزنزانة، دون



مقدمات انهالوا على جسد الفتاة التي سقتها الزوجة بالأمس بالعِصي لأنها كانت الأقرب إلى الباب، أخذوا يضربونها بقوة لكنها لم تتحرك ولم تصدر أي صوت، لم تصرخ كما تصرخ النساء في الزنازين الأخرى مما دفعهم للضرب بقوة لدرجة أن العِصي بدأت تحفر علامات حمراء على جسدها لكن لم يجدوا منها أي رد فعل يُذكر، تبرع أحدهم وجلس القرفصاء وظل يقلبها يمينًا ويسارًا فوجدها جثة هامدة فطلب من الجميع استدعاء قائد المُعسكر.

دقائق قليلة مرت حتى وصل قائد المُعسكر وبصحبته طبيب وعدد لا بأس به من الجنود والضباط، بدأ الطبيب الكشف على الفتاة، يقلبها يمينًا ويسارًا ثم ينظر بالكشاف الصغير في عينيها ثم يستمع إلى نبضها، بدا الأمر واضحًا عليه قبل أن ينظر إلى القائد ويخبره بأنها ماتت، فضحك القائد ملء شدقيه قبل أن تقع عيناه على الفتاة الكورية «نيكو» المتقوسة على نفسها وتولي لهم ظهرها، سار إليها بهدوء ثم زعق فيها كي تنتفض فلم تستجب له، ركلها بقدمِه في ظهرها بقوة فكانت الإجابة نفسها، لا شيء على الإطلاق، طلب من الطبيب أن يجري الكشف عليها في الوقت الذي بدأ يتبادل مع الزوجة النظرات الجامدة حتى أتاه قرار الطبيب أن الفتاة الكورية



أيضًا قد فارقت الحياة، ابتسم القائد ثم أمر الجنود بتقطيعهما وإطعام كلاب الحراسة الشرسة بلحمهما، أمر أيضًا زبانية العذاب بإخراج الزوجة من الزنزانة فنالت على جسدها نصيبها كاملاً من الإهانة والضرب حتى خرجت من الزنزانة في الوقت الذي دلف فيه مجموعة من الجنود إلى الداخل وحملوا جثثتي رفيقتيها وحملوهما إلى حيث لا تعلم.

أمر القائد الجنود بصوتٍ جهوري أن يخرجوا السبايا إلى فناء المعسكر فيسمح لأشعة الشمس التي تظهر على استحياء أن تلامس أجسادهن التي أكل منها البرد حتى شبع، فبدأ الجنود بتنفيذ الأوامر بكل حزم وقوة فراحوا يضربونهن بقوة وبعنفٍ زائد حتى أخرجوهن إلى فناء المعسكر الواسع حيث أشعة الشمس البسيطة، اصطففن في صفوفٍ متتالية يجمع بينهن الذل والخضوع قبل أن يحط الصمت الموحش على المكان فيمسي موحشًا كالموت، درجة الحرارة منخفضة إلى حد كبير على الرغم من أشعة الشمس التي تغطي أجسادهن، بعضهن يشعرن بوخذاتٍ في الأنامل ويرتعشن كأنهن مصابات بنوبات صرع من دوامات الهواء البارد التي تلسع أجسادهن، الصمت يحط على المكان ولا يكسر وحشته سوى صرير أسنان النساء اللاتي يشعرن بالبرد وحشرجة الزلط



والحصى تحت حذاء قائد المعسكر الذي يسير أمامهن متفرساً في أجسادهن العارية، أمر جنوده بتوزيع ملابس عليهن فسلموا كل واحدة طقم من قماشٍ خشن هو إلى الخيش أقرب، خالي تماماً من التناسق والاستواء، لكن لا مجال للنقد أو للاختيار، ارتدين الملابس بسرعة البرق قبل أن يبدأ الجنود بتوزيع الطعام عليهن فكان نصيب كل واحدة منهن رغيف بارد اختلط دقيقه بمواد غريبة وحشرات مختلفة لك كل هذا لن يمثل أي عائق، فقد التهمنه دون الالتفاف إلى أي شيء، أخذت الزوجة كسرة خبز ووضعتها في فمها وبدأت تمضغها ببطء وأشعة الشمس تجاهد مُحاولة تدفئتها، وقعت عيناها على اثنان من الجنود يخرجان من مبنى صغير مُخصص لتحضير الطعام، يسيران على مسافة قريبة منهن، ومن موقع الزوجة الذي جاء في مقدمة الصفوف فجعل رؤيتها واضحة شاهدتهما وهما يحملان إناءً معدنياً كبيراً مليئاً عن آخره بلحمٍ وعظام مقطعة إلى أجزاء صغيرة، كثافة اللحم وتكدسه في الإناء جعل بعضاً منه يتساقط على الأرض مما جعل الجندي يتوقف ليلتقط ما وقع منه على الأرض، دققت الزوجة النظر فوجدت رأس صديقتها الكورية وسط اللحم الذي يملأ الإناء فتأكدت أنه لحم رفيقتي الزنزانة، جف ريقها وشرعت تتقيأ بصوتٍ مسموع جعل بعض الجنود القريبين منها يصابون



بالاشمئزاز الشديد، اقترب منها جندي كريه الوجه والرائحة فبدأ الخوف يتضاعف بداخلها، حملها من تحت إبطها وسحبها ناحية الصنابير بعدما نزع منها الخبز، ركلها بقدمِه فجثت على ركبتيها، ثم أمرها بصوتٍ جامد أن تبقى هنا حتى تنتهي من تلك الأفعال القذرة، موضعها الجديد بجوار الصنابير جعلها تشاهد الموقف من زاوية أخرى فوجدت الجنديان يلقيان بلحم رفقاء زنزانتها داخل قفص الكلاب فيلتهمومهما بكل شراسة، الموقف كان في غاية الصعوبة مما دفعها لتفقد وعيها وتسقط على الأرض مغشيًا عليها.

* * *

الزوجة نائمة على سرير في العيادة الطبية، تُحرك عينيها بسرعة فائقة، تُحرك أطرافها كأنها تقاوم ما هي فيه مُحاولة الهرب، استيقظت حواسها دفعة واحدة وهي تشعر بألم شديد في ذراعها، نظرت بعينيها سريعًا تجاه ذلك الألم فوجدت إبرة رفيعة مغروزة في وريدها بواسطة الطبيب الذي يحقن في جسدها سائلًا ما سيساعدها على الإفاقة، إن الطبيب الذي سبق وبصقت عليه سلفًا، كان هذه المرة متجهمًا بشكل أوحى إليها بالريبة والقلق، انتهى من ضخ السائل ثم نزع الإبرة بعنفٍ زائد، مسد يدها بالقوة وهو ينظر في ساعة يده ليتفقد نبضها، الزوجة تنظر إلى وجهه جامد



الملامح حتى انتهى من الكشف فزعق بصوتٍ جهوري لأحد الجنود ثم طلب منه أن يقتادها إلى حيث العمل فهي الآن أصبحت في أفضل حالاتها الصحية.

بغلٍ مبالغ فيه دفعها الجندي أمامه وكل سنتيمترات قليلة يضربها بتلك العصا اللدنة على جسدها لتسرع من خطواتها، حتى وصلت إلى فناء المعسكر فوجدت العذاب يتجسد هناك كما عهدته من قبل، الجنود يغتصبون النساء وما تبقى من الفتيات بنفس تلك الطريقة الحيوانية التي شاهدتها من قبل، الألم والحزن يفترس وجوههن افتراسًا في الوقت الذي تتعالى فيه ضحكات الضباط والمشرفين على الحدث، الموقف كان صادمًا جدًا رغم معرفتها السابقة لما سيحدث، مما دفعها للتوقف عن متابعة السير فما كان من الجندي إلا أن انهال عليها بالعصا اللدنة التي بدأت تفرقع على جسدها من شدة الضرب فهرولت أمامه كالفأر المذعور حتى وصل بها إلى غرفة منفصلة تطل على الفناء ويستخدمها القادة في اغتصاب الفتيات على عكس الجنود الذين يفعلون ذلك في منتصف الفناء، دفعها الجندي إلى الداخل بقوة وهو يسدد لها كلماته القاسية ويخبرها بلسانٍ سليط أن من حسن حظها أن هناك قائد طلب أن يغتصبها ولا يعلم هو ما سر انجذابه لها،



أغلق الباب في حزم وهو يطلب منها أن تنتظر وصوله، الغرفة كانت خالية من كل شيء عدا سرير كبير وكومود على سطحه طبق فاكهة لم يُؤكل من محتواه ودولاب خشبي صغير، التفت الزوجة بعينيها في الغرفة لكن لم يدم الأمر طويلاً حتى استمعت إلى صرير الباب وهو يُفتح لتجد أمامها قائداً ذو رتبة عسكرية في الجيش الياباني، من الوهلة الأولى شعرت زوجة لي يونج بأنه شخص سمج كأفراس النهر، بدأ يقترب منها فيتضاعف الخوف بداخلها مئات المرات وهي تنظر إلى وجهه السمج البارد، دون مقدمات نزع من عليها ما تبقى من ملابس ثم حملها وألقاها على السرير قبل أن ينقض عليها كالضبع الجائع الذي سيلتهم منها قدر ما شاء ليخرس شهوته.

بدأت الزوجة تنسى أنها إنسانة لها حق وحرية وكرامة، تكره جسدها الذي بات مُباح للجميع، يتعرى منذُ أن وطئت قدماها إلى ذلك المكان، إنها كانت على متن سفينة تحطمت على صخرة فنجت منها ووصلت للشاطئ، لكنها تركت في حطام السفينة اسمها وهويتها وكرامتها وكل شيء يُشعرها بأنها إنسانة من حقها أن تحافظ على شرفها، العذاب النفسي الواقع عليها في هذه اللحظات الرهيبة دفعها للتفكير في قتل هذا القائد الخسيس حينما وقعت عيناها على



السكين الرفيعة التي بجوار طبق الفاكهة الموجود على سطح الكومود، ستمد يدها من دون أن يشعر هذا الحيوان الأعجم وتغرزها في رقبتِه، الحالة النفسية والعصيبة التي كانت تتملكها في هذه اللحظات جعلها لا تفكر في العواقب أو في وعد الجندي الياباني لها، بهدوء مدت يدها ببطء شديد وهذا الحيوان مشغول في اغتصابها، سحبت السكين بعدما اضطرها مكانها لمد ذراعها أكثر من اللازم، التقطتها في الوقت الذي بدأ فيه هذا البغيض زيادة العنف في اغتصابها، عدلت من وضع يدها ثم رفعت السكين وهي تستعد لرشقها في رقبتِه، يحول بينها وبين قتل هذا القائد حركة واحدة لكن قبل أن تشرع في ذلك ارتفع صوت صراخ متتالي فكان من العسير أن تميز أنه يعود لرجل أم لامرأة، هاجت الأجواء وتعالت الصيحات مما دفع القائد لينتفض ويهب منتصباً، ارتدى ملابس بسيطة ليستر بها عورته وخرج إلى الفناء ليعلم سر ما يحدث في الخارج، لم تتمكن الزوجة من تنفيذ خطتها فاكتفت بالجلوس متيبسة تستمع إلى صوت الأجواء الهائجة في الخارج التي حركت شغفها بالدرجة التي دفعتها للترجل حتى وصلت إلى باب الغرفة ثم أخرجت رأسها على استحياء فوجدت جندي من جنود العدو يجلس على الأرض ورأسه بها شَجٌّ والدماء تكسو وجهه، مدت نظرها فرأَت امرأة عارية نائمة



على بطنها وجنديان يوثقان يدها خلف ظهرها في حزمٍ، نظرت الزوجة بجوار المرأة فوجدت طوبة متوسطة الحجم عليها آثار دماء فأدركت أنها فعلت ما كانت هي تنوي فعله ولكن لم يرتق بها الأمر إلى إصابة قائد، فقط اكتفت بإصابة هذا الجندي الذي ينزف بلا هوادة، رفعها الجنود بغيظٍ والجندي المُصاب لا يزال يتألم، تجمد كل من بالفناء على وضعِه وهو ينظر لها، سحبها الجنود مسافة صغيرة حتى ظهر قائد المعسكر وهو يسير تجاههم فتجمدوا على وضعهم حتى وصل إليهم، رمقها والشرر يتطاير من عينيه ثم نظر إلى الجندي المُصاب في الوقت الذي بدأ يقترب فيه الطبيب منه ليُداوي جرحه فاستوقفه القائد والجذوة الشيطانية تتوهج بذاتِه، زعق في الجنديان وأمرهم أن يسحبوها إلى منتصف الفناء في الوقت نفسه أمر الجنود جميعًا بأن يسوقوا النساء حتى تلك البقعة حتى تصبح الرؤية واضحة فصدعوا جميعًا للأمر والخوف يتمكن من كل خلية من خلايا المرأة التي أصابت الجندي، سار القائد بثبات وبثقة كبيرة حتى بات قريب جدًا منها ثم بدأ يتحدث إلى السبايا ويخبرهن أن ما فعلته تلك العاهرة هو جريمة لا يمكن أن تغتفر لذلك سيتم عقابها بشراسة، أنهى كلامه ثم نظر إلى الجندي المُصاب وأمره بلهجة قاسية أن يأتي إلى هنا فنهض واقفًا ثم هرع إليه في عجالة، اتسعت عيناه



وبات لا يفهم ما يحدث حينما وجد فوهة السلاح الناري مصوبة إلى رأسه، ملامح القائد كانت تنُمُ عن أنه لا يمزح معه، دون مقدمات ضغط على الزناد فأسقطه قتيلاً.

وضع القائد المسدس في المكان المخصص له ثم نظر للجميع وبدأ يتحدث إليهم.

– القائد الناجح لا يقتل رجاله، لكن الجندي الذي يصرخ من إصابة عاهرة له لا يُعد من رجالي، أي جندي من جنودي يسمح لعاهرة أن تتعدى عليه سيكون هذا مصيره، الآن نعود إلى العاهرة التي تجرأت على فعل ذلك.

سار تجاهها حتى بات قريب من جسدها القابع على الأرض تحت رحمة الجنود اللذين يقيدونها.

– بسببك فقدنا جندي من جندنا، أنا لن أقتلك لكني سأجعل منك عبرة لأي عاهرة توسوس لها نفسها بفعل شيء شبيه فعلتك.

زعق بصوتٍ جهوري أن يأتوه بساق حديدية ساخنة فاتسعت أعين الجميع في الوقت الذي بدأ فيه عقل المرأة الباطن يتوقع ذلك الأمر الذي سيشرع القائد في فعلِه، حاولت الهرب وهي تصرخ لكن الجنديان فرضا عليها سيطرتهما بكل سهولة، نظر لها



القائد وهو يبتسم بخبث وأراد أن يُزيد الموقف إثارة فأخبرها بصوتٍ تظهر الشماتة في كل ثناياه أنه سيكوي لها عضوها التناسلي ثم يتركونها دون علاج أو حتى مياه باردة لتحد من الألم عقابًا لها على ما اقترفته، بهذه الكلمات البسيطة في ظاهرها جعلها تتلوي كالثعبان تبكي وتصرخ مُحاولة الخلاص لكنها كلها محاولات لم تأت سوى بالفشل.

تقدم تجاههم أحد الجنود يحمل في يديه ساق معدنية حمراء ملتهبة الحرارة، القائد يبتسم وهو يشاهد المرأة تتلوى خوفًا والجندي يقترب منها بتلك الساق، دون مقدمات جثا على ركبتِه وبدأ بالكي فصرخت صراخًا قهريًا عاليًا يرجف القلوب فبدأت الزوجة ترتعش على أثره، تدمع عيناها وتلتهب شفتاها بالدعاء الحار، الصراخ يتعالى حتى أصبح مخيفًا فازداد خوف الزوجة وكذلك النسوة، شعرن جميعًا بأحاسيس غريبة ومختلفة يتضاءل بجانبها الموت.

انتهى الجندي من فعلِه الضار فحملها الجنديان بعدما أغشى عليها وفقدت وعيها مما حدث لها، حملوها إلى حيث لا يعلم الجميع، عم الصمت والجو الكئيب على المعسكر حتى بدأ القائد يتحدث لهن ويخبرهن بأنهن مررن بأوقات عصيبة وتوترات جعلت الجو مشحون، لذلك لابد من قيام مسابقة

تكسر هذا الملل والكآبة، صاح الجنود اليابانيون قبل أن يرفع القائد يده ويأمرهم بالهدوء حتى ينتهي من كلامِه ثم أردف.

– أنا من عشاق سباق الخيول، كنت في طوكيو قبل بدء الحرب أذهب دائمًا لمشاهدة السباقات، لكن الحرب اللعينة أبعدتني عن مشاهدة المسابقات التي أعشقها لذلك قررت إقامة مسابقة موازية لها هنا.

تبادل الجميع النظرات المبهمة في الوقت الذي تجول فيه القائد بعينيه في الضباط الذين يملؤن الفناء ثم شرع في اختيار سبعة ضباط بطريقة عشوائية ثم أمر كل ضابط بأن يختار امرأة أو فتاة تروق له فصدع الضباط للأمر وبدأوا في اختيار السيدات والفتيات لتبدأ بعدها حالة عاتية من البكاء والانهيار أصابت من وقع عليهن الاختيار، همت واحدة منهن بالبكاء والتوسل إلى القائد بأن يرحمها ويبعدها عن ذلك لكن ما كان منه إلا أنه أصدر ضحكات صفراء شيطانية عالية دون أن يلتفت إليها.

صفوا المصطفات بجوار بعضهن بعدما أخلوا جزءً كبيرًا جدًا من الفناء وجعلوا السبايا على الجانبين ليشاهدن ما سيحدث بصحبة باقي الجنود الذين يصيحون فرحًا، السيدات يقفن في صفٍ واحد يربط

بينهن الخوف والألم في رباطٍ مقدس، أمرهن القائد أن يتخذن على الأرض وضعٍ على أربع مثلما تفعل البهائم فصدعن للأمر وسط وابل من اللسعات لكل من تتأخر في التنفيذ ثم أمر كل ضابط أن يمتطي السيدة التي اختارها كما يمتطي الخيال الفرس وسط ذهول الجميع، استجاب الضباط للأمر وسط الضحكات المختلطة ببكاء السبايا داخل المكان، بدأ القائد يتحدث إلى الجميع.

– سأطلق رصاصة في الهواء بعدها ستنطلق السيدات حاملات الضباط على ظهورهن، سيركضن بكل ما أوتين من قوة حتى يصلا إلى المنطقة المقابلة للصنابير، السيدة الأسرع ستحصل على راحة وعفو من كل شيء لمدة سبعة أيام، والثانية والثالثة سيحصلن على أربعة أيام أمّا الثلاثة مراكز الأخيرة سيقمن بالخدمات نيابة عن المراكز الأولى.

تبادل الجميع النظرات في الوقت الذي بدأ يتحرك فيه القائد وهو يستأنف حديثه ويخبر الجميع أن السباق سيبدأ حينما تنطلق الرصاصة من سلاحه الناري، ومن تتقاعس لن تجد إلا الإهانة والهوان، وقف خلف ظهورهِم وصنع بقدميه زاوية منفرجة، أشهر سلاحه الناري وصوبه ناحية السماء وهو يستمع إلى نحيبهن، أطلق الرصاصة فانطلقت النساء بأقصى سرعة وسط ضحكات الضباط الذين



يمتطينهن والجنود الذين يتابعون المشهد على الجانبين، النساء يهرولن على أيديهن وأرجلهن قدر المستطاع، كل منهن تمني النفس بأن تنال الجائزة وتأخذ فترة راحة دون خدمة أو اغتصاب، يركضن بأقصى سرعة ليتخطين تلك المسافة التي كانت نهايتها على بعد مائة وخمسين مترًا من نقطة البداية، يسرعن الخطوات متجاهلات الحصى والطوب الناشف حاد الأطراف الذي يرشق في جلد كفوفهن وركبهن، تناسين الألم ولم يفكرن سوى في الوصول، الزوجة تتابع ما يحدث أمامها بعين اتسعت من شدة الذهول، يأبى عقلها تصديق ما يحدث أمامها، الدموع تنساب على خديها دون صوت وهي تتلو في سرها ما تحفظه من أدعية، النساء يهرولن قدر المستطاع حتى أن بعضهن سقطن بحملهن الذي يقسم ظهورهن فنلن ضربًا وصفعًا وركلًا حتى شفى الضابط الذي سقط غليله على خسارته في المسابقة، استمرت حالة الجنون هذه في ساحة الفناء حتى انتهت المسابقة وفاز الثلاثة نساء، ارتفع التصفيق في الوقت الذي بدأت فيه المتسابقات النظر في كفوف أيدهن وأرجلهن فوجدن قشورًا وخدوشًا جعلت الدماء تظهر بوضوح شديد على أثر ما لقين على أرض الفناء حتى أن بعضهن أصبحن غير قادرات على وضعها على الأرض أو حتى لمسها، ابتسم القائد في

تشفي ثم أمر الفائزات أن يذهبن للاستحمام، أم الخاسرات فعليهن أن يصدعن للأوامر، فاستجبن له وتعكزن على بعضهن لينفذن أوامره، تحدث القائد إلى باقي السبايا بفخرٍ شديد.

– هن قد فزن وهذا شيء جيد، المسابقة كانت مسلية للغاية وهذا أيضا مؤشر ممتاز، لذلك أنا اقترح أن تقام مرة أخرى ولكن هذه المرة سأختار أنا الضباط والنسوة اللاتي سيتسابقن.

تعالى الانتحاب والنشيج فور انتهاء القائد من كلامِه وبدأ في اختيار الضباط والسيدات، توترت الأجواء واختلجت الأجساد حتى أن بعض النساء توارين خلف بعضهن، الذهول يلف الزوجة فتجمدت في مكانها تتابع الأحداث، جسدها العاري لم يتأثر بدوامات الهواء الباردة، لم تشعر بعوائه ولم تستمع للحنها الصاخب، شعرت بما كانت تحدثها عنه رفيقة الزنزانة قبل أن تُسلم روجها إلى بارئها، تتابع بعينيها تصرفات وقرارات قائد المعسكر الذي يحاول أن يثبت للجميع ولنفسِه بأنه على كل شيء قدير وأن سلطانه لا حدود له ولا غاية لمنتهاه، الأجواء تزداد توترًا والقائد انتهى من اختيار الضباط والآن يشرع في اختيار السيدات، شعرت الزوجة بيد شخص تحط على كتفها فانتفضت فوضع يده على فمها ليُحد من صوتها، نظرت الزوجة فوجدته الرائد الياباني الذي أعطى



لها الماء في الزنزانة هي ورفيقتيها فاطمئن قلبها، دفعها لداخل الغرفة وأغلق الباب ثم رفع يده من على فمها، من دون مقدمات طلب منها أن ترتدي ملابسها فصدعت للأمر، نظر لها بنظره لم ترها منذُ أن وطئت قدمها في المعسكر، تحدث إليها بنبرة صوت بها حنين زائد.

– أعلم أن الجو قارص، ستحميكِ هذه الملابس من البرد.

سقطت دموعها مرة أخرى في توجع.

– أنا لم أعد أشعر بشيء، اللامبالاة أصبحت تتصدر كل مواقفي، كنت أعيب على هاناكو والآن صرت مثلها.

طأطأ الرائد رأسه في حزن.

– هاناكو ماتت وتعامل الجيش مع جثتها بشكلٍ مؤسف، كل شيء اقترفه الجيش الياباني منذ بداية الحرب يدعو للأسف، أنا غير راضي عنه، لذلك قررت أن أقدم لك المساعدة التي وعدتك بها والتي أخبرتك أنكِ لن تنسينها طوال حياتك.

– وما هي؟؟



– سوف تهربين هذه الليلة من هذا الجحيم.

تجمدت على أثر الكلمة وظلت ترمقه بثبات.

– ماذا تقول!!!

– قلت لك سأجعلك تهربين هذه الليلة من هذا الجحيم.

– هل أنت جاد؟؟!!

– نعم، أنا لا أستطيع التخلص من تأنيب الضمير الذي يرافقني طوال الوقت، لذلك أحاول أن أفعل أي شيء يقضي على هذا الألم النفسي وتأنيب الضمير.

– ولماذا أنا؟؟؟

– هذا قدرك، أنا أخطط منذُ فترة طويلة لمساعدة أحد لكن لم يحالفني الحظ، أنتِ الوحيدة التي حالفها الحظ وماتت رفيقات زنزانتها، وفي الوقت نفسه يحدث هذا الهرج في المعسكر وأتمكن من مساعدتك.

– وكيف سأهرب من هنا.

– لا يوجد وقت لكل هذه التساؤلات.



– أريدك أن تخبرني.

تأفف في ملل ثم شرع في إجابتها.

– سوف أستغل حالة العشوائية والفوضى التي بها المعسكر الآن وأضعك في مكانٍ آمن حتى الليل ثم سأجعلك تخرجين من هنا عبر البوابات خارج الأسوار، الآن تعالي معي فليس لدينا وقت لنضيعه أكثر من ذلك.

أنهى كلامه ثم أخذها من يدها وسحبها خارج الغرفة، الأجواء في الخارج يغلفها حالة من التوتر الشديد، فالمسابقة التالية على وشك البدء، دون أن يراهما أحد بدأ الرائد يتسحب بهدوء وأمامه الزوجة تنكس وجهها في الأرض وهي تتلو بصوتٍ غير مسموع الأدعية التي تحفظها لينجيها اللّه، أخذها حتى وصل بها إلى مخزن الطعام الموجود داخل المطبخ، أخرج مفتاحاً من جيبه وفتح الباب الموصد ودخل بها حتى وصلا إلى أجولة الأرز المتكدسة فوق بعضها البعض.

– ستقضين هنا باقي اليوم وفي الليل سوف آتي لأخذك.

– هل أنت واثق مما تفعله؟؟

– بنسبة كبيرة نعم.

تركها وذهب إلى بعض الأواني، ملأ لها طبقاً صغيراً من الأرز ووضع عليه قطعة لحم وأعطاه لها، الزوجة في حالة ذهول شديد وهي تنظر إلى الطعام وتستمع إليه وهو يخبرها أنه يعلم جيداً أنها تشعر بالجوع الشديد، خُيل لها أنها نائمة وهذا مجرد حلم صممه لها عقلها الباطن، نظرت إلى الطعام ثم إلى الرائد الذي طلب منها أن تتناول الطعام سريعاً قبل أن يأتي احد إلى هنا فتناست الألم النفسي والجسدي الذي يعتصرها اعتصاراً وانقضت على الطعام تلتهم منه دون وعي، كانت تأكل كأنها المرة الأخيرة لها وهي تبكي بشدة فتلتهم الطعام أكثر، أصابتها حالة عصبية تمتزج بين الحزن والجوع الذي لا يسيطر عليه أي وعي، انتظرها الرائد حتى ملأت بطنها بالطعام والشراب لكن لم تتوقف دموعها عن الانسياب لحظة واحدة، جلس الرائد القرفصاء أمامها.

– لا تبكي، في خلال ساعات ستعبرين إلى الشاطئ الحقيقي من الحياة.

– أنا لا أبكي من أجل ما أجده هنا فقط، أنا أفتقد زوجي وابنتي، لا أعرف مصيرهما، قتلوا رضيعي أمامي، وأخذوا ابني الأوسط ولا أعرف أيضا مصيره،



أنا رأيت صوراً شتى للعذاب النفسي كانت أشد ألماً على نفسي من تلك الأشياء التي رأيتها هنا.

– ما فعله الجيش الإمبراطوري يخجل منه أي شخص لديه عقل وشرف، لذلك أحاول أن أساعدك من أجل أن يرتاح ضميري.

– أريد أن أسأل عن شيء.

– تفضلي، ولكن ينبغي أن ننتهي بسرعة فلم يتبق سوى دقائق قبل أن يأتي الجنود بصحبة النساء ليُكملوا طهي الطعام.

– الجنود زملائك أخذوا ابني كما أخبرتك وأريد أن أعرف إلى أين سيذهبون به.

– هذا أمر في غاية التعقيد لأنه يتوقف على مزاج قائد المجموعة في تلك اللحظة، من الممكن أن يقتلهم ومن الممكن أن يقيم المسابقات من أجل التسلية ومن الممكن أن يأخذهم إلى معسكر أو حدة كالوحدة ٧٣١ الموجودة هنا في نفس المدينة وهذا شيء لا أحبذه له وأتمنى ألا يحدث، فهناك أهوال قد تفوق خيال أي شخص مهما حاول أن يتخيل.

جف ريقها من تلك الكلمات فأردف الرائد.



– لا وقت لذلك، من الأفضل أن تختبئي فالجنود على وشك الوصول.

أنهى كلامه ثم فتح جوال غير مكتمل للنهاية وأمرها أن تدخل فيه وهو سيقوم بربطِه من الخارج وسيضعه بجوار أجولة الأرز.

– وماذا سيحدث إن فتح أحدهم الجوال.

– لن يفتحه أحد، فقد أخذوا حاجتهم من الأرز اليوم وقاموا بنقعه، فقط سيأتون لطهيه، أبقي مكانك هنا حتى يعم الظلام وأنا سوف آتي إليكِ كما أخبرتك.

هزت الزوجة رأسها ثم دخلت في الجوال وقام الضابط بربطِه ثم وضعه وسط أجولة الأرز، سدد لها نظرة حتى يتأكد أن هذا الجوال يتناغم مع باقي الأجولة، خرج من باب المطبخ وأغلق الباب.

* * *

فاحت رائحة الألم في المكان، فأدركت الزوجة أن الجنود دخلوا إلى المطبخ بصحبة النساء، تعالت الضوضاء وبدأت دوامات الإهانة تضرب في كل مكان، الجنود يتعمدون ضرب النساء وتوبيخهن بلسانهم القذر وهم يأمرونهن بالطهي والطبخ،

بدأت الأواني ترتطم ببعضها البعض والحركة تدب في المكان دون توقف، ارتفع صوت الملازم المسئول عن المطبخ في هذا اليوم، يصرخ في النساء ويطلب منهن أن يسرعن في إعداد الطعام حتى لا يصب عليهن غضبه، تيبست الزوجة حينما استمعت إلى وقع أقدامه وهي تقترب من الجوال الذي تمكث فيه فتيبست وكتمت أنفاسها حتى لا تلفت انتباهه وقلبها يدعو اللّه ألا ينكشف أمرها لأنها تعلم جيداً عاقبة ذلك، ابتعد صوت وقع الأقدام فتنفست الصعداء وهي تستمع إلى أصوات العصي الملتهبة وهي تنهال على أجساد النساء وتنتزع منهن الصرخات، أصاب سيدة الإعياء الشديد وتمكن الإرهاق منها ومن أطرافها فأسقطت الإناء المملوء عن آخره بالأرز على الأرض، اتسعت عينا الملازم فهرع إليها ثم انهال على جسدها شبه العاري بالعصا اللدنة التي يحملها، التف حولها عدد من الجنود وبدأوا يضربونها بالهراوات بلا شفقة ولا رحمة تماماً مثل الذبيحة التي ينفخونها ليتسنى لهم سلخها، السيدة تصرخ من الألم الذي يحيط بها من كل جانب، لم تستطع واحدة من زميلاتها التدخل في الأمر، بل تركنها تنال تلك العلقة التي تفككت على أثرها عظامها، أمر الملازم الجنود بأن يأخذوها إلى الحبس الانفرادي وأن تُحرم من الطعام والشراب حتى يتم تحديد عقوبتها وأن يأتوا بواحدة أخرى



مكانها فصدعوا للأمر وسحبوها من قدميها إلى خارج المطبخ، زعق الملازم في باقي النسوة فعدن للعمل وهن تحت تأثير ضغط عصبي ونفسي شديد، تستمع الزوجة إلى كل ما يحدث من داخل الجوال فتتوتر أعصابها أكثر وتمني النفس بألا ينكشف أمرها لأن عاقبتها ستكون وخيمة، طلب الملازم من واحدة من السيدات أن تأتي بأرز آخر ليعوض ذلك الذي سقط على الأرض فتعالت دقات قلب الزوجة وهي تُمني النفس ألا تختار ذلك الجوال الذي تختبئ فيه، استمعت إلى وقع أقدامها وهي تقترب منها فارتفع الأدرينالين في جسدها وهي تتخيل المستقبل المظلم الذي ينتظرها لو كُشف أمرها، أذناها لا تزالان تلتقطان وقع أقدام السيدة وهي تقترب إلى الأجولة القائمة كالأشباح وهي تحمل إناءً فارغًا ستملؤه بالأرز، وقعت عيناها عليها فوجدت جوالًا يقل حجمه عن البقية وهو الجوال الذي تختبئ فيه الزوجة فوقع اختيارها عليه، وضعت يدها عليه وبدأت تفك حباله والزوجة ترتعش من الخوف، فككت السيدة الحبال ولسان الزوجة لم يتوقف لحظة عن ترديد الآية الكريمة «وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ»

فتحت السيدة الجوال فاخترقه الضوء بسماجة، اتسعت عيناها حينما رأت الزوجة تجلس بداخله،



تيبست وتوقف عقلها عن التفكير، أشارت لها الزوجة بإصبعها بأن تصمت وعيناها دامعة، توترت السيدة ولم تدرك ماذا تفعل في الوقت الذي أرتفع فيه صوت الملازم يحثها على العجلة.

–١٠–

لي يونج يجلس في خشوع تام، يصلي للّه ويدعوه من قلبِه أن يرى عائلته في المنطقة الآمنة التي سيذهب إليها مع جون رابي فور عودته من السفارة اليابانية، يركع ويسجد في تبتل وتزهد لم يعتده من قبل، على مسافة قريبة منه يجلس الضابط الصيني المُصاب على الأريكة، أنهى لي يونج صلاته فوجد الضابط ينظر إليه ويتابعه، نهض من مرقدِه وهو يستفسر منه عن سبب متابعته له.

– أنا معجب بإصرارك الشديد وإلحاحك على لقاء أسرتك، أنت تفعل كل شيء حتى تلقاهم.

– نعم، الإصرار يقطع بك أكثر من نصف الطريق نحو الانتصار.

– وماذا إن لم تصل؟؟

– ستكون وقتها إرادة الإله.

أومأ الضابط برأسِه وهو غير مقتنع، مما دفع لي يونج ليسأله عن ديانته.

– أنا أنتمى إلى الديانة الشعبية الصينية.

– تعرف، رغم أنني صيني ولد في هذا البلد؛ لكني لم أعرف الكثير عن تلك الديانة التي ينتمي إليها عدد كبير.

– هي ديانة صينية تقليدية تضم الأركان الأساسية في البوذية والطاوية والكونفوشيوسية وبعض من الديانات الأخرى، نحن نعبد إله السماء كما تعبدونه أنتم، ولكننا نعتبره أقدم وأعظم الآلهة، ونعتقد أيضًا أنه تجرد من شخصه وصار يُرمز له بالطاقة المسيرة للكون، هذا هو الاختلاف بيننا وبين من يتدين بالمسيحية أو الإسلام.

– اختلاف عقائدي كبير سيحتاج منا إلى نقاش طويل، ولكن ليس الآن.

– يا أخي، الحرب والرصاص والأعداء والقتلى أخرجوا جميعًا الآلهة من رأسي، لم أعد أفكر سوى في الانتقام.

استمعا سويًا إلى صوت سيارة توقفت أمام المنزل، هرع لي يونج إلى الخارج فوجد سيارة جون قد وصلت، ترجل منها تجاه المنزل.

أخبرهم أن لقاء الأمير أساكا قد سار لما هو مخطط له بنسبة كبيرة واستطاع الحصول على بعض الامتيازات، كالسماح له بإدخال عدد أكبر من



الطعام دون ضرائب، واستقبال عدد أكبر من المدنيين، لكنهم شددوا على الجنود أو الضباط، أخبرهم بنبرة حزينة أنهم شددوا عليه وطلبوا تسليمهم وإلا كانت العاقبة وخيمة، تبادل لي يونج والضابط النظرات الصامتة قبل أن يأمرهم جون بسرعة ركوب السيارة لأنهم سيذهبون سوياً إلى المنطقة الآمنة للبحث عن عائلته.

* * *

لي يونج داخل صندوق السيارة المعدني وبجوارِه الضابط المُصاب ومعهم كميات من الأرز والطعام الذي ينقله جون النازي إلى المنطقة الآمنة، الكابينة الأمامية يجلس بها جون ويقود السيارة وبجوارِه مساعدته، السيارة تتحرك ببطء على طرق غير ممهدة مما دفعها للتمايل والحركة دون اتزان، الضابط المُصاب ينظر بعينيه الضيقة إلى الخراب الذي حل بالبلاد، البنايات فارغة تماماً والدخان يتصاعد منها والأرض مفروشة بالكامل بالطوب الأسمنتي والحجارة، الدمار يحل في كل مكان، تذكر دوي المدافع وهو يكاد أن يُصم وأزيز الطائرات وهي تحلق فوق رؤوسهم، مر أمام عينيه شريط يحمل مشاهد قتل أصدقاءه وزملائه في الجيش أثناء مقاومة الجيش الياباني، يرى بعينيه جنود الاحتلال وهم يتجولون بأريحية في شوارع العاصمة دون رادع، مما دفع الدماء كي تغلي في عروقه، لي



يونج كان يُعاني من نفس الأحاسيس التي وصلت إلى الضابط فربت على كتفِه وحاول أن يُهدئ من روعه ويخفف عنه ما يشعر به حتى اصطدمت أعينهما بمجموعة من الجنود يمسكون بأسرة مكونة من أربعة أفراد يجردونهم جميعًا من ملابسهم دون الالتفات إلى سن أيًا منهم، على الرغم من وجود عجائز بينهم، وضعوهم في دائرة أصبحوا هم مركزها، يضحكون بصوتٍ عالٍ وهم يجبرون الرجل على اغتصاب ابنته وسط صراخ باقي أفراد الأسرة جميعًا، لن يجسر أحد في الشارع على التدخل في ذلك، فقط اكتفى الجميع بالمشاهدة أو البكاء والدعاء لهم، الموقف جعل الدماء تغلي في دماء الضابط وكذلك لي يونج، توقفت السيارة بالقرب منهم، تعجب الاثنان وأخذا يتبادلان النظرات المبهمة حتى وجدا جون يترجل تجاه هؤلاء الجنود، حاول الضابط الهبوط هو الآخر لكن لي يونج منعه وطلب منه أن ينتظر ليرى ما سيحدث حتى لا ينكشف أمرهما، تقدم الرجل النازي إليهم والجنون ظاهر في ملامحه وصوته الذي ارتفع يوبخهم على أفعالهم.

– ماذا تفعلون، هذه أشياء غير قانونية وغير أخلاقية ولن أسمح لهذا بأن يحدث.

تبرع أحدهم ونظر له بازدراء.



– ومن أنت وما شأنك بذلك؟؟

– أنا شخص أعطاني الرب مكانة يجب أن أحافظ من خلالها على هؤلاء المساكين الذين تعبثون بهم كما يعبث الطفل السادي بدميته، أنا ألماني نازي، ألا ترى هذه العلامة أيها الضرير.

أشار جون إلى الشارة النازية التي يعلقها على كتفه فنظر لها الجندي وباقي زملائه في صمت لا يكسره سوى بكاء ونحيب أفراد العائلة الواقعة تحت أيديهم.

– حتى وإن كنت ألماني، هذا يعني أننا لا نتعرض لك فقط، لكن لن نأخذ منك الأوامر.

– حقًا.

دس يده في جيبه وأخرج وثيقة أشهرها في وجهِه.

– هذه وثيقة بيني وبين صاحب السمو الأمير أساكا، على ألا تستمروا في مثل هذه الأشياء، وإن لم تصدعوا للأمر سوف أعود إلى السفارة وأخبره بكل شيء، ولن أترككم حتى تتم معاقبتكم، وإن لم يحدث سوف أبلغ القيادة النازية في برلين ولن يمر الأمر مرور الكرام.



تحقق الجندي بعينيه الحادة في الوثيقة فوجد ختم الأمير المعروف لدى الجميع، لكن جون لم يمكّنه من قراءة محتواها حتى لا ينكشف أمره، ظل الجندي ينظر إلى جون طويلًا دون كلام ثم سأله ماذا يريد.

– أريدك أن تترك هؤلاء ولا تتعرض لأي مدني بهذه الطريقة.

تبادل الجنود النظرات قبل أن يتحدثوا إلى بعضهم مبتعدين عن العائلة التي سرعان ما طلب منها جون أن يأتوا معه جميعًا إلى السيارة، فتح بعض الأكياس التي كانت في صندوق السيارة الخلفي وأعطى لهم ملابس وسط نظرات لي يونج والضابط المُصاب، ارتدوها سريعًا وهم يغرقون جون بالشكر والثناء.

ساعد جون الأسرة في ركوب السيارة بجوار لي يونج والضابط حتى وصل إلى الفتاة التي كانت على شفا الاغتصاب فوجدها تنحني له وتشكره ثم قبلت تلك الشارة النازية التي أنقذتها من المصيبة التي كانت على حافتها، هدأ جون من روعها ثم ذهب إلى كرسي القيادة مرة أخرى حينما أطمأن على الجميع، مساعدته تنظر له قبل أن تتحدث معه.



– نحن لم نأخذ من آساكا أي وعود كهذه.

– أعلم، لكن لا بديل أمامي سوى ذلك لأنقذ هؤلاء المساكين.

* * *

وصلت السيارة بالقرب من بوابة المنطقة الآمنة فوجدوا تجمعات كبيرة من الجنود اليابانيين المدججين بالسلاح، اتسعت عين المساعدة وبدأت تسأله عن هؤلاء الجنود المتجمعين عند البوابة وحولهم عدد كبير من الأسر الصينية التي لم تتمكن من الدخول إلى الداخل، جون كان يفكر بعمق فيما سيفعله ثم فجأة هبط من السيارة وترجل تجاههم، الفتاة التي كانت على وشك الاغتصاب مدت بصرها خارج صندوق السيارة فوجدت هؤلاء الجنود بزيهم الرسمي الذي أصبحت تكرهه بشدة فشرعت في البكاء السريع وارتفع صوت نحيبها فحاول الضابط المُصاب تهدئتها وحاول أن يخف عنها الضغط حتى لا يرتاب الجنود في الأمر لكن لم يجد لذلك فلاحًا ثم انفجرت فيه بصوتٍ حاد.

– أنت لا تفهم شيئًا، لم تشعر بما شعرت به وهم يجبرون أبي على اغتصابي.

– نحن جميعاً فقدنا عائلتنا ولا يوجد شخص في نانجينغ لم يعاني منذُ قدوم هؤلاء، أنا أعلم شعورك جيداً وأتفهمه بالحد الذي يسمح لي بفعل أكثر من ذلك، لكن إن لم تنتهي عن البكاء سيلقون بالقبض علينا جميعاً وسيرتابون في الأمر.

ظل الضابط يحاورها حتى هدأت تماماً في الوقت الذي يحاول جون أن يقنع الرائد الذي يقف على البوابة بأن يسمح له بالعبور بالسيارة وبالطعام والملابس التي يحملها وأن يسمح أيضاً بدخول العائلات الصينية التي معه والتي تقف على البوابة، لكنه وجد الرائد شرساً وحاد الطباع.

– الكميات القانونية فقط هي المسموح بها وما يزيد عنها ستدفعون عليه الضرائب.

هذا كان الرائد فأجاب عليه جون.

– القانون تغير وهذا لم يعد شرعياً الآن.

– كيف تغير ومتى؟؟

– الأمير أساكا هو من فعل ذلك.

– الأمير أساكا عدل القانون من دون أن يخبرنا.



أخرج جون الوثيقة المختومة من الأمير وأعطاها للرائد الياباني الذي ظل يتفقدها لدقائق ثم نظر له وقد بدا الأمر واضحًا على وجهه، أردف جون في تحدي.

– الآن قد تأكدت من أن كل شيء سليم، إن لم تسمح لي بإدخال كل الطعام والملابس التي معي سوف أرفع الأمر للأمير أساكا.

– أريد تفتيش السيارة قبل دخولها لعل بها سلاح.

احتقن وجه جون ثم وافق على طلبه المستفز، اقتربوا جميعًا من السيارة وبصحبتهم عدد شحيح من العساكر، وقفوا جميعًا أمام صندوق السيارة يرمقون العائلة المنكوبة ولي يونج والضابط المُصاب الذي ينظر إليهم بعين جامدة على عكس الجميع الذين ينكسون رؤوسهم، أخذ الرائد يتجول بعينيه فيهم ثم اقترب ومد يده في الملابس والطعام يتفقدها، اقترب بيديه من الفتاة التي كانت على وشك الاغتصاب فارتعدت وابتعدت عنه تتحاشاه فلاحظ ذلك، سألها من أنتم بلغتهم الصينية فلم يُجب أحد عليه فأعاد سؤاله مرة أخرى بلهجة أقوى هذه المرة فأجابته الفتاة التي كانت على وشك الاغتصاب من دون أن تنظر إليه.



– نحن عائلة منكوبة وأنتم هدمتم منزلنا وتعرضنا للضرب والإهانة من جنود وضباط مثلكم لذلك لجأنا إلى المنطقة الآمنة لنحتمي بها.

ظل الرائد يرمقهم ثم طلب منهم النزول خارج السيارة فخرجوا واحد تلو الآخر، توتر الضابط الصيني المُصاب وخشي أن يرتاب الرائد في إصابته ويكشف عنها فيكتشف أنها مكان رصاصة، حاول الصمود والتظاهر بأنه طبيعي لكن ارتفاع صندوق السيارة عن الأرض لم يعنه على ذلك، صرخ من الألم حينما هبط من السيارة وسقط على الأرض، أمر الرائد جنوده بالكشف على المكان الذي أمسكه بيده بشكل لا إرادي فظهر أمامه الجرح واضحًا، بعصا صغيرة كانت في يده خبط على الجرح فصرخ الضابط، حاول جون التدخل في ذلك لكن منعه الرائد وطلب منه الهدوء.

– ما هذا الجرح؟؟

سأل الرائد الضابط فنظر له بهدوء وعقله يجاهد ليختلق قصة يقصها عليه، أعاد الرائد السؤال مرة أخرى فأخبره الضابط بمهنة والده القديمة وهي بائع للسلع الغذائية، اتسعت عينا جون ورمق لي يونج الذي تحاشى النظر إليه، سأله الرائد عن سبب الجرح.



– قد سقط باب حديدي بالقرب مني أثناء هروبي من الغارات اليابانية المميتة فانغرس سيخ من الأسياخ الخاصة به في قدمي ونزعناها بقوة بعدما تلقيت العلاج ولكن آثاره لازلت أحملها.

– وما رأيك فيما اقترفه الجيش الياباني في بلدكم.

صمت الضابط المُصاب لبرهة ثم أجابه بأن البقاء للأقوى وهم الآن الأقوى في كل شيء فتبسم الرائد وأعجبه هذا الرد الذي جعله يشعر بالقوة والسلطة، نظر إلى جون وطلب من الجميع ركوب السيارة وسمح لهم بالدخول أمّا باقي العائلات المنتظرة على الباب فسيخضعون للتفتيش والتحقيق أولاً.

***

تحركت السيارة بهدوء تعبر البوابة والحاجز الأمني للمنطقة الآمنة، وقعت عينا الضابط المُصاب على عدد من الجنود الصينيين الذين يرتدون الزي العسكري ويجلسون القرفصاء بجوار البوابة من الداخل تحت تهديد السلاح وقد قيدت أيديهم خلف ظهورهم في ذلٍ وظلم واضح، يتلقون الرفاسات والتوبيخ من الجنود اليابانيين دون مقاومة، فما كان منه إلا أن أعطاهم التحية العسكرية دون أن يشعر أحد أو يراه سوى لي يونج



الذي ربت على كتفه وحاول أن يهدئ من روعِه، العذاب يقبع في كل ركن بداخله، ظل يتابعهم بعينيه حتى ابتعدوا عنهم وأصبحت السيارة في حجم علبة الكبريت بالنسبة إليهم.

توقفت في المنتصف، وبدأ الجميع بإنزال المؤن الغذائية والملابس من السيارة، اقترب لي يونج من الضابط وهمس في أذنه.

– أنت أخطأت خطئًا قد يكلفنا الكثير.

اتسعت عينا الضابط وسأله عن ذلك الخطأ فأجابه لي يونج.

– لا يوجد مجال للشرح الآن علينا البحث عن أسرتي أولاً، لكن اطمئن يا أخي، أنا معك إلى آخر العمر مهما كلفني الأمر.

– لن يكون هناك شيء سيء، يومًا ما سنقول إن الأمر لم يكن سهلاً لكننا استطعنا فعلها.

اقتحم جون حديثهما.

– ماذا تفعلان؟؟

– لا شيء فقط نتحدث.



– أتركا هذا الحديث الآن، سنذهب إلى مكتبي لنبحث عن عائلتك فأنا لدي سجلات بأسماء كافة الموجودين.

هم جون بالسير فاستوقفه الضابط وسأله عن الجنود الذين رآهم عند البوابة، ما بالهم ولماذا هم في قبضة اليابانيون.

– بالتأكيد هؤلاء الجنود كهؤلاء الذين جاءونا سلفًا أرادوا أن يحتموا بنا.

– ولماذا قمتم بتسليمهم؟؟

قالها الضابط بعصبية فأجابه جون بهدوء.

– حتى أحمي المئات الآخرين، هناك اتفاق بيني وبين الأعداء.

غلت الدماء في عروق الضابط، فأمسك جون من ملابسه وهو يصفه بالوغد الغبي، تدخل لي يونج في هذا العِراك وحاول تهدئة الأجواء وهو يذكر الضابط بعائلته الذين سيشرعون في البحث عنها فهدأ تدريجيًا وهو يترك ملابس جون شيئًا فشيء وهو يرمقه بثبات حتى تركه نهائيًا فانصرف دون أن يتحدث بكلمة واحدة، اتكأ الضابط على كتف لي يونج وبدأ يتحرك خلف جون الذي يتخذ مساره بين



العائلات الجالسة على الأرض، من بينهم المُصاب بجروح وآخر بحروق وآخرين فقدوا أقاربهم وأطرافهم، لي يونج يملأ عينيه منهم وهو يمني النفس بأن يأتي الوقت المناسب ويأخذ عائلته بين أحضانه حتى وقعت عيناه على طفل صغير له هيئة ابنه الأوسط من بعيد فطلب من الضابط الانتظار وهرع إليه بأقصى سرعة كان يتحملها جسده ووضع يده على كتفه فالتفت إليه ليجده طفل آخر قد مزقت الشظايا وجهه فلم يكن منه إلا أنه قبل رأسه وعاد إلى الضابط ليتابعا السير خلف جون الذي ابتعد عنهما مسافة ليست ببعيدة، استمروا في السير حتى وصلوا إلى مكتبه.

هناك صور كثيرة واستمارات وأسماء ملأت الجدران، الاستمارات كانت كثيرة لدرجة شعر معها لي يونج بالإحباط والأسى وهو يسأل هل عليه البحث في كل هذه الاستمارات فشد الضابط على كتفه وأخبره أنه سيبحث معه في كل ورقة حتى يجدهم، لم تمر سوى دقائق حتى اقتحمت إحدى مساعدات جون وهي امرأة صينية المكان وكانت هيئتها الجامدة توحي بأن شيئًا عظيمًا قد حدث، سألها جون في استفسار فلم تجبه فقط أشارات له بأن هناك غرباء بصحبتِه، لكن طمأنها وأمرها ان تتكلم دون تردد.



– جاءني ملازم ياباني أعجم وقمت بتسليمه عدد من الجنود كما هو متفق عليه لكنه طلب مني طلبًا إضافيًا غريب.

– وما هو؟؟

– طلب عدداً من النساء بداعي الترفيه عن الجنود.

اتسعت عينا جون وسألها متلهفًا ماذا فعلت فأخبرته أنها وبخته وقامت بطرده فظهر ذلك على وجهه وأخذ يفكر لدقيقة كاملة قبل أن يُجيبها.

– وماذا كانت ردة فعله؟؟

– كان يتوعدني بشدة ويخبرني بأن هذا سيجني عاقبة سيئة.

– لم يخبرك ما هي العاقبة تحديداً.

– أخبرني أنهم سيقومون بالتفتيش داخل كل المنطقة حتى يتأكدوا أنه لا يوجد عسكريين يختبئون وسط المدنيين هنا.

– متى حدث ذلك؟؟

– ليلة أمس.

- هذا يفسر لي الآن الحشد الذي يقف عند البوابات ويمنع دخول العائلات إلا بالتفتيش، من الواضح أنهم سيقتحمون المنطقة قريباً.

- لكن هذا ليس قانونياً!!

- سيفعلونها بحجة التفتيش.

عاد جون إلى لي يونج وطلب منه الانتهاء من البحث سريعاً حتى يغادر المنطقة بأسرع وقت، تعجب لي يونج وسأله عن سبب العجالة.

- ألم تستمع لما يخطط له الجيش الياباني.

- التفتيش.

- نعم؟؟

- ولماذا علينا المغادرة.

- لأن الرب كان في عوننا ولم يكتشفوا هوية صديقك ولكن لن يكون الرب في عوننا في كل مرة، أنا على يقين بأنه ضابط في صفوف جيش المقاومة الصينية.

- !!!!!!!!!



– لا تتعجب، أنت أخبرتني أنه نجار مثلك وهو أخبر الرائد في الخارج بأنه بائع، علاوة على انه كاد يضربني من أجل الجنود ووصفني بالوغد ولو كنت وغداً بالفعل لسلمته بيدي للجيش في الخارج ولكني لن أفعل، أنهي البحث عن عائلتك وغادر أنت وهو المكان على الفور.

تبادل الاثنان النظرات التي يملؤها التعجب.

– لا تهدروا الوقت في النظرات، أنا سوف أساعدكم رغم كل شيء لكن فور الانتهاء من البحث عليكما الانصراف مهما كانت النتيجة.

أعطى لي يونج أسماء عائلته إلى الجميع وبدأت عملية البحث، وزعوا أنفسهم على كافة السجلات وبدأوا البحث حتى إذا وجد أحدهم اسماً مشابهاً استدعى لي يونج فيأتي مهرولاً فيصطدم بصورة الشخص فيعلم أنه ليس هو، فيسري الإحباط في قلبه سريعاً قبل أن يعود مرة أخرى إلى البحث، فرصة أن يجدهم تتضاءل مع مرور الوقت، لم يتوقف قلبه عن الدعاء ولم تكف شفتاه عن التوسل إلى الله لكن في النهاية لم يتبق في قلبه سوى الخزي والإحباط الشديد بعد الانتهاء من البحث الذي استمر لأكثر من ساعتين كاملتين يتعالى فيهم الأمل ويعود لينخفض كرسم نبضات القلب حتى استمر الخط المستقيم في



تقدم معلنًا وفاة الحلم الذي كان يعيش على أمل تحقيقه، انزوى لي يونج وأخذ يبكي بكاءً يحمل الكثير من الأسى والخزي والانكسار، أصابته حالة من الشجي دفعته للتمرد على القدر ببعض الكلمات التي كان يرتعش جسده على أثرها إذا سمعها سلفًا، فقد صوابه وهو يعاتب اللّه بصوتٍ جهوري حتى أن جون بدأ يشعر معه بالأسى الشديد وهو لا يعلم ماذا يفعل له، هرول إليه الضابط المُصاب وحاول أن يهدئ من روعه وهو يعده بأنه سيظل بجانبه حتى يجد أسرته ولكن لي يونج كان غارقًا في الحزن والبكاء فتركه الضابط حتى هدأ تمامًا.

* * *

مرت ساعة كاملة حتى بدأ لي يونج يتحدث إلى الضابط المُصاب يطلب منه أن يتركوا هذا المكان لسببين، الأول هذا هو الاتفاق مع جون حتى لا يسببوا له المتاعب أكثر من ذلك والسبب الثاني هو أنه يريد أن يبحث عن أسرته حتى لا يُصاب بالجنون فصدع الضابط وذهبا ليعرضا الأمر على جون الذي كان متأثرًا بشدة لما حدث لـ «لي يونج».

– كنت أتمنى أن أستطيع مساعدتك ولكن ليس بإمكاني أفضل مما كان.



طأطأ لي يونج رأسه في حزن وهو يحمل على كتفيه جبالاً من الهم.

– أنت فعلت أفضل ما بوسعك وأنا سعيد أني التقيت بك.

– إن أردت شيئًا في أي وقت حاول أن تعود إلى هنا.

– سأعود هنا وقت ما أجد أسرتي لنختبئ في منطقتك الآمنة.

– هذا من دواعي سروري ولكن تأتي وحدك أنت وعائلتك فلا مكان للعسكريين هنا.

جون قال جملته الأخيرة وهو ينظر إلى الضابط الصيني الذي ابتسم له قبل أن يُجيبه.

– معك حق يا سيد جون، لا مكان للعسكريين هنا، لأن العسكريين لا يختبئون.

ابتسم جون وصافح الضابط ثم لي يونج وأخبرهما أن يتحركا تجاه الباب الآخر للمنطقة وأن يبتعدا عن الباب الذي دخلا منه حتى لا يرتاب الجنود والضباط في الأمر، صدعا للأمر وشرعا في التنفيذ.

عبرا باب الخروج والضابط يتحامل على نفسه ويضغط على قدمه المُصابة، لا يعلم أي منهما إلى

أين هو ذاهب، فقط كل ما يسيطر عليهما أن يجدا عائلة لي يونج الذي بات في حالة نفسية سيئة للغاية، تحرك الاثنان في هدوء ولكن حدث لهم شيء غير متوقع فور عبورهم البوابة، استوقفهما رائد في الجيش الياباني شرس الملامح وحاد الطباع، سألهم لماذا يغادرا المنطقة، تبادل لي يونج النظرات مع الضابط المُصاب قبل أن يجيب على الرائد.

– نحن كنا نبحث عن عائلتنا التائهة ربما يكونون هنا داخل المنطقة الآمنة، لكننا لم نجدهم والآن نحن نشرع بالذهاب للبحث عنهم.

امتعض وجه الرائد.

– هذه قصة مؤثرة للغاية، هل فقدتم عائلتكما.

– نحن فقدناها أثناء الفرار أثناء الغارات التي شنها جيشكم على المدينة ونحن الآن في صدد البحث عنهم.

– ولماذا تخرجان الآن تحديداً.

– لأننا انتهينا من بحثنا عنهم الآن.



– أرى أن قدمك مصابة ولا تستطيع المشي بصورة طبيعية كيف ستبحث عنهم.

ارتبك الضابط قليلاً قبل أن يجيبه.

– هذا هو حق عائلتي علي، علي أن أتعب من أجلهم.

ابتسم الرائد بخبث شديد.

– هذا أيضًا أمر مؤثر للغاية لكن هل ترى أنني أحمق؟؟

اتسعت عينا الضابط وكذلك لي يونج قبل أن يُجيبه الضابط.

– لماذا تقول ذلك؟؟

– لأنك ساذج تختلق قصة ضعيفة حتى تخدعني بها.

– أنا لا أخدعك.

– لأنك لا تستطيع، نحن فقط من نستطيع خداعكم لذلك نشرنا بطريقة خبيثة أنه سيتم الهجوم الليلة على المنطقة الآمنة بداعي التفتيش واختلقنا قصة الفتيات فقط من أجل



الحبكة، وضعنا الطعم والجرذان بدأت تدخل المصيدة، العسكريون فقط هم من سيخرجون الليلة للهروب خشية أن يُكشف أمرهم.

– ولكننا لسنا عسكريين!!

– لا يهم، الشبكة بها أسماك كثيرة ولا يهم نوعها مادمت في شبكتنا.

استدعى الرائد جنوده فألقوا القبض على لي يونج والضابط المُصاب وسط صِراخ لي يونج وهو يحاول الإفلات منهم، يخبرهم بأنه ليس عسكري وعليه الذهاب للبحث عن عائلته لكن لم يستمع أحد إليه، فقط زجوا به داخل مدرعة حربية فوجدها تعج بالأسرى الذين تم القبض عليهم على نفس الشاكلة.

–اا–

سارت السيدة إلى الجوال الذي تختبئ فيه الزوجة وهي تحمل الإناء الفارغ الذي ستملأه بالأرز، فتحت الجوال فاتسعت عيناها حينما رأت الزوجة تجلس بداخلِه، تيبست وتوقف عقلها عن التفكير، أشارت لها الزوجة بإصبعها بأن تصمت وعيناها ترتجف بشدة، توترت السيدة ولم تدرك ماذا تفعل في الوقت الذي ارتفع فيه صوت الملازم يحثها على العجلة، السيدة تحجب الرؤية عنه بجسدها فلا يرى الزوجة التي تجاهد حتى لا يظهر من جسدها أي جزء، بهدوء بدأت السيدة تأخذ الأرز من الجوال وتضعه في الإناء الفارغ الذي تحمله حتى لا تلفت الأنظار، والزوجة تنكمش على نفسها قدر المستطاع حتى لا يظهر أي جزء من جسدها، السيدة تحاول أن تنجز عملها حتى لا ينكشف أمرها وسيعتبرها هذا الملازم وقتها مشاركة في التستر على معتقلة هاربة وستكون عاقبتها وخيمة، الملازم يتابعها بعيناه الضيقة وبصوتِه الجهوري الذي يحثها فيه على العجلة والسيدة تحاول تنفيذ أوامره ولكن الأمر لم يرُق له برغم جديتها فطلب منها ان تضع الإناء على الأرض ثم تميل الجوال حتى لا تغرب الشمس وهي لا تزال تضع الأرز في الإناء الفارغ، توترت أعصابها وانقبض قلبها وكذلك الزوجة التي علمت أن الأمر على شفا

الانكشاف، السيدة تحاول الإسراع قدر الإمكان حتى يقلع عن تلك الفكرة الشيطانية في الوقت الذي بدأت فيه أذناها التقاط وقع أقدام الملازم وهو يتقدم تجاهها، ازداد التوتر وارتفع الأدرينالين حتى وصل إلى أقصاه فبدأت السيدة تشعر أن أجزاء من نفسها وجسدها تتمزق وتتحول إلى هباء، الزوجة لم تتوقف لحظة عن الدعاء فاستجابت لها السماء هذه المرة قبل أن يصل الملازم إلى الجوال، شعرت إحدى السيدات العاملات داخل المطبخ بدوار شديد فسقطت على الأرض مغشياً عليها فارتفعت الصيحات داخل المكان مما جعل انتباه الملازم يتشتت ويذهب إلى تلك التي فقدت وعيها، في حركة سريعة بدأ الجنود ينهالون عليها بالضرب والسباب المُميت، لم يساعدها أحد حتى على النهوض، لم يتفقد أمرها أحد ليُدرك هل هي فقدت الوعي أم ماتت، استغلت السيدة ما حدث وبدأت تعبيء الأرز بأقصى سرعة حتى لا يعود الملازم إليها مرة أخرى، ازدردت ريقها وهي في حالة بالغة من السوء وأذناها تلتقط أمطار العصي التي تُفرقع على جسد تلك المسكينة التي فقدت وعيها رغماً عنها، استمر الوضع على هذه الشاكلة المرعبة حتى انتهت السيدة من ملء الإناء الذي بحوزتها، ربطت الجوال وأحكمت غلقه مرة أخرى، أخذت الإناء والتفت بوجهها لتجد تلك التي فقدت وعيها يسحبونها من أقدامها إلى خارج المطبخ،



فما كان منها إلا أنها عادت مسرعة إلى صنبور المياه حاملة إناء الأرز لتغسله، إنجازها لعملها بهذه السرعة لم يُنجها من لسعات العصي التي نالتها على جسدها من الملازم أثناء ذهابها للصنبور.

لن أستطيع مهما حاولت أن أصف شعور الزوجة وهي داخل الجوال المعتم تنتظر أن يُفتح في أي لحظة أو أن ينكشف أمرها، ما كان الموت بالشيء الذي تخشاه بل العذاب الذي يسبقه، هي تعلم جيداً أنهم لن يتخلصوا منها بسرعة بل سيجعلون منها عبرة لكل من تسول لها نفسها أن تفعل مثلها، أذنها لم تتوقف لحظة عن التقاط الضرب والعذاب والصراخ حتى انتهى طهو الطعام فأرسلوا السيدات حاملات الأطباق إلى الجنود في المكان المخصص للطعام، يمرون وسط الجنود ليضعن الأطباق على المنضدة المخصصة للطعام فلا ينجين بأجسادهِن من التحرش والصفع العشوائي والمهين، مصائب الدنيا كلها كانت لا تساوي لحظة واحدة من تلك اللحظات التي تشعر فيها السيدات بأن أجسادهن أداة للمتعة ولتسلية الجنود وليس من حق إحداهن الاعتراض أو حتى التجهم في وجه جندي واحد منهم وإلا كانت عاقبتها وخيمة، انتهى الغداء وعادت السيدات بالأطباق الفارغة ولم يخرجن من المطبخ حتى انتهين من تنظيفها بالكامل والزوجة كما هي



داخل الجوال تنتظر إشعار آخر لتبدأ رحلة الهروب إلى خارج المعسكر.

الوقت يمر عليها ببطء شديد وعذاب الانتظار رهيب علاوة على أن وضعها الذي تتكوم فيه على نفسها داخل الجوال صعب بالإضافة إلى ضيق الحيز في الداخل فلا تستطيع تحريك قدميها أو تعديل تلك الوضعية التي بدأت تتسبب لها بالشعور بالخدر وتنميل كأن أسراب من النمل تسير على أطرافها، دموعها تنساب من عينيها التي أضناهما السهر والألم ورائحة البول والدماء على خديها والطاحونة التي تهرسها كل لحظة أصبحت أقوى بكثير من طاقة احتمالها، مع اقتراب الليل بدأ الهواء يتسلل إلى المطبخ بشدة وشرع في التجول الحر هناك فيصدر ذلك الصوت الكئيب والمخيف الذي جعل الزوجة ترتعش من الخوف ومن انخفاض درجة الحرارة، الوقت يمر والبرد يتصاعد ودرجة الحرارة تنخفض والزوجة ترتعش من كل شيء يحيط بها الآن، بدأت تُحرك يدها على كتفها في محاولة لتُزيد من درجة حرارة جسدها عن طريق الاحتكاك لكن توقفت عن كل ذلك حينما شعرت بشخصٍ ما يعبث في المطبخ، هكذا كان ظنها حينما التقطت أذناها أصوات ارتطام الأواني المعدنية لكن سرعان ما تبخر هذا الظن وحل مكانه خوفٌ مريع حينما استمعت إلى نهيز الفئران



فأدركت أن البرد القارص جعل معدتها تصرخ من الجوع فاضطرت للخروج من مخابئها بحثًا عن شيئًا يُؤكل، هي تخشى الفئران وتخاف منها أكثر من التعذيب، أصواتها وحدها يُعد تعذيبًا أسطوريًا يعزف لحنه الصاخب اللاإنساني في أذنيها، جسدها بدأت تسري فيه قشعريرة مقززة حتى حدث لها ما كانت تخشاه، اقترب فأر سمج من الجوال الذي تحتمي بداخلِه وبدأ يقرضه بأسنانِه القوية، في البداية كانت تظن أنه يعبث به فقط من الخارج ولكن مع تقدم الوقت بدأت تشعر به ولكن لا تجسر على الصراخ أو إصدار أي صوت قد يلفت الأنظار أو الانتباه، الرعشة التي تجتاح جسدها تتصاعد بسرعة كبيرة ولا تدرك ماذا تفعل، جاءتها فكرة ربما تكون بمثابة طوق نجاة لها، عليها أن تهز جسدها داخل الجوال في المساحة التي يسمح بها ذلك الحيز فيشعر بها الفأر ويركض بعيداً عنها، هكذا صور لها عقلها المحدود الأمر فبدأت تتحرك حركات عشوائية داخل الجوال لكنها وجدت إصرارًا مريعًا من الفأر على قضم الجوال، لم يُعنِه ما يحدث ولم يتأثر بتلك الحركة التي تحدث في الداخل فشعوره بالجوع القارص كان أقوى بكثير من شعوره بالخوف، شعرت بحبات الأرز وهي تسقط من الجوال فعلمت أنه تمكن من ثقبه، بدأت تشعر بأسنانِه الضخمة وهي تداعب فخذها وهو يحاول توسعة الفتحة ليتمكن من الدخول،



الحيز الضيق الذي أنجزه لا يتسع لدخولِه والحيز الضيق الذي بالجوال يمنع الزوجة من المراوغة أو الابتعاد، في الوقت نفسه لا تستطيع أن تصرخ لتُعبر عن ذلك الخوف الشديد الذي تشعر به، دموعها تنساب بغزارة وهي تصدر أنات خافتة تُشبه الصِراخ المكتوم والفأر لا يتنازل عن الدخول، اتسعت الفتحة وبدأ ذلك السمج يقتحم الجوال برأسِه فشعرت بشعرِه الكثيف وبشاربه الكبير ومخالبه التي بدأ يُحركها على فخذها وهي غير قادرة على الحركة، بدأ أنينها يتصاعد مع تصاعد الخوف، تمني النفس بأن يعطيها القدر فرصة واحدة للصراخ لتعبر عن الخوف الذي يقتلها، عبر الفأر بنصف جسده الأمامي داخل الجوال وبدأ يعبث بأسنانِه الطويلة في لحم فخذيها الطري، وقلبها وأوصالها ترتعد بالشكل المبالغ فيه الذي تشعر معه بأنها ستُصاب بسكتة قلبية، قطرات العرق تغزو وجهها وجبهتها على الرغم من برودة الجو، شعرت أن هناك من يفتح الجوال من الخارج، لم تستمع إلى وقع أقدام هذه المرة بسبب الخوف الشديد الذي يغلفها، فُتِح الجوال فاكتشفت أنه الرائد الياباني الذي وعدها بالهروب، أخذت يده بسرعة البرق ووضعتها بقوة على فمها، ضغطت عليها بالشكل الذي يكتم أنفاسها ثم بدأت تصرخ بقوة لتُفرغ كل طاقة الخوف الذي تشعر به، تصرخ بشكل قذف في قلبِه الرعب خاصةً أن جسدها كان



يرتعش ووجهها مليء بالدموع، خرجت من الجوال وهي لا تزال تصرخ بصراخها المكتوم، سألها في تعجب عن سبب ذلك فأشارت تجاه الفأر الذي كان في حجم القطط تقريبًا وهي تبتعد عن الجوال، هدأ الرائد من روعها وأمرها ألا تصدر صوتًا فقد جاء الوقت المناسب لتنفيذ خطة الهروب، سألته الزوجة عن تفاصيلها فأعطاها الرائد حقيبة فوجدت بها زي عسكري ياباني فنظرت له وعيناها تتسعان من هول المفاجأة، سألته عن ذلك فأخبرها أنها سترتديه لتتمكن من التجول في المعسكر بين الجنود بصورة طبيعية دون أن يرتاب فيها أحد، شعرت الزوجة بالخوف وبأن هذا الرأي غير رشيد فالجنود يعرفون جيداً الضباط في المعسكر لكنه أخبرها أن سيكون هناك عطل مفاجئ في الكهرباء وهذا سيساعدهما في الهروب، الزوجة كانت لا تفهم كيف سيحدث ذلك فأخبرها الرائد أنها ستعلم كل شيء مع مرور الوقت، طلب منها أن ترتدي الزي العسكري الذي أحضره فأومأت برأسها، سار الرائد تجاه الباب وترك المساحة الكافية للزوجة لتستبدل ملابسها ولكنه فوجئ بعد ارتداءها الزى أن شعرها ظاهر من خلف البارية العسكري فطلب منها أن تقص شعرها بالكامل كالرجال حتى لا يبدو ظاهراً، الزوجة لا تملك أي قرار فقط كل ما كان منها أنها هزت رأسها بالموافقة في استسلام تام، أخذت المقص الذي كان في



المطبخ وبدأت تقص شعرها ولكن لم يرق له حينما انتهت فطلب منها حلاقته بالماكينة الكهربية فاستسلمت له كالعادة فهي كانت كقطعة الصلصال بين يديه، جلست على الكرسي تستمع إلى أزيز الماكينة السمج وتشعر بشعرها وهو يتساقط على كتفيها وكلما شعرت بأن صدرها يضيق وهي تستغنى عن الشيء الوحيد الذي يُشعرها أنها أنثى بعدما أستباح اليابانيون مفاتنها، تتذكر أنه سيكون طوق النجاة بالنسبة لها للهروب من ذلك الجحيم، انتهى الرائد من حلاقة شعرها بالكامل وطلب منها أن تضعه في قطعة قماش للتخلص منه فصدعت للأمر ولملمت قصاصات شعرها المتساقط على الأرض وهي تشعر بحزنٍ إضافي أضيف إلى كل الأحزان التي تملأها، وضعته في القماشة وتخلصت منه في صندوق القمامة الموجود في المطبخ وأصبحت جاهزة للهروب.

خرجا سويًا من المطبخ وتسللا بهدوء حتى وصلا إلى الفناء، انتظرا حتى تم فصل السكينة الكهربية فعم الظلام على الفناء، نظر الرائد إلى الزوجة وطلب منا أن تركض بكل قوة، ركضا سويًا وهم يستمعان إلى حركة غير طبيعية تحدث داخل المعسكر بعدما انطفأ النور، ارتفعت سرينة الإنذار والرائد يركض بكل قوة وبجواره الزوجة في تلك



الليلة البهماء التي تحولت إلى ظلام مميت بعد فصل سكينة الكهرباء، ركضا حتى اجتازا سويًا الفناء ووصلا إلى المباني التي يقيم بداخلها الجنود، هناك تجمعات أمام المبنى فقد خرج الجنود بعدما فصلت الكهرباء وانطلقت صافرات الإنذار ليعلموا ما يحدث في الخارج، ارتبكت الزوجة وشعرت أنها سيتم انكشاف الأمر خاصةً أنهم كان بحوزتهم كشافات صغيرة إلى حدٍ ما يحملونها ليكسروا عتمة الظلام، طلب منها الرائد الهدوء وأن تدخل وسطهم بلا خوف حتى لا يرتاب أحد في الأمر، حاولت تنفيذ أوامره فاستقام ظهرها وحاولت بث الثقة في نفسها، سارت بنفس الطريقة التي يسير بها الرائد واقتحمت التجمع الذي يقف أمام المبنى وهي تتلقى التحيات العسكرية من الجنود كلما وقع عليها ضوء الكشاف، كلما زاد الوقت كلما شعرت بالطمأنينة الزائدة، عبرا المباني ووصلا سويًا إلى القرب من البوابة، فوجيء الرائد أنها محصنة تمامًا بالأمن ومن الصعب أن يستطيع أحد العبور، نظر إلى الزوجة وبدأ يُخبرها أنهما في ورطة بسبب تلك الخطوة التي لم تكن في حسابه وما زاد الطين بلة أن التيار الكهربائي عاد وأعمدة الإنارة بدأت كشفاتها تستعد لتضيء المعسكر بالكامل.

-١٢-

استمرت عملية القبض على كل من يحاول الخروج أو الهروب من المنطقة الآمنة في تلك الليلة البهماء لعدة ساعات حتى أعلن قائد المجموعة التي تحاصر المنطقة الاقتحام بحجة التفتيش وأن هناك عسكريين يختبئون بالداخل، تم الاقتحام بصورة مرعبة تعمدوا فيها بث الرعب والفزع في قلوب كل الأسر التي تختبئ بالداخل، تعمدوا العنف المفرط والهمجية المبالغ فيها بأمر من قائدهم الذي لا يعنيه كم الاعتراضات والتهديدات التي ألقاها عليه جون رابي ومساعدوه، أمر كل الجنود بإلقاء القبض على كل من يرتابوا في أمرِه فضرب المعسكر موجة من الاعتقالات العشوائية التي تتم بدون أي منطق، ارتفعت موجات الجنون والهياج وانتزعوا من المنطقة لقبها فلم تعد الآمنة بعد ذلك الاجتياح لكنها أصبحت منطقة محاصرة يعبث بها جيش العدو كيفما شاء، ألقى الجنود القبض على عدد كبير جداً حتى أنه زاد عن الأماكن المتاحة داخل المدرعات والمركبات التي بحوزتهم فرفعوا الأمر إلى قائدهم الذي بات في عيون كل صيني موجود مجرد مخلوق خلقه اللّه ليس إنسانًا وما ينبغي أن يكون، أمرهم القائد أن يصفوا من تبقى منهم في عدد من الصفوف بحيث لا يزيد كل صف عن عشرة أشخاص ثم



أمرهم أن يقيدوا أيديهم ثم ربط الصف بأكمله في جنزير طويل فأصبح كل صف كالكتلة الواحدة يربط بين أفراده الخوف والذل والهوان، أمرهم القائد أن يربطوا طرف الجنزير الموجود في بداية كل صف في مؤخرة مدرعة أو مركبة ويقوموا بسحبهم رغماً عنهم خلفهم أمَّا ذوي الحظ العظيم كالضابط المُصاب ولي يونج فقد جاء مكانهم داخل مركبة تكدس بها عشرون شخص في مساحة لا تتسع سوى لعشرة أشخاص فقط جميعهم مكبلين الأيدي والأرجل ومعصوبي العين، أعطى القائد أوامره فبدأ الجيش بالتحرك إلى حيث لا يعلم الأسرى.

استمر الجيش في السير لمدة تزيد عن ساعتين حتى أن بعض الأشخاص من الصفوف التي تُجر خلف المركبات سقطوا على الأرض ولم يستطيعوا السير بسبب الإعياء الذي وصلوا إليه لأن معظمهم في الأصل من المدنيين وليس لديه أي تدريبات على تحمل مشقات الحرب ومعاناته، فقط ارتاب بهم الجنود فألقوا القبض عليهم، تسلل الإعياء الشديد إليهم فبدأ بعضهم يتساقط على الأرض والمركبات لا ترحم ولا تتوقف لحظة، فمنهم من سُحِل ومنهم من انتزعت أطرافه ومنهم من تحامل على نفسه حتى لا يلقى نفس المصير الأسود الذي وجده يبتلع زملاءه لكنه في النهاية



سقط ودُهس تحت عجلات المركبات الضخمة، قطع الجيش مسافة كبيرة حتى وجدوا أنفسهم باتوا قريبين من نهر «يانجتسي» فطلب من القوات أن ترتاح قليلاً وأمر أن يجمعوا كل الأسرى وأن يصفوهم أمامه في صفوف متساوية فصدعوا للأمر وأجبروا الجميع على الوقوف في صفوف متتالية في تلك المساحة الشاسعة التي أمام القائد بعدما انتزعوا منهم العصابات وفكوا أصفادهم وحاصروهم بالسلاح من كل جانب حتى لا يُخيل إلى أي منهم الهروب، شرع القائد في التجول فيهم بعينيه المليئتين بالشر والشراسة ثم طلب من أحد الجنود أن يأتيه بحبل فهرع كالملسوع وأحضر له ما طلب في زمن قياسي، عاد القائد للتجول بعينيه في الأسرى ولكن هذه المرة فضل أن يسير بينهم وهو ينظر في وجوههم يتفرسهم كأنه يتمتع بملامحهم الخائفة المذعورة مما يحدث، لا شيء يعلو فوق صوت حذاءه العسكري وهو يخطو به على الأرض ويعقد يديه خلف ظهره يتابعهم بعينيه الشرسة حتى وقع الاختيار على واحد منهم شعر أنه مناسب للمهمة التي يفكر بها فطلب من زبانيته أن يُحضروه أمام الصفوف حيث كان القائد يقف فهرع اثنان منهم وحملوه بغيظٍ وسحبوه إلى حيث أمرهم، أجبروه على أن يجثو على ركبتيه أمام القائد الذي ينظر في عينيه التي ترتجف من شدة الخوف ثم نظر إلى شجرة



تبعد خطوات معدودة عنه، ابتسم القائد ابتسامة صفراء لزجة ثم مد يده بالحبل، نظر له الأسير الصيني وعليه أمارات عدم الفهم فلم يتحرك ولم يفعل شيء مما دفع جندي يمني النفس بالتقرب إلى القائد أكثر بصفعه على وجهه قبل أن يأمره القائد بأن يأخذ الحبل ففعل ذلك دون نقاش وعيناه كادت تنطق من شدة الخوف، بهدوء وبرود بدأ القائد يتحدث إليه في استعلاء وتكبر وزهو.

– أنا آمرك أن تذهب إلى تلك الشجرة وتشنق نفسك بالحبل الذي أعطيته لك.

اتسعت عين الأسير قبل أن تنكمش ملامحه على أثر كلمات القائد الذي أعادها مرة أخرى بنبره باردة وهو يستلذ ما يراه أمام عينيه، ظل الأسير متجمداً أمامه لا يتحرك، فقط يرتعش جسده بلا هوادة وهو يفكر في ذلك الأمر ذي المذاق المر كالعلقم بل أشد مرارة، انبرى القائد مرة أخرى وهو يستمع إلى صرير أسنان ذلك المسكين.

– أنا لا أحبذ إعادة كلامي عدة مرات، نفذ الأمر وإلا طلبت من أحد جنودي الذي يشتهي النساء أن يغتصبك أمام الجميع.

أدار القائد رحى العذاب على هذا الأسير المسكين الذي حُشر بين اختيارين أيسرهما الموت، انتابت



باقي الأسرى حالة من الصرع الذي كان يحكي عنه دائماً «دستويوفسكي»، بهدوء نهض الأسير وشرع يترجل تجاه الشجرة والدموع تنساب ببطء من عينيه وجنود العدو يحوطونه بأسلحتهم من كل جانب حتى وصل إلى الشجرة، رمق الأسرى وهم ينظرون إليه جميعًا وأعينهم مليئة بالحزن والأسى لا يملك أيًا منهم له أي شيء سوى الدعاء، بدأ الأسير بلف الحبال حول رقبته وعيناه ينساب منها الدموع، ألقى بطرف الحبل على جذع شجرة كبير ثم عاود إمساكه بعدما ألتف حول نفسه مرة كاملة، أغمض عينيه فخُيل إليه مشهداً لأحد الجنود وهو يقوم باغتصابه رغماً عنه إذا تراجع عما يفعله فزفر بقوة وفضل الموت عن ذلك الأمر المشين، ارتفع صوته قليلاً وهو يتحدث إلى نفسه كأنه يطمئنها ويودع الدنيا.

- اميتوفو بوذا.

سحب طرف الحبل حتى احمر وجهه وبدأ يشعر بالاختناق وهو يمنع الأكسجين من العبور إلى رئتيه، عيناه لم تتوقف عن الدموع وأعصابه بدأت تتراخى في شد الحبل فنفسه ليست عليه هينه وروحه لا تزال غالية فذكرها بذلك المشهد الذي يغتصبه فيه جندي إن تراجع عن فعل ذلك فعادت أعصابه تتماسك ليشد الحبل بصرامة قبل أن يتذكر عائلته وأنه لم يلتقي بهم منذُ بداية الحرب



فتعود أعصابه للتراخي مرة أخرى قبل أن يحفزها هو مرة أخرى، ظل على تلك الشاكلة المتأرجحة والقائد يتابعه ويضحك ملء شدقيه، تغمره سعادة شديدة وهو يتابعه حتى سقط على الأرض جثة هامدة فتعالت صيحات الجنود والهتافات التي يعظم فيها إمبراطور اليابان حتى أشار لهم القائد فالتزم الجميع الصمت، نظر القائد إلى باقي الأسرى وبدأ يتحدث إليهم.

- أيها الحثالة، أعلم جيداً أن من بينكم أشخاص مدنيين لا علاقة لهم بالجيش أو بالحرب لكني من هواة الظلم والقتل والتعذيب، أشعر بنشوة ولذة غريبة حينما أقوم بظلم شخص منكم أو تعذيبه، لذلك طلبت من زميلكم أن يقتل نفسه على الرغم من أني أستطيع فعل ذلك وبسهولة، لكن قتله لنفسه سيسبب له الكثير من العذاب النفسي، نسيتُ أن أخبركم من أنا، أنا قائد في الجيش الإمبراطوري الياباني العظيم كُلفت بأن آخذ العسكريين المختبئين داخل تلك المنطقة المزعومة إلى أسوأ معسكر ياباني في دولتكم الحقيرة، من سيظل منكم على قيد الحياة سأصل به في النهاية إلى معسكر من معسكرات الجحيم، مصائب الدنيا كلها لا تساوي قضاء ليلة واحدة داخل المعسكر، لكننا هناك سعداء بأصوات صراخكم وعويلكم، سعداء بقتلكم بطرق غير

رحيمة وسعداء أيضًا بما نجريه عليكم من دراسات وتجارب، الوصول إلى هناك سيحتاج إلى السير المستمر لعدة ساعات طويلة لذلك قررت أن نرتاح قليلاً أمَّا أنتم فستظلون كما أنتم واقفين على تلك الشاكلة حتى نرتاح وسط حراسة مشددة، لن نتهاون في القبض على أي شخص يتنفس بصوت عالٍ لنقوم بعدها باغتصابه جميعًا.

تركهم القائد وسط الحراسة المشددة وانصرف لينال قسطًا من الراحة، ترك الأسرى وهم في حالة يرثى لها، عذاب الانتظار الرهيب كان يقبع في كل دقيقة تمر على هؤلاء الأسرى، الوقت يمر كأنه عجوز في الثمانينيات يجاهد ليصعد جبل مرتفع، الويل كل الويل لمن تسول له نفسه بأن يثني ركبته ليرحمها كان يُنَكل به ليصبح عبرة لباقي أصدقاءه، ظلوا على تلك الشاكلة حتى ارتفع صوت أحد الأسرى بعد ساعة من الزمن، كان مدنيًا وقد اعتقل استبداداً على أنه شخص عسكري، رفع يده في تأدب شديد وهو يستأذن أحد الضباط المشرفين الذين كلفهم القائد بمتابعة رحى التعذيب التي تهرس الأسرى، صوته العالي وهو يستأذن الضابط كان ملفت لدرجة أن بعض الأسرى نظروا إليه كأنه شبح قد جاء من الجحيم، نظر إليه الضابط الكالح ذو الملامح شديدة الكآبة ثم انطلق



ناحيته كالقذيفة، وقف أمامه ليعطي له نصيبه من الإهانة قبل أن يسأله ماذا يريد؟؟

– أريد أن أقضي حاجتي، الجو قارص ولا يوجد منفذ للماء سوى ذلك.

ابتسم القائد في خبث وشعر أنه على موعد جديد مع اللهو، طلب منه أن يأتي معه فصدع للأمر، سارا سويًا حتى ذهب به إلى حيث يجلس القائد، الأسير كان بالكاد يستطيع أن يمشي بعد تلك المسافة الكبيرة التي قطعها سيرًا على الأقدام، القائد كان يتمدد على الأرض في استرخاء، وقف الضابط أمامه وعرض عليه الأمر بلغته اليابانية فنظر القائد إليه ثم أجابه بشيء ما بلغته اليابانية فلم يفهم الأسير بماذا أجاب لكنه وجد الضابط يأخذه مرة أخرى ويعيده إلى حيث جاء لكن هذه المرة توقف به أمام جميع الأسرى، نظر له بشماتة قبل أن يطلب منه أن يقضي حاجته وهو عاري تمامًا أمام جميع زملاءه، الموقف يبدو قاسيًا ولكن بالنسبة لهذا الأسير هو قمة الرحمة بعد دوامات العذاب التي تضربه منذُ بداية الحرب على نانجينغ، بدأ يخلع ملابسه حتى أصبح عاري تمامًا أمام الجميع في ذلك الجو القارص، نظر الضابط في ساعتِه ثم أخبره أن أمامه عشرة ثواني كاملة ليقضي حاجته كيفما شاء وإلا شج جسده بذلك السلاح الأبيض حاد النصل فبدت عليه أمارات الدهشة التي سرعان ما تصاعدت بشكل



كبير حينما أخبره أن العشر ثواني قد بدأت فسعى الأسير لقضاء حاجته سريعًا ولكن الزمن المستحيل الذي وضعه الضابط هو مجرد وسيلة ليستمتع بتعذيبه، هو على يقين بأنه سيخترق هذا الزمن مهما فعل ليقوم هو بعمل قطع في جلدِه بنصل السلاح الحاد فيصرخ الأسير وهو لا يستطيع أن يتوقف عن قضاء حاجته فجهازه البولي لم يعنه كل هذا الألم، هو فقط يريد أن يفرغ الحمل الذي يشكو منه، مرت العشر ثواني الأخرى فعاد الضابط وصنع شجًا آخر في مكانٍ مختلف فصرخ الأسير، ظل على تلك الشاكلة حتى انتهى من قضاء حاجته بالكامل ثم أمره أن يقف ففعل ما أمر به، طلب الضابط من أحد الجنود شيء بلغته التي يجهلها الأسير والذي شعر معها بانقباض غريب في القلب علاوة على انه يثق تمامًا بأنه أمر غير محمود، عاد الجندي الذي قد انصرف سلفًا ومعه إناء به سائل يتلاعب بداخلِه فيصدر صوتًا مسموعًا، أخذه الضابط في شغف واقترب به من الأسير الذي يتألم بشدة بسبب الجروح التي فعلها الضابط بجسدِه، اقترب من أذن الأسير وراح يهمس بصوتٍ كالفحيح.

– إياك أن تتحرك.

ألقى على جسده السائل الموجود في الإناء فأدرك الأسير أنه كحول من رائحته النفاذة ثم راح يصرخ



صراخًا مرعبًا وهو يقفز في مكانه كأن الأرض ملتهبة وسط ضحكات الجنود والضابط الذي استمر في سكب الكحول عليه أكثر وهو يصرخ كما لو كان يُسلخ حيًا، لف لي يونج ورفيقه الضابط المُصاب وجوم ثقيل وهما يشاهدان هذه الأفعال الوحشية التي تُرتكب في حق أبناء وطنهم، لم يكتفِ الضابط بهذا العبث بل ألقى بعود مشتعل عليه فتحول الأسير إلى كتلة من اللهب، تعالى الصِراخ وصار جنونيًا وهو يركض مشتعلاً يبحث عن أي شيء يطفئ به تلك النيران التي تأكل جسده وتذيب جلده، ركض تجاه النهر وألقى بنفسِه فيه فانطفأت النيران بالماء لكن ذلك المسكين كان لا يستطيع السباحة فظل يستغيث بكل من يقف على ضفة النهر لكنه لم يجن سوى الضحكات والسخرية العارمة حتى أن بعض الجنود كانوا يمسكون العصي ويقربونها له وحينما يُمسك بها يتركونها فيعاود الغرق حتى فارق الحياة ولم يعد يصنع ضجيجًا على سطح النهر ولم يعد هناك أثر له.

نظر الضابط إلى الأسرى وأخبرهم أن هذا سيكون عقاب أي شخص يفكر في طلب أي شيء من الآن، فأعرض الجميع عن طلباتهم وفضل معظمهم أن يمتنعوا عن طلب قضاء حاجتهم بعدما كانوا على شفا طلب ذلك حال نجاح رفيقهم في العذاب.



***

مر وقت غير معلوم بالنسبة للأسرى ولكنه كان وقت مرير حتى ولو كان قصيرًا فالدقيقة في تلك الحالة التي يعيشونها قد توازي ساعات طويلة في يومٍ عادي، الرياح الباردة تعوي بقوة فتضرب أجسادهم الضعيفة التي أكل منها العذاب حتى شبع، لم تعنهم ملابسهم الخفيفة على الاحتماء منها فصارت ترتطم بهم كما ترتطم أمواج البحر الهائجة بالصخور، لي يونج عقله لا يستطيع استيعاب كل هذه الأحداث المؤسفة التي مرت عليه منذُ غزو المدينة، لا يستوعب القسوة التي وصل أليها جنود العدو ليفعلوا تلك الأفعال العنيفة غير المبررة ضدهم، انتظر الجميع حتى أكل كافة الجنود والضباط اليابانيين وملئوا بطونهم بالطعام الجاف الذي كان بحوزتهم، عاد القائد الشرس مرة أخرى ووقف في تلك البقعة التي تحدث معهم من خلالها سلفًا فحدجه كل الأسرى بنظرات عنيفة شرسة لا رحمة فيها ولا شفقة بل يظهر فيها شماتة لم يصل إليها مخلوق قبل ذلك، بدأ يتحدث إليهم بكلماتٍ شرسة لا تختلف عن نظراته يخبرهم فيها أنهم سيستأنفون رحلتهم إلى هاربين الآن، لم يعطوا للأسرى أي طعام أو حتى شربة ماء تعين أجسادهم على مقاومة هذا البرد القارص لكن ما

الجوع والعطش بجانب هذا الخوف العارم الذي يقتلع القلوب من الصدور.

أعاد الجنود الأسرى إلى أماكنهم ولكن بطريقة عشوائية هذه المرة، ملئوا بهم المركبات والمدرعات وهم يلقون عليهم أقذع ما جاء في قواميس الشتائم، يضربونهم بكل قوة وحزم حتى إن عظام بعضهم تفككت على أثر ذلك الضرب المبرح وهم يدفعونهم إلى الداخل كما لو كانوا يدفعون أجولة من البطاطس، لم يتبق سوى تعساء الحظ الذين جاء موقعهم خارج المركبات واللذين سيقيدون أيديهم ويسحبونهم خلفهم، لي يونج والضابط المُصاب جاء مكانهم مع هؤلاء المنكودين الذي سيعانون أشد العناء، أرسل لي يونج بصره فوجد القائد الشرس يقف بالقرب منهم فارتطمت في رأسِه فكرة، سيخبره أن زميله يعاني من رصاصة في قدمِه وأنه لن يستطيع المشي لكل هذه المسافة الطويلة لعله يلين ويوافق حتى ولو أمر بتعليقه على المركبة، المهم ألا يمشي كل هذه المسافة، ارتاب لي يونج في الأمر وأخذ يفكر طويلاً هل سيستجيب له القائد أم سيصب عليهم جام غضبه، هو لا يعلم ماذا يخبئ له القدر أو ماذا سيكون استقبال القائد لذلك لكنه يعلم جيداً أن رفيقه لن يستطيع مواصلة المشي، ظل لي يونج يتأرجح في طلبِه بين الإعلان عنه أو



يطمره في صدره حتى أعلن أنه سيخبر به القائد فشرع في التحدث إليه ولكن قبل أن تخرج تلك الكلمات من شفتيه فوجئ بشخصٍ آخر يطلب من القائد الشرس أن يضعه في مركبة لأن قدمه منتفخة بالصديد ذو اللون الأصفر اللامع الظاهر تحت الجلد وتئن بالألم وتصرخ صراخًا مريرًا ولن تعينه على المشي لمسافات طويلة، اتسعت عين لي يونج وهو يستمع إلى ذلك الأسير الذي سبقه بطلبِه فدفع القائد إلى التبسم بخبثٍ فبدا كالضبع الماكر، سار بخطوات معدودة حتى بات قريبًا من الأسير ثم طلب منه أن يُعيد عليه طلبه مرة أخرى فأعاد كلماته بنبرة يتجسد فيها الخوف والرعب المبين، ضحك القائد ملء شدقية ثم طلب من جنوده أمرًا ما بلغته اليابانية التي باتت مرعبة حينما تأتي بعد أي طلب يُطلب منه، عاد الجنود ومعهم ذلك السلاح الأبيض الذي شج بها الضابط جلد الأسير الذي طلب الذهاب ليقضي حاجته، تخلل الخوف ثناياه وشعر أنه بطلبِه الساذج وضع نفسه بين فكي السبع، أخذ القائد السلاح الأبيض ونظر إليه ووجهه ينهال بالبشر والحبور، والخوف يتصاعد ويتضاعف بداخِل ذلك المسكين صاحب الأقدام المتورمة، أمر القائد زبانيته بشيء ما بلغتِه التي باتت تقذف الرعب في أعتى القلوب فركضوا تجاهه وسحبوه بعيدًا عن زملاءه، افترشوا بجسدِه الأرض ثم نزعوا منه ما تبقى من الحذاء والجوارب،



أمسكوا أقدامه العارية في الوقت الذي بدأ القائد يتقدم تجاهه، نظر إليه وهو يتلاعب بالسلاح الأبيض ذو النصل الحاد في يده، الأسير لا يفهم ما يحدث لكن قلبه لم يتوقف عن الارتعاش وهو يثق تماماً أن ما يحدث هو ليس بالأمر المحمود، حتى جاءت الصاخة وبدأ الجد يظهر على القائد وهو يتحدث.

- أنت تشكو من أن قدمك تورمت وامتلأت بالصديد الأصفر ولهذا السبب لن تستطيع المشي لذلك قررت أن أساعدك.

- كيف؟؟

سأله الأسير وهو في ذلك الوضع الصعب مقيد الأقدام، ضحك القائد الشرس وأضمر الإجابة في نفسِه ثم اقترب منه ببطء وبدأ يشق جلد باطن قدمه بنصل السلاح الأبيض الحاد وذلك المسكين يصرخ ويحاول ان يُفلت قدمه ولكن الكلمة العُليا كانت لهؤلاء الزبانية اللذين استطاعوا تثبيته بقوة، أخذ ذلك السادي يشق جلد قدمه ببرود واستمتاع غريب وهذا المسكين ينتفض كأنه يحضن كابل كهرباء عالي الفولت، شق الجلد وأخذ يضغط على باطن القدم بقوة فيُخرج ذلك الصديد الذي يُسبب له الألم وسط صراخ وعويل يعود لشخصٍ لا يحتمل، انقبضت قلوب الجميع وشملتهم حالة من الاستياء



لكن لم يجسر أي شخص على الاعتراض، استمر هذا السادي في تعذيب الأسير المسكين حتى فقد الوعي من كثرة الصراخ والدماء التي سالت على أثر فعلته فقد كان العذاب فوق احتمال أي مخلوق، رجع القائد خطوتين إلى الخلف والدماء تكسو زيه العسكري وكذلك سلاحه الأبيض، أمر الجنود أن يسحبوه ويقيدوه في إحدى الأشجار القريبة منهم، سحبوه من أقدامِه ثم أنهضوه وقيدوه بحبال حولها وهو فاقد الوعي، اقترب القائد منه بهدوء ثم حفر على جبهتِه بنصل سلاحه الحاد بلغتهم اليابانية «الأسير الخنزير» ثم وضع العلم الياباني على جسده، ضحك الجميع وكل خلية في جسد لي يونج تحمد اللّه على أنه لم يتحدث إلى القائد ويطلب منه ذلك الأمر الذي كان يدور داخل عظام جمجمته، صعد القائد الشرس إلى مكانه داخل إحدى المركبات ثم أشار إلى الجميع بالتقدم فبدأ الموكب في التحرك تجاه هاربين.

ظل الموكب يتحرك لمدة تزيد عن نصف ساعة والضابط المُصاب يجاهد حتى لا يسقط فيضغط على قدمِه المُصابة متحاملاً على نفسِه، لم يستمع لصراخ قدمِه التي تصرخ فيه كي يرحمها مما هي فيه لكن ما كان الأمر بيده فهو مُجبر على فعل ذلك إذا أراد البقاء على قيد الحياة، لي يونج هو من



يشعر به وبالألم الذي يغتصب قدميه وجهازه العصبي، الدماء تغلي في أعماقِه وهو يرى رفيقه في هذا الموقف الصعب، بل كل رفقاءه وجنود جيش بلادِه، لكن أي محاولة منه للدفاع عنهم ستكون بمثابة محاولة للنظر إلى الشمس من قعر جُب مظلم بباطن الأرض، لن تجني سوى سواداً قاتمًا وفشلاً ذريعًا سيتحول إلى غضب جامح سيُصبه عليه ذلك القائد الشرس، الموكب مستمر في سريانِه داخل طرق كثيرة لم يصل إليها لي يونج في يومٍ من الأيام، يشاهد لي يونج المكان من حوله ويشاهد أيضًا الألم الذي يتجسد على إخوتِه وهم يُسحبون كالبهائم، الموكب يقطع الطرق الطويلة مرورًا ببعض المدن والشوارع التي وقف سكانها على الجانبين يشاهدون الموكب وهو يمر أمام أعينهم الضيقة، يرمقون جنود وضباط جيش بلادهم وهم يُهانون ولا يجسر واحدٌ منهم على التنفس، تعمد القائد الشرس أن يظهر بنصف جسده العلوي خارج المركبة كأنه يستعرض قوته وهيبته بين هؤلاء المدنيين الذين تمكن اليأس من قلوبهِم ووصل إلى أعماق نفوسهم، الموكب مستمر في قطع الشوارع والمسافات ولا أحد يشعر بالألم الذي أُصيب به هؤلاء وهم يمشون على أقدامهم لساعات رغمًا عنهم، ظل الموكب يتحرك حتى هبط عليهم الليل والظلام فزأر القائد في الجميع وأمرهم أن

يتوقفوا، هذا خبر سار يدب الفرح والسعادة في قلب من تبقى ولم يستسلم للسقوط والهرس تحت عجلات المركبات، كان الضابط الصيني ورغم إصابته في قدمِه من المحظوظين اللذين وصلوا ولم يلقوا حتفهم، فك الزبانية قيودهم فبدءوا يتساقطون على الأرض واحد تلو الآخر حتى لي يونج لو رأي أحد من أفراد أسرته الآن فلن يتزحزح أو يتحرك من مكانِه، سقط على الأرض مع الباقين دون حراك، نزل القائد من مكانِه وبدأ يسير وسطهم بعدما أمر الجنود بإخراج كل الأسرى الذين تمتلئ بهم المركبات، بصوتٍ حازم أمرهم القائد أن يخلدوا إلى النوم وأمر جنوده بأن ينقسموا إلى جزء للحراسة والجزء الآخر يأخذ قسطًا من الراحة ثم يتبادلون الأدوار، خصص عدداً بسيطًا من الجنود لإضافة البنزين والمواد البترولية في خزانات المركبات لتكمل مشوارها في الصباح، لي يونج كان يشعر بإرهاق شديد، إرهاق لم يشعر به من قبل، بدأت الدموع الحارقة تنهال من عينيه وتسير في مجاري الدموع وجسده يرتعش والبرد ينخر عظامه لكنه استسلم للنوم رغم كل شيء، استسلم والجوع ينشب أظافره في جدار معدته، لحق به كل زملاءه الأسرى فتحولوا إلى قيوداً صامتة، ترقد من آلاف السنين.



مع تباشير الفجر الرمادية بدأ الجنود يمرون على الأسرى فيضربونهم ليستيقظوا ليستقبلوا يوماً من أكثر أيام حياتهم تعاسة، بدأ الصبح يتنفس تنفساً بطيئاً ضجراً، المكان غارق في صوت الجنود الموحش كالموت وهم يضربونهم بكل حزم بعدما أمرهم قائدهم أن يصبوا غضبهم عليهم فانهالت الشتائم من أفواههم كالسيل المنهمر، أمر الجميع أن يصطفوا صفاً واحداً فصدعوا بالأمر ناكسي الرؤوس وملامحهم قد تجمدت عليها أشياء كثيرة أوضحها الأوساخ التي علقت بها، أخذ القائد يمر أمامهم في هدوء والعذاب النفسي والخوف لم ينقطع عنهم لحظة واحدة.

– أعلم ان لا يوجد طعام داخل بطونكم منذُ أمس وأنكم تتضورون جوعاً خاصةً أن البرد قارص وأجسادكم في حاجة ماسة للطعام، لكن لسوء حظكم نحن لا نملك أي طعام لكم، الطعام الذي بحوزتنا فقط يكفي حاجتنا فهل لدى أيّاً منكم اقتراحات نوفر بها طعام لكم.

تبادل الجميع النظرات ولم يتمكن أي منهم أن ينطق بشيء، هم يشعرون بالجوع القاتل إلى الطعام، ولكن كان هناك إلحاح شديد من نفوسهم ليشعروا بإنسانيتهم وسط هؤلاء المسعورين الذي لا يجدوا سعادتهم إلا في تعذيبهم، غمغم القائد ثم استأنف حديثه.



– عندما تدق ساعة الجوع لا يوجد طعام سيء، هذا مثل ياباني نتحدث به كثيراً في بلادنا والآن نحن على موعد لتطبيقه على أرض الواقع، هذا ليس مجالاً للتجربة نحن نؤمن بالمثل لذلك سنقوم بتنفيذه.

تجول القائد الشرس بعينيه في وجه الأسرى الصفراء التي لا تنمُ سوى عن الألم والأسى كان أغلبهم يرتعد والقائد يقترب شيئًا فشيء بجوارِهم، يسمعون بآذانهم ذلك اللحن الجنائزي الذي يعزف دون توقف منذُ أن انفتح باب جحيم اليابان من باطن الأرض دون حساب أو تقدير، رويداً رويداً بدأ اختيار القائد يقبع على مجموعة من الأسرى، يشير إلى الشخص الذي يعلم أنه مُصاب أو به علة ظاهرة فيُخرجه الجنود من الصف، وقع الاختيار على خمسة أشخاص قد تمكنت منهم كل المتطلبات التي أرادها القائد الشرس الذي ظل يخطو بينهم ليختار الشخص السادس حتى توقف أمام الضابط المُصاب نظر في عينيه فتجمع الخوف والهلع في قلبه دفعة واحدة لكن لم يُظهر ذلك، طمر كل أحاسيسه في قلبه ورائحة الأدرينالين تفوح منه لكن لا يميزها سوى الحيوانات لذلك تعرف عليها القائد بسهولة قبل أن يسأله بنبرة صوت هادئة مميتة.

– هل تعاني من إصابة؟؟



باغته السؤال ولم يكن لديه وقت للتفكير فهز رأسه بنعم، ابتسم القائد وسحبه من الصف بعدما علم منه أن الإصابة في قدمِه ليكون سادس المختارين، تجمد الزمن في ذهن لي يونج من الخوف وأخذ يفكر سريعًا ماذا يفعل، القائد يقترب منه وهو يخبر الجميع بأن الشخص السابع سيكون الشخص الأخير، أخذ لي يونج يدعو اللّه أن يكون هو ذلك السابع ليكون بجوار الضابط الصيني الذي ضحى كثيرًا من أجله والذي يدرك أيضًا بأنه لا يستطيع حتى المشي لكن لسوء حظه وقع الاختيار على شخص آخر أتم به القائد العدد الذي حدده، لي يونج كان يلعن حظه السيئ لكن ارتطمت برأسِه فكرة، تظاهر أمام القائد بأنه مُصاب، جعل ملامح وجهه تُجسد الإحساس بألم شديد قد يفوق الاحتمال لكن لم يجن الأمر ثماره بالنسبة له فبالغ في الأمر وأخذ يتأوه بصوت مسموع حتى جذب أنظار القائد إليه، سأله ماذا هناك فأخبره أنه لا يستطيع الوقوف وأنه قدمه تُؤلمه بشدة ثم شعر أنه تصرف تصرفًا أحمقًا فربما ينزل عليه القائد عقابًا رادعًا بدلاً من أن يُشركه في المسابقة ولكن لحسن حظه هذه المرة راقت الفكرة للقائد فعدل القانون في رأسِه وأخذ لي يونج ليكون الشخص الثامن.



اصطف الثمانية أشخاص بجوار بعضهم البعض والقائد الشرس يسير حولهم كالضبع الذي يحوم حول فريسته قبل الانقضاض عليها، أمر جنوده بشيء ما بلغته اليابانية فانصرف بعضهم ليُنفذوا ما طلبه منهم، نظر القائد إلى الثمانية أشخاص الذين يصطفون في ذلٍ، رمقهم في تشفي قبل أن يتحدث إليهم.

- كما أخبرتكم من قبل عندما تدق ساعة الجوع لا يوجد طعام سيء، الآن أنتم أصبحتم الطعام الذي سيأكله الأسرى.

اتسعت أعين الجميع وتبادلوا النظرات بعدما سمعوا هذه الكلمات الصادمة، أردف القائد.

- لكن حتى لا أكون ظالمًا سنقوم بعمل مسابقة بينكم، وأنتم السبعة عليكم أن تركضوا في سباق بطول ثلاثمائة متر، السبعة أشخاص الذين سيصلون إلى خط النهاية سينجون أمَّا الشخص الثامن فسوف يتم أكله لأنه الخاسر في تلك المسابقة.

واقع الكلام قاسيٍ جداً على أذن السبعة أسرى اللذين وجدوا أنفسهم في مسابقة لم يودوا الاشتراك فيها من الأساس، لي يونج ينظر إلى الضابط المُصاب الذي عاتبه بنظراتِه وهو يخبره بلا



صوت لماذا فعلت ذلك؟؟ لماذا انضممت إلينا!! ، لي يونج نفسه لا يدرك لماذا فعل ذلك، فقط هو وجد رفيقه قد أُختير وهو يعلم أنه مُصاب فأراد أن يكون بجوارِه مهما كانت النتائج، الأمر على مرارته البالغة كان يثير السخرية الشديدة في نفوس بعض الأسرى وهم يُخيل إليهم أنهم من الممكن أن يلتهموا زميلًا لهم، زميلهم الذي كان يدافع عنهم ويساندهم، سيجدونه أمامهم قطع عليهم أكلها!!

وقف الثمانية متسابقين على خط البداية الذي حدده لهم الطاغوت الأكبر، كلٌ غارقٌ في التأملات يشعر بحزنٍ جارف وأسف عميق على ما حل به، لا يستطيع تصديق أن بعد نصف ساعة سيذهب واحد منهم إلى أمعاء باقي رفقائه، الجميع كانوا يشاهدون الموقف في حالة من الصدمة الشديدة ولكن لا يملك أي منهم الاعتراض أو التمرد على قرار ذلك الطاغوت الشرس الذي يتحرك من حولهم ليلقي عليهم التعليمات الحاسمة والقوانين الصارمة التي لا تهاون فيها، ثم طلب من الجميع الاستعداد وهو يُخبرهم أن على يمينهم ويسارهم هناك مركبات ستتحرك معهم لضمان عدم هروب أحدهم أو الغش في المسابقة، ومن يخترق القوانين سيتمنى لو كان سيقدم كطعام لزملائه بدلاً مما سيجده منا، الغريب أن القائد كان يُشدد



على ذلك ويخبر الجميع أنه لا يهوى الغش والظلم!! وأنه لن يدع شخصاً لا يستحق، يفوز بالمسابقة!!

أخرج سلاحه الناري ورفعه إلى أعلى، انتظر قليلاً ثم أعطى للجميع إشارة البدء، سحب المتسابقون قدراً كافياً من الأوكسجين ملئوا به صدورهم قبل أن ينطلقوا في سباقهم، لكنه كان انطلاق يختلف عن الانطلاقات المتعارف عليها في مثل هذه السباقات، كان انطلاقاً بطيئاً وهزيلا يتناسب مع أجسادهم التي تملؤها الإصابات، أقدامهم بالكاد تعينهم على الحركة ولي يونج كان أسرعهم لأنه يعاني من الإجهاد فقط، لكنه خالي من الإصابات، المتسابقون يركضون داخل ذلك السباق الممل البطيء الذي لا يُمتع سوى شخص سادي يعلم تماماً كيف يتألم هؤلاء، اجتاز المتسابقون خمسين متراً وهم في حالة يرثى لها، الضابط المُصاب يعرج بشدة وهو يجاهد ليركض ويلحق بالجميع، لي يونج ينظر تجاهه فوجده في نهاية السباق، توترت أعصابه وأدرك أنه بهذه الحالة سيكون هو الضحية، تنازل لي يونج عن مكانه في البداية وعاد إلى الضابط المُصاب يحثه على الركض والحركة لكنه وجده يُخبره بأن قدمه تُؤلمه وتصرخ بصرامة في وجهه، نظر لي يونج حوله فوجد المركبات بالقرب منهم والجنود في حالة تحفز بأسلحتهم النارية تجاههم، أي قرار غير مدروس سيكلفهما الكثير،



الفجوة التي بين لي يونج وباقي المتسابقين تتسع، عليه أن يفعل شيئًا، لم يجد أمامه سوى أن يلف ذراع الضابط حول رقبته ويركض به وهو يقفز على قدم واحدة بجوارِه مُحاولاً أن يساويه في سرعتِه التي يركض بها، هذا الأمر لم يلق استحسان بعض جنود العدو الذين قرروا التدخل لكن منعهم الطاغوت الأكبر وأخبرهم أن ما يحدث سيمثل متعة أكبر بكثير، لي يونج يركض والضابط بجواره يجاهد بشدة، لي يونج يُزيد من سرعته أكثر حتى تخطى ثلاثة من المتسابقين الذين بدأوا يشعرون بالتعب الشديد، الضابط المُصاب بات غير قادر على مواصلة السباق بعد تخطي مائة وخمسين مترًا تحديداً، دفع لي يونج بعيداً عنه وسقط على الأرض وهو يصرخ ويتألم بشدة، ملامحه لا تُظهر سوى ألم شديد لا يُحتمل.

– ماذا حدث؟؟

سأله لي يونج فأجاب الضابط من بين أسنانه.

– قدمي أصبحت لا تُعينني على الركض، ألم شنيع يغتصب الجرح الذي في قدمي.

– لا تستسلم يا رفيقي، انهض فالقطار يغادر المحطة.



– لن أستطيع أن أكمل السباق عليك أن تذهب أنت.

– لقد لمحت الثقب في سفينتك من البداية لكني غامرت بالإبحار معك حتى لا تغرق والآن تريد مني أن أتركك.

– أنا لا أستطيع، سوف أمثل لك حملًا لن تطيق حمله.

– لقد أخبرتك قبل ذلك أن التضحية من أجل العائلة هو خلود في موتٍ رائع وأنا أعتبرك فرد ضمن عائلتي وتستحق التضحية.

حمل لي يونج الضابط المُصاب على كتفه كما حمله سلفًا فأصبحت قدماه لا تتصل بالأرض تمامًا وهو يستمع إلى جنود العدو المشرفين على السباق وهو يُحذره ويُخبره أن ذلك غير مسموح به لكنه لم يعط له أي اهتمام، بدأ يركض بكل قوة وهو يصرخ صراخًا جنونيًا قذف في قلب بعض جنود العدو الرعب، يضرب الأرض بقدمِه وهو لا يزال يصرخ، نفرت عروق رقبته ووجهه بالشكل الذي يُشعرك أنه على شفا التحول إلى مسخ أو كائن غير بشري، تنهال دموعه وهو يصرخ ويجد في الركض، يحفز نفسه بالتفكير في زوجته وأولاده، يقنع نفسه بأنهم ينتظرونه إذا وصل، يسحب



كمية كبيرة من الأكسجين ويزفرها بقوة وهو يجد أكثر وأكثر في الركض حتى بدأ يقترب من باقي رفقائه لاحظ لي يونج أن عدداً منهم قد وصل إلى خط النهاية الذي بدا ظاهر بالنسبة له ولم يتبق سوى اثنان قد اقتربا أيضًا من الفوز، شحذ طاقته ونفسه وصرخ بقوة أكبر وبدأ يركض بسرعة كبيرة فقدت معها قدمه الاتصال بالأرض، كان يركض كأنه لا ينطبق عليه قانون الجاذبية الأرضية، يخطو خطوة تلو الأخرى وبالكاد قدمه تلمس الأرض، لم يستمع إلى صراخ عضلاته ولا يصغى إلى الجند الذين يخبرونه بأن هذا غير قانوني، لن يهتم بقلبه الذي كاد ينفجر وهو يقاتل ليضخ الدماء بالشكل الذي يتناسب مع المجهود والسرعة المبذولة علماً بأنه لم يعط له الطعام والسعرات التي تعينه على ذلك منذُ ساعات طويلة لكنها هي الإرادة وشعور أن ذلك الضابط فرد من عائلتِه، تخطى لي يونج ما تبقى من المتسابقين وأصبح يفصله عن خط النهاية خطوات لكنه فوجيء بجندي ياباني ظهر فجأة وضربه بساق معدنية في قدمِه فسقط على الأرض وسقط الضابط المُصاب وبالقرب منه خط النهاية، لو تدحرج خطوتين تخطاه أمَّا لي يونج فكان يبتعد ثلاث خطوات عن الضابط وأربعة عن خط النهاية، سقط المسكين وهو يتألم ويجاهد لالتقاط أنفاسه، استمع إلى الجندي الذي ضربه وهو يخبره بحدة أن ما فعله غير قانوني لذلك أراد القائد



أن يضحى أحدكما بالآخر، أراد الطاغوت أن يزيد الموقف إثارة ويكتشف هل سيضحى من أجل صديقه للنهاية، تخطى المتسابقان الخط ولم يتبقى سوى الضابط الذي أصبح خط النهاية خلف رأسه تمامًا ولي يونج الذي يبتعد ثلاث خطوات.

–١٣–

وصلا سويًا إلى القرب من البوابة، فوجيء الرائد أنها محصنة تمامًا بالأمن، ومن الصعب أن يستطيع أحد العبور، نظر إلى الزوجة وبدأ يُخبرها أنهم في ورطة بسبب تلك الخطوة التي لم تكن في حسابه وما زاد الطين بلة أن التيار الكهربائي عاد وأعمدة الإنارة بدأت كشفاتها تستعد لتضيء المعسكر بالكامل، نظرت الزوجة إلى الرائد والرعب يتمكن من كل ملامحها، نظر الرائد حوله ثم طلب منها الركض إلى داخل الفناء مرة أخرى، بدءا الركض فارتطمت في رأسِه فكرة، نظر إليها وطلب منها الركض تجاه أبراج المراقبة المنتشرة على يمين البوابة، استجابت له وركضت معه بعيداً عن الأنظار والجنود المنتشرة عند ثكناتهم، دقيقة واحدة كانت كافية ليصلا إلى سور كبير من الأسلاك الشائكة يرتفع مسافة تزيد عن مترين يفصل سور المعسكر الأسمنتي عن المعسكر من الداخل لكن فوجئ الرائد بأن سيارة قائد المعسكر تتجه ناحيتهما فارتبك.

– الوضع في غاية السوء.

– لماذا؟؟



– هذه سيارة قائد المعسكر وهو سيأتي إلى هنا ويسأل عن كل شيء.

– ماذا علينا أن نفعل.

– الكشافات لا تزال ساخنة ستأخذ وقتًا حتى تستعيد العمل، أنا سأذهب إلى السيارة لأتحدث معه وأشغله وكل ما عليكِ هو عبور الأسلاك الشائكة والوصول إلى هذه الأبراج، البرج الأول خلفه هضبة عالية، ستقفزين منه إلى الخارج ولكن كل ما عليكِ هو التخلص من عسكري المراقبة.

– كيف؟؟

– لا أعلم، ولكن عليكِ أن تفعلي ذلك.

– وماذا إن فشلت؟؟

أخرج سلاح ناري وأعطاها إياه في يدها.

– أقتلي نفسك لأني سأفعل ذلك إن أمسكوا بكِ.

تركها الرائد وركض تجاه السيارة والضوء بدا على وشك الظهور تدريجيًا، ركب الرائد السيارة وانطلقت بعيدًا بعدما رأته يشير إلى السائق بيديه في اتجاه عكس الاتجاه الذي توجد فيه الزوجة التي وجدت نفسها في موقف صعب للغاية، عليها



استكمال رحلة الهروب حتى لا يقتلها الرائد نفسه علاوة على أنها فرصتها الوحيدة للنجاة، مع بدء ظهور الضوء في أعمدة الإنارة بدأت تتحسس الأسلاك الشائكة لتدرك حجم المسافة التي تفصل بين كل صف والذي يليه، سحبت الأسلاك إلى أعلى لتعرف مدى مرونتها للانضغاط لتخلق لنفسها مساحة كافية تصلح لعبور جسدها بين الأسلاك، الأسلاك مشدودة عن آخرها فلا تتيح لها المرونة الكافية لفعل ذلك، الإضاءة تتزايد تدريجيًا فتوترت الزوجة أكثر فدفعت الأسلاك إلى الأعلى والأسفل عن طريق قدميها ويديها التي جُرحت عن طريق الأسلاك المُدببة وبدأت الدماء تسيل منها لكنها تحاملت على نفسهِا رغم الألم الرهيب الذي يستفحل في يدها، شعرت بالدماء تسيل بين أصابعها لكنها كانت لا تملك رفاهية الاختيار خاصةً بعد تزايد الضوء بشكل يوحي بالريبة والقلق، تحاملت على نفسها ووضعت جسدها في تلك المسافة التي خلقتها بين الأسلاك، عبرت بقدمها التي لا تضغط بها على الأسلاك فأصبح منتصف جسدها بعد السور الشائك والنصف الآخر تضغط به على الأسلاك، لكن حدث شيء لم تتوقعه تفلتت قدميها فاندفع السلك إلى أعلى وانغرس في فخذها الطري بشراسة جارفة فكتمت صِراخها وأصدرت فقط عويل مكتوم، نظرت إلى السلك الذي يخترق جسدها بوقاحة وأدركت أن عليها



سحبه من لحمها لاستكمال طريقها للهروب مع ازدياد الضوء، تنفست بسرعة شديدة قبل أن تسحب أطراف السلك الحاد من لحمها وهي تكتم أنفاسها، فخرجت الأسلاك، ولكن بقيت هي في تلك الوضعية الصعبة التي لا تمكنها من الاندفاع إلى الجانب الآخر من السور، وضعت طرف قدميها على الأرض ودفعت الأرض بسرعة فعبرت بجسدها إلى الجانب الآخر من السور لكن جرحها السلك جرحًا طوليًا كبيرًا في فخذها وهي تبتعد عنه، جرح كبير يحتاج إلى حياكة طبية وبالتأكيد سيُعيق حركتها، الضوء يستفحل ويتعاظم مما دفعها للنهوض سريعًا والركض وهي تعرج بسبب إصابتها التي تسيل منها الدماء، دموعها تنساب على خديها لكنها لا تبالي إلى أن وصلت إلى برج المراقبة المنشود، جلست بجوار السلم الحديدي الذي يصعد بها إلى أعلى البرج مع ظهور الضوء بثلاثة أرباع قوته داخل المعسكر لكنها أصبحت بعيدة عن الأنظار وخلف السلم الحديدي.

ثلاث دقائق حتى بدأت تستمع إلى موتور سيارة تأتي من على يمينها، رمقت بعينيها فوجدت سيارة تقترب، فتكومت على نفسها خلف البرج وحرصت على ألا يظهر من جسدها أي جزء، توقفت السيارة أمام البرج مباشرة وفتحت أبوابها ثم استمعت إلى صوت قائد المعسكر وهو يتحدث



إلى الجندي الذي يقف أعلى البرج والمسئول عن المراقبة بحنجرة جامدة وبأسلوب يأمره فيه بشيء ما بلغته اليابانية التي لا تعرف عنها شيئًا، بهدوء بدأت تتسحب وتخرج رأسها بعض الشيء من خلف البرج فرأت الرائد الذي يساعدها في الهروب بصحبة قائد المعسكر الذي يتحدث إلى الجندي الذي يقف أعلى البرج، وقعت عيناه عليها فاتسعت وأشار إليها بيده أن تظل كما هي ولا تتحرك فعادت لمكانها وهي تضع يدها على جرح فخذها لتمنع الدماء من السيلان.

بدأ الثلج يتساقط من السماء، البرد القارص تحول إلى جو جليدي سيزيد من صعوبة الموقف، اشتد الهواء وبدأت الزوجة ترتعش، الهواء يعوي ويرتطم بجرحها فيتضاعف الألم، انتظرت نصف ساعة تقريبًا حتى هدأت الأجواء تمامًا في المعسكر وعادت الأمور إلى طبيعتها بعد عودة التيار الكهربي، البرد يتزايد والثلوج تتساقط بكثافة شديدة وهي ترتعش وبدأت تشعر بأن أطرافها تتصلب من شدة البرد، بهدوء بدأت تُخرج رأسها من خلف البرج فوجدت كشافًا كبيرًا إلى حد ما يتطلع به جندي المراقبة على المعسكر من الخارج، يتحرك به يمينًا ويسارًا في المساحة المحددة له، نظرت الزوجة فاكتشفت أن الضوء يتحرك فأدركت أن الجندي منتبه وعليها إيجاد حل، الجرح يصرخ ألمًا، نظرت



إلى الأرض فوجدت أنها فقدت الكثير من الدماء، عليها أن تُسرع قبل أن يغشى عليها، زحفت على مؤخرتها وخرجت من أسفل البرج، ذهبت إلى السلم الحديدي الذي يغطيه الثلج، عليها الصعود عليه، وضعت يدها عليه وبدأت تصعد فشعرت بأن انخفاض درجة حرارة حديد السلم تصيب يدها بالتشنج وتلسعها لتُبعدها قبل أن تتصلب وتصاب بالتجمد، كلما زادت الأوجاع ووصلت إلى نقطة لا تحتملها تتذكر أطفالها وزوجها فتتحامل على نفسها وتكمل صعودها حتى وصلت إلى أعلى البرج، رأسها ظهرت على استحياء من خلف أقدام الجندي الذي يولي ظهره للمعسكر وينظر إلى الخارج ليراقب المكان، صعدت بنصف جسدها إلى أعلى وهي حريصة على ألا تصدر صوتًا حتى لا تلفت انتباهه لكن لسوء حظها التفت الجندي إلى جانبه يبحث عن شيء فهبطت الزوجة سريعًا حتى لا يراها، الجندي يبحث عن شيء، تتابعه هي بعينيها من بين الفتحات الصغيرة التي تصنعها ألواح الخشب، الحديد الذي تمسك به بدأ يلسعها بقسوة في يدها فتحركها حتى لا تتجمد الدماء بها، ملامحها تشرح ذلك الألم الرهيب الذي تشعر به، الجندي وجد ضالته غطاء من الفرو سيضعه على أذنه ليحد من البرد الذي يصفعه، الزوجة باتت لا تتحمل لسعات البرد وشعرت أن يدها اليمنى تتصلب، بسرعة بدأت تصعد أعلى البرج وهي



تشعر أن ذراعها الأيمن ثقلت حركته لكنها تحاملت على نفسها وأخرجت السلاح الناري ووضعت فوهته على مؤخرة رأس الجندي الذي يقف في البرج، تيبس الجندي ولم يتحرك، يدها اليمنى أصبحت لا تشعر بها ولا تستطيع تحريكها من الأساس، مر أمام عينيها شريط حياتها كأنه يقص عليها ما حدث مرة أخرى ويحفزها لتضربه بالرصاص في مؤخرة رأسِه، تحمست الزوجة وضغطت على الزناد فاكتشفت أن المسدس فارغ، الجندي أدرك ذلك فالتف إليها لكنها فاجأته بأنها انطلقت وهي تصرخ لتكسر به سور البرج الخشبي وتسقط هو وهي من على تلك التبة التي أخبرها بها الرائد فسقطا على كومة من الثلج الذي صنعته العاصفة الثلجية فلم يُصب أي منهما بكسور أو بأذى لكن شعرا بإجهاد شديد وبأنهما غير قادرين على الحركة لكن الزوجة تحاملت على نفسها ونهضت حينما اكتشفت أنها أصبحت خارج المعسكر، أمسكت بالسلاح الناري الذي وجدته بجوارها وانقضت على الجندي تضربه بكعبِه على رأسه بيدها الشمال الضعيفة لأن اليمين لا تزال لا تشعر بها لكن فوجئت بأن أحد يركلها بقدمِه في وجهها فسقطت على ظهرها بعدما أطاح جسدها إلى الخلف، كشافات إضاءة أنارت المكان وهي لا تدرك ماذا يحدث، الدماء تتساقط من أنفها لكن لا وقت لرفاهية الألم، اعتدلت بنصف جسدها



فوجدت ثلاثة سيارات تضيء كشافاتها في وجهها ووجدت الرائد الذي ساعدها على الهروب يقف بجوارِه قائد المعسكر، اتسعت عيناها من فرط الذهول وهي لا تفهم ما يحدث.

– ماذا بكِ أيتها العاهرة؟؟

قالها الرائد الذي حاول مساعدتها سلفًا والزوجة ترمقه في دهشة، أردف حديثة.

– أرى أنكِ متعجبة لما يحدث، هل صور لكِ عقلك المحدود بأنني سأخون جيشي من أجل عاهرة؟

الزوجة لا تُجيبه، فقط تنظر له دون كلام.

– ماذا بك أيتها العاهرة ألا تصدقين ما يحدث.

– هل كُشف الأمر؟؟

ضحك القائد وكذلك الرائد قبل أن يُجيبها.

– أي أمر، ما حدث معك منذُ أن أعطيتك الماء أنتِ ومن معك في الزنزانة كانت خطة سرية بيني وبين قائد المعسكر لنعلم ما هي نقاط الضعف في المعسكر ولنعلم كفاءة حراسنا وجنودنا التي ستحتاج منا إلى تدريب كثيف وحراسة مشددة



على الأبراج، أنتِ كنتِ مجرد طعم للتدريب ليس أكثر.

شعرت الزوجة أن رأسها يدور ثم سقطت على الأرض وفقدت الوعي.

* * *

الزوجة تسترد وعيها تدريجيًا وهي على سريرها في العيادة الطبية، تتذكر ما حدث لها فتستعيد وعيها دفعة واحدة، تستمع إلى القائد وهو يتحدث للجميع في الفناء بصوتٍ جهوري شديد.

– البارحة كانت هناك محاولة فاشلة للهروب وقد تغلبنا عليها وسنقوم بدراسة كل نقاط الضعف والثغرات التي تمكنت من خلالها تلك العاهرة من الفرار، أمّا هي فستأخذ عقابها كما أعطاها الإله عقابها فقد تسبب البرد القارص في تصلب الدماء في عروقها فقرر الطبيب بتر ذراعها الأيمن.

الزوجة تتسع عيناها وتنظر إلى ذراعها الأيمن فوجدته أزرق وغير قادرة على تحريكه فارتعدت من هيئته، لا يزال القائد يتحدث إلى الجميع ويخبرهم بأنها ستنال عقابًا خاصًا بعد بتر ذراعها لمحاولتها الهروب، لم يذكر لهم أنها خطة خبيثة كانت بالاتفاق مع الرائد ليستطيعوا إعادة التجربة بعد

سد الثغرات التي اكتشفوها في تجربتهم الأولى، وجدت الزوجة الطبيب حاد الطباع يدخل عليها ومعه عدد من المساعدين فقد أوشك الوقت على بتر ذراعها الذي لم يعد مكانًا للدماء فيه بسبب انخفاض درجة الحرارة !!

رفعت دعائها الأصم إلى اللّه سبحانه وتعالى تخبره بأنها لم تعد تتحمل كل ما يحدث معها من ابتلاءات وأختبارات , تناديه بأن يرحمها أمَّا بالنجاة أو الموت , هي فقدت الأمل تمامًا وأدركت انها لن ترى زوجها وأطفالها مرة أخرى .

الفصل الأخير

لي يونج لايزال يرقد على بعد خطوات من خط النهاية الخاص بالمسابقة والضابط الصيني المُصاب لو تدحرج في حلقة دائرية كاملة أدرك الفوز، نظر الضابط إلى خلف رأسه فوجد خط المسابقة، رفع رأسه قليلاً ونظر أمامه فوجد لي يونج نائم على ظهره، صدره يعلو ويهبط وهو يجاهد لالتقاط أنفاسه، حرك رأسه يمينًا ويسارًا فوجد جنود العدو وقائدهم يتابعون المشهد بشغف شديد جداً فأدرك الفخ الذي نصبوه لهما من أجل أن يُزيدوا الوضع حماسة وإثارة، أراح الضابط رأسه على الأرض وبدأ بصوتِه الذي بالكاد يُسمع ينادي على لي يونج، يُكرر اسمه بصورة مستمرة، لي يونج حرك رأسه بهدوء فوجد الضابط يبتعد عنه خطوات، كان بالكاد يستطيع رؤيته لأنه استنفذ طاقته بالكامل في الركض والإصرار على إنقاذ الضابط المُصاب، أذنه تلتقط صوت الضابط رفيقه وهو يحثه على أن ينهض، يترجاه بأن لا يتركه وحده وأن يساعده على النهوض، لي يونج لا يستطيع الحركة بالفعل لكنه أصر على استكمال ما بدأه، وضع يده على الأرض وصرخ وهو ينهض بجسده الهزيل الذي لا يعينه على فعل أي شيء، سقط على الأرض، لم تعنه قدمه الهزيلة على الصمود لكنه لم يستسلم، وضع قدمه ونهض



وقدمه ترتعش بقوة، كاد أن يسقط على الأرض مرة أخرى لكنه صمد وتحامل وهو يصرخ، تحرك تجاه الضابط المُلقى على الأرض كأنه ينتمي إلى الموتى السائرون، نظر أمامه فوجد خط النهاية واضحًا تمامًا خلف رأس الضابط الذي لا يزال ينادي عليه.

– أنا هنا بجوارك يا رفيقي.

– لا تتركني يا لي يونج.

– لن أتركك حتى ولو كنت أنا من سيُؤكل.

– خذ بيدي وأنهضني.

– وهو كذلك.

تقدم لي يونج حتى كاد أن يلتحم بالضابط المُصاب الذي تحدث إليه بصوتٍ فيه استعطاف.

– سنقف سويًا وسنعبر الخط سويًا حتى وإن رفضوا ذلك.

– وهو كذلك، يشرفني أن أموت بعد كل هذه المقاومة وأنا بجوارك يكفي أنني من أحضرتك إلى هنا وأنت تبحث معي عن عائلتي.



أمسك لي يونج بيد الضابط ولكن قبل أن يُنهضه وجده يسحبه تجاهه حتى كاد لي يونج أن يسقط عليه لولا أن رفع الضابط قدمه ووضعها في صدره فأصبح وجههما مقابل لبعضه البعض، أدرك لي يونج ما ينوي الضابط فعله فظهر ذلك على وجهه قبل أن يتحدث هو معه.

– أريدك أن تجد أسرتك وأن تطمئن عليهم ولو صادفت أسرتي أخبرهم أنني كنت أحبهم وأحب بلدي وأنني كنت أتمنى لو قتلت كل أعدائها ولكن قدري هو الموت من اجلك , عدني بأن تقتلوا كل هؤلاء الملاعين ولا تتركوهم يتجولون في الشوارع من دون رادع .

– لا لا تفعل ذلك.

قالها لي يونج والدموع تتساقط من عينيه بغزارة .

– أريدك أن تعدني، لا أريد أن أموت دون مقابل.

– أنا لا أريدك أن تموت، سنعبر الخط سوياً.

– لن يحدث، لن يقبلوا هذه النتيجة يا أخي ، سيقتلوننا سوياً وأنا لا أحب أن نقتل معاً لابد أن يبقى أحدٌ منا ليدافع عن الأرض وليبحث عن العائلة.



– ولماذا عليك أن تضحي أنت بنفسك !!

– أنت أخبرتني أنك تعتبرني فرداً ضمن عائلتك، وأن التضحية من أجل العائلة هو خلود في موتٍ رائع.

رفع الضابط قدمه بكل قوة ولي يونج يصرخ فألقى به خلفه، لي يونج يسقط على الأرض وملامح وجهه تبكي بشدة على عكس الضابط الذي كان يبتسم وكأنه غير مقبل على الموت، سقط لي يونج بعد الخط فصاح الجميع وأعلنوا أن الضابط المُصاب هو الخاسر، صرخ لي يونج وحاول النهوض لكن منعه الجنود، ضربوه وأسقطوه على الأرض مغشياً عليه، ركضوا تجاه الضابط المُصاب وسحبوه بعيداً وانهالوا عليه بالأسلحة البيضاء يقطعون أيديه وأرجله وجسده بلا رحمة، يصرخ ويتألم والكل في حالة رعب، نهض لي يونج وحاول أن يذهب تجاهه لكنهم ضربوه بالعصي وأسقطوه على الأرض وهو يصرخ ويبكي.

قطّعوا لحم الضابط المُصاب، ووزعوه على الأسرى، وأرغموا الجميع على التهامه وأكله رغماً عنهم.

* * *

استأنف الأسرى رحلة العذاب التي بدأوها متجهين إلى هاربين، الساعات والدقائق تمر عليهم ساكنة كئيبة، الأسرى في حالة ذهول، عقولهم لا تستوعب هذا الكم الهائل من الأحداث المؤسفة التي تقع عليهم كل طرفة عين، لا يعلم أيًا منهم لأي منقلب سينقلبون، لا يصدق أي منهم أن في معدته جزء من لحم رفيق لهم كان يسعى معهم منذُ ساعات، الآن هو مفرق ومشتت في أمعائهم، لم يتحمل بعضهم هذا الموقف المقزز فأفرغ ما في معدتِه رغمًا عنه لكنه أُجبر على الأكل مرة أخرى، بعضهم رفض الأكل تمامًا ومنهم لي يونج، لم يستمع إلى أوامرهم فكيف له أن يأكل من لحم رفيق الدرب، جاهد حتى لا ينفذ ذلك لكنه في النهاية فقد الوعي من كثرة الضرب والتعذيب الذي وقع عليه، ثم أشار الطاغوت إلى زبانيته فاقتادوه إلى إحدى المركبات وهو جثة هامدة فاقداً للوعي، ألقوه داخل المركبة ثم تحركوا لأستئنأف رحلتهم، لي يونج يشعر بحركة السيارة وهي تتمايل به وتتحرك لكنه كان يغرق في البكاء العميق كلما استرد وعيه وتذكر ما حدث، يتقلب على سنابك الألم النفسي وهو يسأل اللّه متى سينتهي كل هذا؟؟، لماذا يصمت اللّه على ذلك الظلم الواقع عليهم، لماذا يتركهم؟؟!! ألم يخبرنا اللّه أنه أهلك القرون من قبل لما ظلموا، لماذا لم يهلك هؤلاء القوم وهم طاغون مستبدون يستبيحون محرمات



اللّه!! كلها كانت أسئلة يبحث لها لي يونج عن إجابة، وهو يعلم أن كل شيء حوله يلفه الجور والاستبداد بطبقات من الظلم، ويسكن الخوف الشديد كل ركن في نفوسهم، الحالة التي وصل إليها تجعله يرتاب في كل ما هو أتي لأنه بالتأكيد سيكون شيئًا خبيثًا، فهؤلاء لن يجدوا منهم سوى الألم والشجي المبين.

ظهرت من بعيد أعمدة كبيرة شامخة تبدو كالمداخن التي تستخدم في تصريف الهواء والأدخنة الناتجة عن الاحتراق، صاح الجنود اليابانيون فور ظهورها من بعيد وأخذوا يهللون فرحين كأنهم وجدوا ضالتهم بعد ساعات طويلة من الضلال، نظر القائد الشرس إلى الأسرى وهو يبتسم ابتسامات شامتة بها تشفي مبالغ فيه.

– هل سمع أي شخص منكم عن محاكم التفتيش التي كانت في عصور ظلام أوروبا؟

لم يتلق أي إجابة فهز رأسه في تفهم ثم أردف.

– هذه محاكم أنشأها الأسبان في أوروبا وكانت مضرب المثل في الظلم والقهر والتعذيب، فقد ظفروا بأساليب بشعة تقشعر لها الأبدان والقلوب.

صمت القائد ونظر أمامه وهم يقتربون من المبنى الذي بدأت معالمه كاملة تظهر، نظر إليهم القائد مرة أخرى.

– هل يعرف أحدكم لماذا أخبركم بهذا الكلام الآن؟؟؟

لم يُجيبه أحد.

– بالطبع لن يفهم أحدٌ منكم هذا لكني سأخبركم لتعلمون كم أنا شخص ودود حليم.

ضحك ملء شدقيه ثم عاد ليتحدث معهم.

– الذي ذهب إلى محاكم التفتيش كان في منتجع سياحي إذا قُورن بهذه الوحدة التي نحن مقبلون عليها.

توقفت المركبات أمام مبنى كبير أصفر صفاراً كئيباً، بوابته سوداء لا تقل كآبة عنه، بسرعة البرق أخرج الجنود الأسرى الذين تمتلئ بهم المركبات والآخرين الذين يُسحبون خلفها، لي يونج كان في حالة نفسية يصعب وصفها فهو تائه تماماً لا يعير اهتماماً لأي شيء حوله، اصطف الجميع أمام القائد، الذي أمرهم بالحركة فأخذوا يقتربون من البوابة ويعبرون من خلالها واحد تلو الآخر، وهم يلقون



عليهم كمًا من الإهانة حتى دخلوا جميعًا، الأرض كانت شبه ممهده ولكن على يمينها ويسارها كانت أرض شبه رملية مليئة بالعشب الجاف والشوك، لسبب ما لا يعلمه لي يونج شعر بانقباض غريب لم يشعر به من قبل على الرغم من كل الأحداث المؤسفة التي مر بها سلفًا، المكان موحش وخانق على الرغم من اتساع فنائه الذي يستوعب أكثر من ألف شخص حشرًا علاوة على أنه غير مغطى، أي بلا سقف، فقط مُلئ بالحراس الذين ظلوا ينظرون إليهم شزرًا كأنهم الشياطين، السور بداخله بنايات ضخمة يطلق عليها أرقام، وهناك أيضا بنايةً للإدارة ومستشفى ومسكن للجنود والضباط، أمَّا باقي البنايات فقد خصصت للتعذيب والتجارب غير الآدمية، أمرهم القائد أن يصطفوا أمامه في صفوف متساوية ففعلوا ذلك تكرهًا.

– سهيت أن أخبركم بأمرٍ هام للغاية، أتمنى أن تتقبلوا اعتذاري.

تبادل الجميع النظرات المبهمة، لا يصدقون أن هذا الطاغوت يعتذر، أردف القائد.

– كان يجب أن أخبركم أن تودعوا الأرض في الخارج لأنكم لن تروها مرة أخرى، من يدخل إلى الوحدة ٧٣١ لن يخرج منها حيًا أبدًا.



قطع كلامه مجموعة من الأطباء يتقدمون تجاههم، يتقدمهم رجل قصير يرتدي عوينات كبيرة، ملامحه حادة وتشعر بعدم راحة نفسية غريبة حينما تنظر إليه، إنه «هيرو ايشي» الطبيب السادي المجنون الذي تمكن من إقناع الإمبراطور الياباني أن الصين تقوم بعمل أسلحة بيولوجية حديثة لتدمر اليابان، فأقنعه بإقامة هذه الوحدة التي تقوم بعمل تجارب على البشر وهم أحياء بحجة التطور، تقدم الطبيب السادي حتى وقف أمام القائد الشرس، أخبره القائد أن هؤلاء هم مجموعة الأسرى الجبناء الذين كانوا يحتمون في المنطقة الآمنة، تجول الطبيب بعينيه التي تتحرك في كل مكان كالحرباء وهي يتضح بها الجنون، يشاهد ملامح الأسرى التي يظهر عليها الألم والخوف والمعاناة، أخبره بإيجاز أن يأتي بهم إلى ساحة تقع على مسافة بعيدة، لأن هناك تجربة سيقومون بها وهي التجربة K١٠٥، سبح الأسرى في أفلاكهم الباطنة يهيمون ويفكرون ما المقصود بتلك التجربة، في الوقت الذي أمرهم فيه القائد بالتحرك.

ساروا مسافة كبيرة داخل المعسكر حتى وصلوا إلى فناء واسع يبتعد عن البنايات والفناء الرئيس، ظهرت مجموعة من الأسرى الذين جاءوا بهم من داخل الوحدة، وقد نزعوا عنهم ملابسهم بالكامل



فكانوا عرايا كما ولدتهم أمهاتهم، يقتادهم مجموعة من الجنود اليابانيون غلاظ الطباع والهيئة، في منتصف الساحة هناك أعمدة معدنية مثبته في الأرض تقف في شموخ تُشعرك بالرهبة والخوف لشيء ما لا تعلمه، كانت أعين الأسرى مليئة بالذعر والرعب والفزع مما وجدوه داخل تلك الوحدة التي وصفها لهم القائد وصفًا فظيعًا جعل الأدرينالين يتضاعف في أجسادهم بسببه، اقتاد الجنود هؤلاء المساكين إلى تلك الأعمدة المعدنية ثم ثبتوا كل واحد منهم على عامود في وضع النسر المحلق ثم غطوا الأماكن الحساسة من الجسم كالرأس والأعضاء التناسلية بقطع معدنية سميكة وتركوا باقي الجسد عاريًا كما هو، ابتعد الجنود عنهم ولكنهم سهوا عن تثبيت أحد الأسرى، انتظرهم حتى ابتعدوا بالقدر الكافي ثم ركض هاربًا وهو يصرخ كالمجنون في الفناء الواسع المسيج بالأسلاك الشائكة، الأسرى المستجدون ينظرون إليه وهم يدركون أنه لن يستطيع النجاة، لكنه ركض هربًا من أمرٍ ما يبدو أنه أكثر شناعة من الموت، جاء جندي من جنود العدو بعدما ارتفعت صافرات الإنذار تعوي في المكان وجلس على ركبتِه اليمنى، انحنى على بندقيته وأغمض عينه اليسرى وترك العنان لليمنى تلتقطه عبر المكان المخصص للرؤية قبل أن يُصيبه بطلقة في رأسِه فيُسقطه قتيلاً، بسرعة البرق تدخل مجموعة من الجنود



وسحبوا ذلك القتيل قبل أن يأتوا بآخر ويتأكدوا من تثبيته هذه المرة، ثواني معدودة كانت كافية حتى ظهرت أمامهم مجموعة من الجنود الذين يرتدون الزى الأبيض المميز يحملون في أيديهم أشياء تُشبه البنادق، وقفوا على مسافة غير بعيدة وصوبوها تجاه الأسرى المثبتين على الأعمدة، انتظروا حتى أعطاهم هيرو ايشي الإشارة فضغطوا على الزناد لتنطلق قذائف خضراء لمادة لزجة تُشبه الجيلي، بمجرد أن وصل إلى أطرافهم العارية ارتفع الصراخ وتراقصت أجسادهم كأنهم يحتضنون كابل كهرباء عالي الفولت، إنها رقصة الألم، لم تمر سوى دقائق حتى بدأت أطرافهم التي عانقت ذلك السائل بالاحمرار ثم امتلأت بالفقاقيع الكبيرة سيئة المنظر التي تمتلئ بالمياه، ظل هؤلاء المساكين يصرخون ويتألمون حتى شُويت أجسادهم واحترقت، إنها مادة حارقة أُعددت خصيصاً للحرب وكان عليهم تجربتها، تقدمت مجموعة الأطباء منهم بقيادة هيرو ايشي بعدما ارتدوا الملابس الواقية ليدرسون الحالة.

بعد نصف ساعة تقريباً أمر هيرو ايشي بأن يحضروا المجموعة الأخرى من الأسرى ليقوموا بتجربة مماثلة لمادة مختلفة هذه المرة، الوضع صعب والرعب تمكن من الأسرى المستجدين، لم يتمكن بعضهم من المواصلة لرؤية ما يحدث، ظهرت المجموعة



الأخرى من الأسرى، لكنهم كانوا هذه المرة أطفالًا!! هيرو ايشي سيقوم بعمل هذه التجربة مرة أخرى ولكن على مجموعة من الأطفال الذين يصرخون ويترجون الجميع أن يرحموهم، شعر الأسرى المستجدون بالحزن الشديد والهول لما يحدث أمامهم، لكن كان أكثرهم صدمة هو لي يونج الذي وجد ابنته الضائعة منه أثناء هروبهم تقف بين هؤلاء الأسرى الذين ستُقام عليهم التجربة.

إلى اللقاء في الجزء الثاني



info@noonpublishing.net

٠١١٢٧٧٧٢٠٠٧ –٠٢–٣٣٨٥٦٠٣٧٢